basseera.net

المذهب الإباضي

وسيكولوجية كتاب التاريخ



علي بن محمد بن عامر الحجري

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م



نشر وتوزيع:
مكتبة خزائن الآثار
سلطنة عُمان ـ بركاء
نقال: ٠٠٩٦٨٩٥٥١٠٠٢٥



الراعي الإعلامي:
موقع بصيرة الإلكتروني
موسوعة إلكترونية في العلوم الإسلامية
لسماحة الشيخ العلَّامة أحمد بن حمد الخليلي
المفتي العام لسلطنة عُمان
للتواصل: www.baseera.net

المذهب الإباضي

وسيكولوجية كتاب التاريخ

تأليف

علي بن محمد بن عامر الحاجري


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

(١)

فقد جاء في مقدمة كتاب (تحفة الأعيان) للإمام نور الدين السالمي رحمه الله تعالى ما نصه: «أما بعد: فإنه لا يخفى على عاقل أن علم التاريخ مما يعين على الاقتداء بالصالحين، ويرشد إلى طريقة المتقين، لأن فيه ذكر أخبار من مضى من صالح وطالح، فإذا سمع العاقل أخبار الصالحين اشتاقت نفسه إلى اقتفاء آثارهم، وإذا سمع أخبار الطالحين أشفقت نفسه أن يكون من جملتهم فتراه بذلك يقتفي آثار من صلح، ويتجنب أحوال من طلح، فيجاهد نفسه حق الجهاد، فيستحق بذلك من الله العون والتوفيق لقوله عز من قائل ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وحيث كان العدل وسيرة الفضل في عُمان أكثر وجوداً بعد الصحابة من سائر الأمصار، تشوقت نفسي إلى كتابة ما أمكنني الوقوف عليه من آثار أئمة الهدى ليعرف

سيرتهم الجاهل بهم، وليقتدي بها الطالب لأثرهم، مع قلة المادة في هذا الباب إذ لم يكن التاريخ من شغل الأصحاب بل كان اشتغالهم بإقامة العدل وتأثير العلوم الدينية، وبيان ما لا بد من بيانه للناس...»[١].

وجاء في مقدمة كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير ما نصه: «ومنها: أن الملوك ومَن إليهم الأمر والنهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس، فيرويها خلف عن سلف، ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر، وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد، وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استقبحوها، وأعرضوا عنها واطَّرحوها. وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها، وما يتبعها من الذكر الجميل بعد ذهابهم، وأن بلادهم وممالكهم عمرت، وأموالها دَرّت، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه، وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه»[٢].

ولأجل أخذ العظات والعبر من أحداث السابقين، وحتى يستفيد منها أبناء الحاضر والآتون من بعدهم من البشر، كان النظر في تاريخ الناس الغابرين مجالاً تصرف فيه الأوقات، ويسهر على تبويبه والكتابة فيه أهل الهمم الذين يسعون دائماً لربط حلقات تاريخ الإنسانية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولقد توارثت أمم سطح هذه الأرض، وشقت طريقها صوب دار الجزاء لتأتي من بعدها أمم من البشر بأخلاق ومبادئ وقيم تكون هي الموجهة لها عند عمارة هذا الكوكب، فصلاح الإنسانية مرهون بصلاح مبادئها التي تهيمن على حياة الناس، والمبادئ الصالحة ليست مما تنتجه عقول عظماء الأمم

(١) تحفة الأعيان، ج١/ ص٤، ومما قاله الشيخ السالمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأهل عمان لا يعتنون بالتاريخ فلذلك غابت عنا أكثر أخبار الأئمة فكيف بأخبار غيرهم» (تحفة الأعيان، ج١/ ص٣٥٣).

(٢) الكامل في التاريخ، ج١/ ص٧.

وقادتها، ولكنهـا مما يدركه الناس من تعاليم النبـوات التي مَنَّ الله بها على البشر لأخذهم صوب الصلاح والإصلاح.

ومن هنا ظهر للجميع مقاييس الأخلاق وموازين الأعمال الصالحة التي ينبغي للبشر التسـابق في تطبيقها لنيل الدرجات العالية في سعيهم في هذه الحياة الدنيا.

ولأجل الرغبة في تقصي أخبار العاملين السابقين، تتبع أصحاب الرؤية الثاقبة أطوار التاريخ فوجدوا البشر بين سائر على منهاج الله، وبين مخالف لله ورسله في أفهامه وأعماله.

وحقيقة منهجية لا بد لكل قارئ أن يدركها، وهي أن سـلوكيات الأفراد والجماعـات في واقع الحياة تُعـد من مصادر التاريخ وقـد فضلها كثير من المسـلمين على التدوين وإن كان كلاهما ـ أقصد تطبيـق المبادئ في واقع الحياة وتدوين الأحداث ـ ذا أهمية في الكتابة التاريخية.

وقول الشيخ السـالمي: «لم يكن التاريخ من شـغل الأصحاب بل كان اشـتغالهم بإقامة العدل» قد فسـره الدكتور فاروق عمر فـوزي بقوله: «لأن المسلمين كما ذكرنا سابقاً عبروا عن فكرهم السياسي من خلال الممارسات والأحـداث التي قامـوا بها، فالحـدث التاريخـي فيه خزين مـن الأفكار السياسـية... وعلى الباحـث معرفة دلالات هـذه الأحداث بالنسـبة للفكر السياسـي وما تعنيه من مغازي سياسـية»[٣]. فالشيخ السـالمي رَحِمَهُ اللَّهُ يُذَكِّر الجميع ممن يريـد أن يكتب أو يقرأ في كتب التاريـخ أن يضع نصب عينيه المقياس الحق عند تتبع الأحداث التاريخية قبل الوثوق بها والاعتماد عليها عند الحكم على الناس.

(٣) المثالية والواقعية في تاريخ الفكر السياسي عند المسلمين، ص١٥.

فالتاريخ في ذاته يرسم للأمم والأفراد منهاج حياة؛ لهذا قال الإمام السالمي: «... وإن للتاريخ فضلاً عظيماً لا يقدر قدره...»[٤]. فكم من أناس اعتبروا بغيرهم حينما تتبعوا أحوال السابقين فأخذوا من سيرهم ما فيه سلامتهم، وتجنبوا ما كانوا عليه من مفاسد في العقيدة والأخلاق. وهذا هو الهدف الأساس الذي ركز عليه القرآن الكريم في آياته البينات حينما أرشد الناس قاطبة إلى السير في الأرض والوقوف على آثار الماضين وقصص الغابرين.

ولست في هذا المقام مضيفاً على ما سطرته أنامل علماء الإسلام عن أهمية دراسة التاريخ، فقد كانت كتاباتهم عبر القرون الماضية دعوة إلى ترسم خطى الصالحين، ونجد تأسفهم على فقدان حلقات من سلسلة أحداث الماضين، والتي بفقدانها فقدت أجيال المسلمين المتلاحقة صوراً زكية لتاريخ رجال كانوا في أوساط قرونهم مصاحف تمشي على وجه الأرض. ومع فقدان التاريخ لبعض حلقاته فإن فيما تبقى من سلسلته العبر والعظات امتثالاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

والأخبار التي وصلت إلينا لا بد أن تُعرض على المنهج العلمي الذي يضع الأمور في نصابها ويُقَيِّم الأشخاص والأحداث بميزان شرع الله تعالى. قال الإمام السالمي عند تقييمه لبعض الروايات التاريخية: «هذا من كلام ابن رزيق إلا ما كان من إصلاح في لفظه وحذف لبعضه لأجل إصلاح التركيب ولم نجده مأثوراً في غيره فالله أعلم بصحته، ولا يرضون الكذب وإنما نخاف التساهل في النقل فقد رأينا بعض الناس يأخذون الأخبار من لسان العامة ثقة بهم ولسنا ممن يثق بالعامة فإن غالبهم ليس ضابطاً أو

(٤) تحفة الأعيان، ج١/ ص ٢٨٠.

أكثرهم لا يحسن النقل. والله أعلم بحقيقة الأمر»[٥]. وقال أيضاً: «... كذا وجدته في سيرة متقطعة من أولها ولا تخلوا من تخليط...»[٦].

وقال الإمام السالمي رحمه الله إثر مناقشته لرواية جاءت في كامل ابن الأثير: «... هذا حاصل قضية دبا من الكتب العمانية وهم أعرف بحالهم وبما عليه أوائلهم. ولا يصح ما ذكره ابن الأثير في كامله[٧] حيث قال: وأما عمان فإنه نبغ بها ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي وكان يسمى في الجاهلية الجلندى. قال وادعى بمثل ما ادعى من تنبأ وغلب على عمان مرتدا»[٨].

وقال الإمام السالمي أيضاً: «... انتهى كلام ابن الأثير وكله باطل لا أصل له. والله أعلم»[٩].

وعلق الإمام السالمي على الرواية التي ذكرها ابن الأثير والتي تحدثت عن الحروب بين الإمام حفص بن راشد وعمال بني العباس، حيث قال: «فما ذكره ابن الأثير تخليط في الرواية»[١٠].

وقال الشيخ أبو إسحاق تعليقاً على ما ذكره ابن الأثير من روايات: «كمل لك اليقين في الحكم على هذا التشويه التاريخي وعلى أهله»[١١]. وبعد أن ذكر الإمام السالمي الرواية التي نقلها ابن الأثير[١٢] عن اجتماع الزنج في

(٥) تحفة الأعيان، ج ٢/ ص ١٥٨ ـ ١٥٩.
(٦) تحفة الأعيان، ج ٢/ ص ١٦٨ ـ ١٦٩.
(٧) انظر (الكامل في التاريخ، ج ٢/ ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣).
(٨) تحفة الأعيان، ج ١/ ص ٧٢.
(٩) تحفة الأعيان، ج ١/ ص ٧٣.
(١٠) تحفة الأعيان، ج ١/ ص ٣١٩.
(١١) تحفة الأعيان، ج ١/ هامش ص ٣٢٠.
(١٢) انظر (الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٦٤٦ ـ ٦٤٧).

عمان وحروب عضد الدولة للشراة، قال الإمام السالمي: «هذا كلامه والله أعلم بصحته»[١٣]. وفي هذا البحث أقوال لعلماء ومفكرين كلها تدعو إلى تتبع الأخبار المنسوبة إلى الناس، ووزنها بميزان النقد العلمي قبل الاحتجاج بها.

والذي لفت انتباهي إلى كتاب (الكامل في التاريخ) ـ وجعلني أستخلص منه المنهج القيم، وأتعرف على المسلك المتناقض الذي سلكه ابن الأثير ـ هو ما وجدته في كتاب (تحفة الأعيان)[١٤] من إشارات وتعليقات للإمام السالمي (المؤلف) وللشيخ أبي إسحاق اطفيش (المحقق).

فوقفاتنا المنهجية عند أقوال ابن الأثير وغيره من كُتَّاب التاريخ فيها إثبات وبيان صدق العبارات التي سجلها الإمام السالمي والشيخ اطفيش ـ رحمهما الله تعالى ـ في تعليقاتهما على روايات ابن الأثير عن عمان وأهلها، وهي كذلك توصيف للواقع المعيش في هذا العصر والذي قال عنه الدكتور فاروق عمر فوزي: «وقد أخطأ قسم من مؤرخي الفرق المحدثين حين قبلوا الروايات دون تمييز بين مصدرها ورواتها ووقتها ولذلك وقعوا في تناقضات كثيرة فيما كتبوه عن الفرق»[١٥].

هذا؛ وقد رأيتُ أن أضع كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير هو المرجع في رسم محاور هذا البحث لما يحويه الكتاب من مختصرات للكتب السابقة عليه، ولكونه مرجعاً تاريخياً لمن أتى من بعده من الكتاب، وكذلك لما يحويه هذا الكتاب من مناهج ينبغي الأخذ بها، وما يجعله شعاراً لمسلك كثير من الكُتَّاب الذين تناقضت أقوالهم وأفعالهم على صفحات مؤلفاتهم. «وعلى أية

(١٣) تحفة الأعيان، ج١/ ص٢٨٦.

(١٤) تحفة الأعيان، ج١/ ص٦٥، فقد قال الإمام السالمي رحمه الله تعالى: «وفي كامل ابن الأثير...». وتحفة الأعيان، ج١/ ص٦٦، حيث قال أيضاً: «وذكر ابن الأثير في كامله أيضاً...».

(١٥) المثالية والواقعية في تاريخ الفكر السياسي عند المسلمين، ص٤٢٢.

حال فقد كسب الرجل احترام القارئ وتقديره حينما أعلن في ختام مقدمته: أنه مقر بالتقصير، وأن ما يجهله أكثر مما يعلم!! رغم أنه قدم للمكتبة التاريخية مؤلفاً ليس ثمة ما هو أشمل منه في مصادرنا التاريخية على الإطلاق»[١٦].

وعلينا جميعاً أن نعلم أن المبادئ والقيم التي ينبغي التحلي بها عند القراءة والكتابة ليست موجهة لفرد أو مجموعة أو جيل بعينه، بل هي دعوة خالدة أتى بها الإسلام ودعا إليها المسلمون من كل المذاهب وعبر القرون المتطاولة. فكما أنني ـ ولله الحمد والمنة ـ استفدت منها فأحسب أن كل من أراد الحق لنفسه ولأمته لا بد أن يأخذ من كتب المسلمين قاطبة ـ إذا أحسن اتباع المنهج وخلصت عنده النوايا ـ نصيبه الأوفى.

فالدعوة الصادقة إلى تحري الصدق عند كتابة تاريخ الجماعات والأفراد تعد من الأمور التي لا يختلف حولها المسلمون، ونحن حينما ننظر إلى المنهج الإسلامي السليم نجده مُشَيَّد على أسس وثيقة وركائز مستقيمة، والتي منها:

١ ـ «فإذا كان الخبر متعلقاً بأحكام شرعية أو زمن الفتن بين الصدر الأول، أو مسائل عقدية، فلا بد أن يكون هذا الخبر التاريخي موثقاً صحيحاً على موازين أهل الحديث في تصحيحهم الأخبار، ولا يقبل فيه الخبر الضعيف»[١٧].

٢ ـ «إنما يدرس التاريخ في ميزان العقل والمنطق، وذلك لا يكون إلا بالرجوع إلى المصادر، والسماع من كل الأطراف، حتى إذا صدر الحكم، يكون عادلاً أو قريباً من العدل»[١٨].

(١٦) حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ص٥٢.

(١٧) إعداد المؤرخ الثقة، ص٣٦.

(١٨) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص٢٨٣ ومما قاله الدكتور إبراهيم شعوط أيضاً: =

٣ ـ «أن معظم مؤرخينا القدماء كانوا يوردون كل خبر منسوباً إلى راويه ليعرف القارئ قوة الخبر عن طريق معرفة رواته الثقات، أو ضعف الخبر الذي ينقله رواة لا يوثق بهم، وبذلك يرى أولئك المؤرخون أنهم أدوا الأمانة ووضعوا بين أيدي القراء كل ما وصلت إليه أيديهم... أما الأحفاد، والحال هذه، فإن الطريق أمامهم أكثر اتساعاً وهم يسعون لعرض وقائع تاريخنا الإسلامي، وإعادة تركيبها وفق منهج يمكنهم أكثر من الاقتراب من الحقيقة التاريخية»[١٩].

وأخيراً، فإن هذا البحث جاء استجابة لدعوة الشيخ سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني الذي ساهم في تعريف العالم بأمجاد الإباضية في مجال التأليف، حيث قال: «بَيْدَ أنّ صنائعهم لَمْ تُسَطِّرْها الدفاتر، ولم تشتغل بتقييدها المحابر، فغاب عنا من أخبارهم شيء نحسبه كثيرا، وبقي غيض يدل على أن وراءه فيضاً غزيراً. على أنا إن تلمسنا العذر لمن تقدم فليس لأبناء هذا الجيل عذر يتشبثون به، ولا تنهض لهم حجة تبرر لهم تخاذلهم عن تدوين سيرة أسلافهم، ولا يفسر هذا الموقف منهم سوى أنه إقرار بضعفهم أمام خصمهم، وتشجيع لأصحاب الأقلام الزائفة والمغرضة أن تطغى كتاباتُهم على الساحة، وتعشش أفكارهم في عقول الناس»[٢٠]. واستجابة كذلك لدعوة

= «ولعل الدكتور طه حسين راعه أسلوب تلك الخطابات المتبادلة فبنى عليها أحكامه ورتب نتائجه، دون أن يكلف نفسه ما يتكلفه أي قاض نزيه، من تحري العدالة، وفحص الأسانيد، ومناقشة الشهود، حتى إذا حكم كان حكمه قد أصاب الواقع أو قريباً منه» (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص٢٤١). وقوله أيضاً: «ومع ذلك، فإن المؤرخين المحدثين، لم يمحصوا هذه الروايات، بل يذكرونها على علاتها، دون أن يظهروا للناس فسادها» (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص١٧٢).

(١٩) حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ص٢٨ ـ ٢٩.

(٢٠) في موكب الإصلاح، ص٨٩.

الدكتور محمد بن قاسم ناصر بوحجام الذي قال: «ينتظر الكُتَّابَ الإباضية عمل كبير، وجهدٌ أكبر، لتغيير نظرة الناس إلى مذهبهم، وتصحيح بعض المفاهيم. فيجب أن تتظافر في سبيل تحقيق ذلك جهات متعددة، وتتساند جوانب كثيرة»[٢١].

❀ ❀ ❀

(٢)

لقد استبدت أقوال الضعفاء ـ شئنا ذلك أم أبينا ـ بأفهام الخاصة والعامة من أبناء الأمة الإسلامية، حتى أصبحت بقوة جبروتها لا تنالها عدالة المنهج الحق، وصارت باستبدادها بعقول الناس فوق الميزان الثابت.

لقد ترجم بعض الكُتَّاب قولة هارون الرشيد المشهورة: (**إنما العاجز من لا يستبد**)[٢٢] وقولة حفيده الواثق: (**صدق والله جدي، إنما العاجز من لا يستبد**) في واقع كتاباتهم ونقلهم لأقوال بعضهم لبعض، وتكاثفت تلك الأقوال الضعيفة بحيث أصبح الناس لا يرون إلا تلك الروايات التي لا قيمة لها في موازين الإسلام.

ولقد أجاد عالم النفس الفرنسي، غستاف لوبون، في وصفه لآثار استبداد الكُتَّاب والحكام على الجماهير حين قال: «إن الاستبداد والتعصب يشكلان بالنسبة للجماهير عواطف واضحة جداً، وهي تحتملها بنفس السهولة التي

---

(٢١) ملاحظات حول تاريخنا القديم ـ كيف ندرسه وكيف نحققه، ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٢٢) الكامل في التاريخ، ج ٧/ص ١١، أصل هذه العبارة من بيت شعر قاله عمر بن أبي ربيعة:

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزَتْنَا مَا تَعِدْ ... وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدْ

وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً ... إِنَّمَا الْعَاجِزُ مِنْ لا يَسْتَبِدْ

(ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص ١٠١).

تمارسها. فهي تحترم القوة ولا تميل إلى احترام الطيبة التي تعتبرها شكلاً من أشكال الضعف. وما كانت عواطفها متجهة أبداً نحو الزعماء الرحيمين والطيّبي القلب، وإنما نحو المستبدين الذين سيطروا عليها بقوة وبأس... إن نمط البطل العزيز على قلب الجماهير هو ذلك الذي يتخذ هيئة القيصر. فخيلاؤه تجذبها، وهيبته تفرض نفسها عليها، وسيفه يرهبها»[٢٣].

ويقول الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكّار في كلام بليغ: «والدعاية عبارة عن محاولة للتأثير في عقول الجماهير ونفوسهم والسيطرة على سلوكهم. وبما أن التفكير نوع من تردد العقل في ظاهرة ما، فإن مهمة الدعاية هي تقصير أمد ذلك التردد، وتضييق دوائر إعمال العقل. والدعاية تتكامل مع الاستبداد في أكثر الأحيان حيث يغلق المستبد كل مصادر المعلومات من الخارج ويخنقها في الداخل، ليفسح المجال أمام ما يريد بثه من أفكار عن طريق الدعاية»[٢٤].

ولقد درج الناس في فهم الاستبداد على أنه وسيلة أصحاب السلطات الجائرة لاضعاف الشعوب الكادحة، بيد أن الواقع يؤيد أن الاستبداد هو أداة يفرضها كل من يرى لنفسه النرجسية قدم سبق وعلو منزلة على الأحرار؛ فيسعى إلى التنمر عليهم وإملاء ما تشرب به عقله من أفكار بكل وسائل التزيين والاحتيال واختلاب العقول، ولو كلف ذلك النيل من هيبة العلم والعدالة والإنصاف.

فالقارئ يتساءل: كيف تسربت الأفكار الضعيفة إلى بطون الكتب من غير رادع لها؟، وكيف تمكن الكذابون والضعفاء من فرض استبدادهم على

(٢٣) سيكولوجية الجماهير، ص ٧٧.

(٢٤) فصول في التفكير الموضوعي، ص ٢٢٥.

العقول المسلمة، حتى أصبحت الأفهام لا تتداول إلا ما أملته أفواه الواقدي وسيف بن عمر التميمي وأضرابهما؟

نعم لقد تسربت أقوال الضعفاء إلى أفهام الناس واستبدت بعقولهم، ولن تتخلص العقول من هذا الاستبداد الموروث إلا بتطبيق مناهج البحث على كل رواية، وعندها ستتحرر الأقلام من هيمنة الأقوال الباطلة التي فرقت الأمة شيعاً وأحزاباً.

وأصحاب الأقوال التي ضعفها المنهج الإسلامي قد تتاح لهم الفرصة ليستبدوا ويستأسدوا إذا وجدوا من القراء من يأخذ عنهم ويعينهم على تكبيل عقولهم؛ فبقاء الكذابين مرهون بوجود من يصدق أباطيلهم ويسعى للاحتجاج بها في ساحات العلم والمعرفة.

ولقد علم الكذابون أن هناك من يصدقهم، فلهذا كذبوا وكثر من سار بأكاذيبهم!!، ولا أرى لقوافلهم نهاية لأنه صراع دائم بين الحق والباطل والصدق والكذب.

إن الكذابين وكل الذين وضعوا الأباطيل في التاريخ لفي عجب من أمر مصدقيهم والناشرين لأكاذيبهم، وعجبهم أشد من عجب الذين عرفوا الحق واتبعوه. فالذين عرفوا الحق من مصادره يسعون لنشره ويسعون إلى بيان مواقع الباطل ويحذرون الناس منه، فعجبهم لا يتجاوز الحسرة على حال أناس يُراد لهم الحق والصدق ولكنهم لا يلتفتون إليه.

وأما الكذابون فيعجبون من تلك العقول التي تصاغرت لأكاذيبهم التي تضع حامليها ومعتقديها في دركات الجهل بالحقيقة. فهم ـ أقصد الكذابين ـ في نشوة من أمرهم حينما يرون باطلهم وقد تحكم في العقول وطم في الأوساط المثقفة عبر القرون.

ويجترئ الكذابون في أقوالهم لأجل معاداة الحق، فهم حينما تخلوا أيديهم من البراهين فإنهم يسعون لنشر روايات لا قيمة لها ويبثون فيها أخباراً باطلة، ويقومون على طمس معالم الحقيقة بتجاهل الحق وأهله، لأن في عالم الكذب «تعمد فاضح ومكشوف لتجاوز الضوابط والقيود والتعدي عليها في سبيل الإضرار بالآخر»[٢٥].

وكثير من الناس الصادقين قد تعرض لهم بالسوء من حاول طمس أنوار وجودهم، وخير دليل على ذلك ما قاله الناس في سعد بن أبي وقاص ﷺ حسب الرواية التي نقلها ابن الأثير في كامله[٢٦]. وكذلك الإمام محمد بن جرير الطبري، على جلالة منزلته العلمية، فإنه لم يسلم من الأذى؛ فقد ادعوا عليه بالإلحاد[٢٧].

ونقل الدكتور محمد بن موسى الشريف عن تاج الدين عبد الوهاب السبكي قوله: «فإن أهل التاريخ ربما وضعوا من أناس ورفعوا أناساً لتعصب، أو لجهل، أو لمجرد اعتماد على نقل مَن لا يوثق به، أو غير ذلك من الأسباب، والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل، وكذلك التعصب، وقَلّ أن رأيت تاريخاً خالياً من ذلك»[٢٨]. ونقل عنه أيضاً: «المؤرخون، وهم على شفا جرف هار؛ لأنهم يتسلطون على أعراض الناس، وربما نقلوا مجرد

(٢٥) الحدود بين حرية التعبير والإساءة إلى الآخر، ص٩٣.

(٢٦) نقل ابن الأثير: «وقال سعد: إني لأول رجل أهراق دما من المشركين، ولقد جمع لي رسول الله، ﷺ، أبويه وما جمعهما لأحد قبلي، ولقد رأيتني خُمس الإسلام، وبنو أسد تزعم أنّي لا أُحسن أصلي وأن الصيد يلهيني» (الكامل في التاريخ، ج٣/ ص٦).

(٢٧) ذكر ابن الأثير ما نصه: «دفن ليلًا بداره، لأن العامة اجتمعت، ومنعت من دفنه نهاراً، وادعوا عليه الرفض، ثم ادعوا عليه الإلحاد؛ وكان علي بن عيسى يقول: والله لو سُئِل هؤلاء عن معنى الرفض والإلحاد ما عرفوه، ولا فهموه، هكذا ذكره ابن مسكويه صاحب تجارب الأمم، وحُوشي ذلك الإمام عن مثل هذه الأشياء» (الكامل في التاريخ، ج٨/ ص١٣٤).

(٢٨) إعداد المؤرخ الثقة، ص١٠ ـ ١١ نقلًا عن (خمس فتاوى لم تنشر ـ مجلة معهد المخطوطات ٢/ ١٦٣).

ما يبلغهم من صـادق أو كاذب، فلا بد أن يكون المؤرخ عـادلاً عدلاً، عارفاً بحال من يترجمه... وربما كان الباعث له في الضَعة من أقوام مخالفة العقيدة، واعتقاد أنهم على ضلال فيقع فيهم، أو يقصر في الثناء عليهم لذلك»[٢٩].

فلا تنتهي تبعـات الكذابين عند فراغهم من وضـع الأكاذيب ودفنها في الكتب، ولا تنتهي مسـؤولية الناقلين للكذب والمحتجين به بمجرد الإشارة إلى مواضـع ما نقلوه من قـذف بالباطل وتحريض على عبـاد الله. فلا يرى الإنسـان «فرقاً بين العدوان على أموال الناس وحقوقهم، وبين العدوان على عقائدهم وآدابهم، بل إن العدوان أشـد ضرراً، وأسـوأ نتيجة؛ فالإنسـان قد يتساهل في ماله وحقه، ولكنه لا يتساهل في عقيدته وأدبه وذوقه...»[٣٠].

ومن يتتبع أقوال الضعفاء على أهل النهروان والإباضية يدرك أن الإشاعات ضدهم في اتسـاع دائم، والأعجب من اطراد اتسـاعها أنها ـ أي الإشاعات ـ وجدت في أوسـاط ناشـريها من نسـبها زوراً وكذباً إلى العلم، ووجدت من الكُتَّاب من اعتمد عليها في مجادلاتهم من غير دراسة لأسانيدها ومتونها.

والقارئ لما سـطرته أقلام الذيـن عطلوا مناهج التلقـي واعتمدوا على الروايات الضعيفة يدرك أن ما نسـبوه إلى الإباضية من آراء لا واقع لها، وأن كتاباتهم ما هـي إلا محاولة لتجريـد الإباضية من كل فضيلـة يعتزون بها وإظهارهم على غير ما هم عليه من الاستقامة.

فكُتَّاب المسلمين عليهم رفض الأقوال الضعيفة، وضبط أقلامهم بمناهج الإسلام الرافضة للإشاعات المغرضة؛ إذ المهمة هي: حق يُظهر وباطل يُدمغ،

(٢٩) إعداد المؤرخ الثقة، ص١١ نقلًا عن (خمس فتاوى لم تنشر ـ مجلة معهد المخطوطات ٢/ ١٦٤).

(٣٠) الحدود بين حرية التعبير والإساءة إلى الآخر، ص٩٤ نقلًا عن كتاب (أخلاقنا الاجتماعية لمصطفى الرفاعي).

ولا مكان في أروقة العلم للمقولة[٣١]: «لا تدمر الأفكار المنتشرة بالعدوى[٣٢] إلا بواسطة آراء منتشرة بالطريقة ذاتها» والتي يعدها بعضهم إحدى قواعد علم النفس ويلجأ إليها الساسة عند «مقارعة العدوى بالعدوى».

ومما أعجبني، وأفتخر بقراءته ونقله، ويشرفني إضافته في هذا البحث هو ما قاله الدكتور محمد بن موسى الشريف، حيث قال: «يطالب بعض المستشرقين ومَن لفّ لفهم بالكتابة بدون العواطف، وتركها جانباً حين التصنيف، وهذا أمر غير ممكن، فالمرء لا يمكن أن يكون حيادياً في الكتابة في سير أهله وأبطاله وعظمائه بل قلبه يحن إليهم، وعواطفه وأشواقه يبثها في كتابته، لكن الحياد الممكن المطلوب هو الحياد العلمي، فلا يلوي عنق الحقائق، ولا يرجح بدون مرجح ظاهر واضح، ولا يظلم أحداً لحساب صاحب الترجمة، ولا يبالغ، ولا يهول في موضع التهوين، ولا يهون في موضع التهويل، وهكذا... ومن المهم الإشارة إلى وجوب الإنصاف في الترجمة؛ فإن جماعات من الناس ظُلموا بسبب الهوى أو عدم فهم بعض أقوالهم أو أعمالهم...»[٣٣].

(٣١) الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها، ص٢٤٨.

(٣٢) جاء في كتاب (الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها) ما نصه: «بصورة عامة ودون أن يكون على المرء طرح الكثير من الاستثناءات، فإن المعتقدات الدينية والسياسية تنتشر على الأخص عن طريق العدوى، وخاصة بين الجماهير. وهي تحدث بقوة أكبر كلما كان الجمهور أكثر عدداً. والاعتقاد الضعيف سيعزز اجتماع الأشخاص الذين يتشاركونه من قوته بسرعة كبيرة جداً. بفضل قدرة العدوى تغدو القيمة العقلانية للمعتقد المنتشر دون أهمية. ولأن العدوى تمارس تأثيرها على اللاوعي فإن العقل لا يلعب فيها أي دور...». (الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها، ص٢٤٦ ـ ٢٤٧).

(٣٣) التراجم وأثرها في السلوك الإنساني، ص١٦١، ومما قاله الدكتور محمد موسى الشريف في كتاب آخر: «... لكن في ظني أن أي مؤرخ في الدنيا لا يمكن له أن يتخلى عن عاطفته تماماً وهو يكتب، وهذا الذي يطلق عليه أحياناً فلسفة المؤرخ للتاريخ» (كيفية قراءة التاريخ وفهمه، ص٨٦).

وقال الدكتور عبد الله زيد صلاح: «لا يستطيع الباحث التجرد عن أحاسيسه وانفعالاته، على غرار التعاطي مع المسائل العلمية البحتة... لكن مع ضرورة عدم إلغاء العاطفة لقوانين المنهج واعتباراته المحورية. بحيث لا تكون العاطفة أو النزعة الفردية هي الدافع والأداة والرؤية في القراءة والنقد»[٣٤].

وكَتَبَ غستاف لوبون حول «الحيادية في التاريخ» ما نصه: «طالما نُظر إلى الحيادية على أنها المزية الأكثر جوهرية لمؤرخ ما. فالجميع منذ تاسيت يؤكدون أنهم حياديون. وفي الواقع فإن الكاتب يرى الأحداث كما يرى الرسام منظراً ما، أي عبر مزاجه، وطبعه، وروح عرقه... من المستحيل إذن... إنتاج كتاب تاريخي غير متحيز فعلاً. إذ لن يسع أي كاتب أن يكون كذلك ولا يصح أن نأسف لأن أي كاتب لم يكن كذلك. إن ادعاء الحيادية، المنتشر جداً هذه الأيام يقود إلى إنتاج هذه المؤلفات التافهة، الرمادية والمضجرة جداً التي تجعل فهم العصر أمراً مستحيلاً تماماً... إن الباحث في علم الأخلاق ينبغي أن يناقش حصراً الأهمية الاجتماعية وعدم الحكم على الأشخاص إلا وفقاً لهذه الأهمية... وتبعاً لمثل هذه الأنماط والقواعد المشتقة من الضرورات الاجتماعية ينبغي على الباحث في علم الأخلاق الحكم على أشخاص الماضي، مادحاً أولئك الذين كانوا مفيدين، لائماً الآخرين، فيسهم في تثبيت أنماط أخلاقية لا غنى عنها لمسيرة الحضارة وتفيد كنماذج يُقتدى بها...

أما وجهة نظر عالم النفس فستكون مغايرة تماماً... فإن عالم النفس ينبغي أن يظل غير متحيز. فلا ينشغل، وهو يتأمل الأشياء بعين العالم، كثيراً بقيمتها النفعية، ويسعى فقط لتفسيرها. إن حالته حالة المراقب أمام ظاهرة ما... إن

(٣٤) التيه العربي (تأملات في الواقع الصعب)، ص٣٢.

دور المؤرخ ودور عالم النفس ليسا متماثلين كما يظن البعض، لكن يمكن أن نتطلب من الأول كما من الثاني أن يحاول عبر تفسير حكيم للوقائع الكشف تحت البديهيات المرئية عن القوى غير المرئية الكامنة التي تحددها»[٣٥].

فالحيادية التي ندعو إليها هي التي أقرها المنهج الإسلامي في تقييم الأفكار والأفراد والجماعات، إذ لا مكان في ساحاته للعواطف الرعناء وطمس الحقائق الظاهرة البينة.

وحينما سَهُل لَيّ أعناق الحقائق، وغلب الهوى[٣٦] على أفئدة بعض الكتاب، واستشرى الكذب والظلم في أوساط من تجرأ على الإباضية في هذا العصر، ما كان منا إلا أن نسترشد بما حوته آية الشعراء من معان، فقد أذن الله لنا بقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. ففي هذه الآية الكريمة تتراءى لكل بصير المناهج، والمبادئ، وصور الظالمين، وجهود المظلومين. فرد كيد الكائدين، وظلم الظالمين بسهام الحق واجب يمليه الإيمان، فعلى من أراد الانتصار أن يأخذ بالأسباب؛ فيكثر من الذكر ويعمل صالحاً.

---

(٣٥) الثورة الفرنسية وسيكولوجيا الثورات، ص ١٥٩ ـ ١٦١.

(٣٦) قال العالم الفرنسي غستاف لوبون في كتابه (الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها) عند تعريفه للأهواء ما نصه: «تشكل العواطف الثابتة وذات الشكل المستحوذ الموصوفة بالأهواء كذلك عوامل قوية في الآراء والمعتقدات، وبالتالي في السلوك. وبعض الأهواء المعدية تصبح، لهذا السبب، جماعية بسهولة. ويصبح عندئذ تأثيرها لا يقاوم. وقد دفعت الكثير من الشعوب لمهاجمة بعضها بعضاً في مختلف مراحل التاريخ. الأهواء يمكنها أن تحرض نشاطنا، لكنها يمكن أن تحرف الآراء عن الصواب أغلب الأحيان، وتمنع من رؤية الأشياء على حقيقتها ومن فهم نشأتها. وإذا كانت كتب التاريخ تطفح بالأخطاء فذلك لأن الأهواء في أغلب الأحيان هي التي أملت الحكاية. ولن يُذكر على الإطلاق، كما أعتقد، مؤرخ روى أحداث الثورة دون تحيز. إن دور الأهواء، كما نرى، عظيم الأهمية في تكون آرائنا وفي أصل الوقائع...» (الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها، ص ١٦٧).

فأي ظلم أعظم من اتهام أسلاف الإباضية بأنهم خرجوا من «رحم اليهودية»[٣٧]؟.

ولقد أخذنا ـ ولله الحمد والمنة ـ بالأسباب في الرد العلمي على من قال هذه الأقوال الباطلة، وأنا على يقين تام أن جميع المسلمين من كل مذاهب الإسلام لا يرضون بهذه الأقوال أبداً، وأن الذي كتب هذه الأباطيل إنما هو ممن ابتليت بوجودهم الأمة الإسلامية.

«إن الوعي بطبيعة أية قضية، يظل هو الخطوة الأولى على طريق التعامل معها، وإن القارئ في التاريخ وفي غيره بحاجة إلى امتلاك رؤية شاملة لوضعية العلم الذي يقرأ فيه، حتى يجني من قراءاته ما يعود عليه بأكبر نفع، وحتى يتقي الأعراض الجانبية الضارة التي تصاحب كل معرفة»[٣٨].

فقضيتنا في هذا البحث هي إثبات تعدد الموازين عند من أساء إلى الإباضية من كُتَّاب التاريخ، وإظهار أساليبهم التي اعتمدوها في الكيل بمكاييل لا ضابط لها ولا مُقَيِّم ولا مُقَوِّم، وبيان ازدواجية أحكامهم على الناس من غير مراعاة لضوابط الإسلام في قول الحق.

والذي أرنو إليه هو أن يسعى الإباضية لبيان ما هم عليه من عقيدة وسلوك، وأن تتسابق أقلام المسلمين كافة إلى تطبيق مناهج الأمة عند الحكم على الناس.

وحسبي في هذا المقام نقل ما قاله الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكّار: «فالكلمة الأخيرة ليست كلمة المؤلف، وإنما هي كلمة القارئ؛ فهو الذي

(٣٧) الخوارج تاريخهم، فرقهم، عقائدهم، ص ٤.
(٣٨) القراءة المثمرة (مفاهيم وآليات)، ص ١٢٠.

سيقرأ، وهو الذي سيتفاعل ويقتنع. وينقل قناعاته إلى غيره.. إن الكتاب لا يحيا، ولا يبلغ أهدافه إلا به؛ ولذا فإن موقفه حيوي للغاية»[٣٩].

وحسبي في هذا المقام أيضاً جعل كتابات بعض ممن لم ينصف أهل النهروان والإباضية كعينة لما أملته أقلام كثير من الناس وأفواههم عبر القرون الماضية، وعرض تلك الكتابات على قواعد المنهج العلمي وأصوله الذي أمر به ديننا الحنيف، وأملي أن تقرع أصواتنا الداعية إلى تطبيق مناهج الإسلام أذاناً سليمة من كل وقر فتقوم بالتصحيح والتصويب ورد الأباطيل.

وأنت أيها القارئ الكريم عند تفاعلك مع هذا المؤلَف ستجد إشارة للضوابط التي يحتكم إليها عند تقييم الأخبار. وستجد مناهج الأمة الإسلامية ناطقة بحكمها على الروايات والأفكار التي نُسبت إلى أهل النهروان والإباضية، وستجد النفسية ذات الطابع الجماهيري، التي لا يقودها العلم ولا العقل، هي المؤثرة على الكُتَّاب الذين نسبوا الإباضية وأهل النهروان إلى الخوارج.

وأدعو الله تعالى أن يعيننا جميعاً ويلهمنا رشدنا كي نطبق مناهج الإسلام المنصفة في جميع مناشط حياتنا.

وهذا جُهْدُ المُقلِّ، وأدعو الله تعالى أن يتقبله مني، وأن يجعل أجره أضعافاً مضاعفة في ميزان حسناتي...

وصلى الله وسلم على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

أخوكم / علي بن محمد بن عامر الحجري

ولاية بدية ـ سلطنة عمان

١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م

(٣٩) القراءة المثمرة (مفاهيم وآليات)، ص ٧٧ ـ ٧٨.



قراءة منهجية في كتاب (الكامل في التاريخ)

لا يخلو كتـــاب (الكامل في التاريخ) من ذكر للمنهـــج الصائب، وكذلك من لمسات صادقة في تطبيقه على كثير من الأخبار التي وصلت إلى علم ابن الأثير، وفي مواضع كثيرة وعلى طول موســـوعته التاريخية وعرضها، عَبَّرَ ابنُ الأثير عن رده لكثير من الأحداث لعدم تطابقها مع الأسس العلمية التي تُقَيِّم الأخبار. وهذه ميزة طيبة تضاف إلى مميزات تاريخ ابن الأثير، ولكن القارئ المدقق لا يجد لهذه المميزات أي أثر في كتابات ابن الأثير عندما تكلم عن أهل النهروان والإباضية؛ فقد سار في نقل الأحداث المنسوبة إليهم ضد التيار الذي نادى به واتخذه شعاره ووسيلته في نقد الأحداث التاريخية الأخرى التي رآها هو أهلاً للنقد والرد. ومهما يكن من توجه وشـــعار، فلا يكفينا ذلـــك للحكم على تـــوازن الكاتب حتى نرى تصديق أقواله في واقع الكتابة على كل ما حوته أجزاء موسوعته التاريخية.

وابن الأثير جعل نفســـه رمزا تصدق عليه ـ كما تصـــدق على غيره من كُتَّاب التاريخ ـ الازدواجية في المنهج، وكَيْل الأمور بمكيالين، وهذا الواقع قد أدركه غيري حينما تفحصوا ما في (الكامل في التاريخ) من مواقف تنسب إلى ابن الأثير[٤٠].

(٤٠) انظر ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ من هذا البحث.

ومهما يكن من موقف أمام أي مؤلف، فـ«المهم في كل نقد يوجَّه لأي كتاب أو كاتب: أن يوضح ما الذي كان على الكاتب أن يفعله، وأن يتم تدعيم وجهات النظر التي نرى أنها بديل صالح للصورة التي قدمها، وكلما تمكنا من فعل ذلك أثبتنا أننا لم نقرأ الكتاب فحسب، وإنما أعدنا إنتاجه من جديد»[٤١].

فليس من الميسور على أي كاتب أن يعيد إنتاج أي كتاب بحجم ومنهجية (الكامل في التاريخ)، فالكتاب نفسه له رمزيته ومكانته بين الكتب، فقد أراده كاتبه أن يكون رمزاً لشخصه، وعنواناً لمواقفه، ودليلاً على فكره الذي ينسب إليه. فحسبنا نحن أن نتعرف على الكتاب، ونستنتج منه رأي ابن الأثير، ونعرض ما طرحه من أقوال على القيم المنهجية التي عرفها المسلمون ونادى بها علماء المسلمين عبر التاريخ في صفحات كتبهم، وحسبنا أيضاً أن نعرف مدى تطبيق ابن الأثير لتلك القواعد عند نقله لأحداث التاريخ التي وردت إليه.

وفي كل الأحوال، ينبغي لنا أن نسمع قولة المهتدي إلى الإسلام ـ محمد أسد ـ ونطبقها، حيث قال: «وليس ثمة من مبرر مطلقاً من الناحية العلمية أن يجرح أحد صحة مصدرٍ تاريخي ما، ما لم يكن باستطاعته أن يبرهن على أنّ هذا المصدر منقوص. فإذا لم تقم حجة معقولة، أي علمية، على الشك في المصدر نفسه أو في أحد رواته المتأخرين، وإذا لم يكن ثمة من الناحية الثانية خبر آخر يناقضه، كان حتماً علينا حينئذ أن نقبل الحديث على أنه صحيح»[٤٢].

❁ ❁ ❁

(٤١) القراءة المثمرة (مفاهيم وآليات)، ص ٨٥.

(٤٢) الإسلام على مفترق الطرق، ص ٩٤.

١ مصادر كتاب (الكامل في التاريخ) بين القبول والرفض

فابن الأثير، كغيره من المؤرخين الذين سبقوه أو الذين أتوا من بعده، ذكر مصادر معلوماته التي سطرها في موسوعته التاريخية.

فقد نقل ابن الأثير عن ابن الكلبي[٤٣]، وعن ابن إسحاق[٤٤]، وعن وهب بن منبه[٤٥]، وعن الواقدي[٤٦]، وعن عمر بن ميمون الأودي[٤٧]، ومن كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه[٤٨]، ونقل كذلك من تاريخ ثابت بن سنان[٤٩]، ونقل عن أبي زكريا يزيد بن إياس الأزدي صاحب كتاب تاريخ الموصل[٥٠].

ونقل ابن الأثير أحداثاً كثيرة من تاريخ أبي جعفر الطبري وقد صرح بذلك بقوله: «وإلى أخر هذه السنة انتهى تاريخ أبي جعفر

(٤٣) الكامل في التاريخ، ج١/ ص٤١٠، ج١/ ص٤٣٩، ج٢/ ص١٦.
(٤٤) الكامل في التاريخ، ج١/ ص٤١٦، ج٢/ ص١١١.
(٤٥) الكامل في التاريخ، ج١/ ص٤٢٦.
(٤٦) الكامل في التاريخ، ج٢/ ص٤٠، ج٢/ ص١١١، ج٣/ ص٤٦٦، ج٤/ ص٣٤١، ج٤/ ص٣٧٢، ج٣/ ص٤٢٥.
(٤٧) الكامل في التاريخ، ج٣/ ص٦٥.
(٤٨) الكامل في التاريخ، ج٧/ ص١١٨، ج٨/ ص٧٠٨.
(٤٩) الكامل في التاريخ، ج٨/ ص٦٤٧.
(٥٠) الكامل في التاريخ، ج٧/ ص٤٣٠.

الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ ...»[٥١]، ونقل مشـــافهة عن رجال لا يعرفون قد شـــاركوا في بعض الأحداث[٥٢].

فكما ترى أخي القارئ الكريم، فإن تاريخ ابن الأثير قد جمع ما تفرق في كتب كثيرة ومصادر متعددة، وعلى فرضية عدالة جميع المؤرخين الذين نقل عنهم ابن الأثير ـ وهذا لا يتأتى لأن مـــن الذين ذكرهم ابن الأثير هنا يعد من الكذابين عند علماء الجرح والتعديل ـ، فإن الأخبار والروايات التي ســـطرت في تلك المصادر جاءت من طرق لا تقبل كما هو الحال في تاريخ الطبري.

فليس كون صاحب الكتاب صادقا ثقة يكون ما نقله صحيحا ثابتا؛ وفي ردود ابن الأثير لكثير من الأحداث تصديق لهذه القاعدة المنهجية، وترد على ما ادعاه في مقدمة تاريخه حيث قال هناك: «... **فابتدأتُ بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمـــام أبو جعفر الطبـــري إذ هو الكتـــابُ المعوَّل عنـــد الكافة عليه، والمرجوعُ عند الاختلاف إليه**... وإنما اعتمدت عليه من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقنُ حقاً، الجامعُ علماً وصحة اعتقاد وصدقاً. على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة، **والكتب المشـــهورة، ممن يُعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحة ما دوّنـــوه، ولم أكن كالخابط فـــي ظلماء الليالـــي، ولا كمن يجمع الحصباء واللآلي**»[٥٣].

فنحن نرى هنا ميزانين وقف ابـــن الأثير أمامهما ليقيس بهما ما ورد إليه من أحداث:

---

(٥١) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٩١.

(٥٢) قال ابن الأثير: «ثم دخلت سنة إحدى عشر وســـتمائة... هذه الحادثة لا أعلم الحقيقة أي سنة كانت... لأن الذي أخبر بها كان من أجناد الموصل، وسافر إلى تلك البلاد... ثم عاد فأخبرني بها على شك من وقتها، وقد حضرها...» (الكامل في التاريخ، ج ١٢/ ص ٣٠٣).

(٥٣) الكامل في التاريخ، ج ١/ ص ٣ ـ ٤.

الميزان الأول:

فكل رواية صادفت ميول ابن الأثير، وجاءت في كتب التاريخ عن المجهولين، والضعفاء، والكذابين، والمتروكين فإن ابن الأثير يعول عليها لأنها، في نظره، تنال درجة الصحة لكون من سطرها ونقلها إلينا هو «الإمام المتقن» و«الجامع علماً وصحة اعتقاد وصدقاً».

وبهذا الميزان قَبِل ابن الأثير الروايات الضعيفة التي ذكرها الإمام الطبري عند حديثه عن معركة الجمل لكونها وردت في تاريخ «الإمام المتقن»، ولم يكلف نفسه البحث عن المصادر التي نقل عنها الإمام الطبري. فقد قال ابن الأثير: «لم أذكر في وقعة الجمل إلا ما ذكره أبو جعفر **إذ كان أوثق من نقل التاريخ**[٥٤]، فإن الناس قد حشوا تواريخهم بمقتضى أهوائهم»[٥٥].

وتكرر استخدام ابن الأثير لهذا الميزان عند ذكره لمعركة النهروان، وعند تقييمه لما كان قبلها وما كان بعدها من أحداث؛ وهذا الأسلوب في النقل والنقد الذي سار عليه ابن الأثير وغيره يجعل القارئ يَقِظاً وعلى بصيرة من كل ما سُطر في كتب الأولين.

الميزان الثاني:

وكل قول سُطر في كتب الماضين، ولم يصادف عين الرضى عند ابن الأثير، فإن سهام النقد تسابقت لرده ولو جاء في كتاب من وصفه ابن الأثير بـ«الإمام المتقن» و«الجامع علماً وصحة اعتقاد وصدقاً».

---

(٥٤) قال الدكتور محمد بن موسى الشريف: «وكلامه هذا فيه مبالغة واضحة» (تعريف مؤجز بأشهر كتب التاريخ، ص٢٦) عند نقده للعبارة التي نقلها عن ابن خلكان (وفيات الأعيان ٤/ ١٩١) والتي وصف فيها تاريخ الطبري بأنه «أصح التواريخ وأثبتها».

(٥٥) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٢٦٣.

فها هو ابن الأثير يرسل سهام نقده صوب الإمام أبي جعفر الطبري، حيث قال: «**ولو فكر أبو جعفر في ذلك لاستحيا من نقله**»[٥٦].

وقال في موضع آخر: «قلت: هذا الذي ذكره أبو جعفر... **من النقل القبيح والغلط الفاحش، وفساده أشهر من أن يُذكر، فلولا أننا شرطنا أن لا نترك ترجمة من تاريخه إلا ونأتي بمعناها من غير إخلال بشيء لكان الإعراض عنه أولى**»[٥٧].

فهذا التناقض في أقوال ابن الأثير في حق الإمام الطبري نشأ عن عدم تقيد ابن الأثير بنصيحة الإمام الطبري التي سطرها في مقدمة كتابه، ونشأ عن ازدواجية في التطبيق التي اتبعها ابن الأثير في كتابة تاريخه.

فأبو جعفر الطبري قد وجه القراء إلى المصادر التي نقل منها روايات تاريخه، وطلب من القراء النظر في تلك الروايات من جانب السند والمتن. فموسوعة الأمام الطبري التاريخية حوت ما تناهى إليه من روايات وأقوال، ولم يكن له فيها سوى جمعها وترتيبها حسب التسلسل الزمني للأحداث، ورمى بعهدتها إلى ناقليها إليه، فمن الضيم للإمام الطبري وصفه بعدم الحيا وقبح النقل والفحش في الرواية.

والكُتَّاب وفي مقدمتهم ابن الأثير «لم ينتبهوا إلى تحذيره ـ أي الطبري ـ من الأخذ بكل ما جاء في تأريخه... ولكن أخذوا بعين الاعتبار أنه محدث ثقة حافظ فصدقوا كل ما في تأريخه، وتلك مصيبة تركت أثرها في كتابة التأريخ الإسلامي إلى يوم الناس هذا»[٥٨]. والله المستعان.

---

(٥٦) الكامل في التاريخ، ج١/ ص٤٢٣.

(٥٧) الكامل في التاريخ، ج١/ ص٤٢١.

(٥٨) تعريف موجز بأشهر كتب التاريخ، ص٢٢، نقلا عن (صحيح وضعيف تاريخ الطبري، ج١/ ص٣٦).

ونجد الحس النقدي عند ابن الأثير ـ كمؤرخ ـ حاضراً بقوة في طوايا موسوعته التاريخية، وقد أجاد ابن الأثير ـ والحق يقال ـ عند تطبيقه لمنهج التلقي على كثير من الأخبار التي لم يرتضها، وبين في كثير من الحالات الأسباب التي دعته إلى رد تلك الأحداث والأقوال المنسوبة للناس، فقد رد ابن الأثير أخباراً حينما صادمت تصاريف اللغة(٥٩)، وأخباراً حينما لم تتساوق مع التسلسل الزمني للأحداث(٦٠)، وأقوالًا حينما نالت من علماء الإسلام(٦١)،

(٥٩) قال ابن الأثير: «وفُتحت سَلَمْيَة أيضا، وقيل: إنما سُميت سلمية لأنه كان بقربها مدينة تدعى المؤتفكة انقلبت بأهلها، ولم يسلم منهم غير مائة نفس فبنوا لهم مائة منزل وسُميت سلم مائة، ثم حرف الناس فقالوا: سلمية، **وهذا يتمشى لقائله لو كان أهلها عربا، ولسانهم عربيا، وأما إذا كان لسانهم أعجميا فلا يسوغ هذا القول**...». (الكامل في التاريخ، ج ٢/ص ٤٩٣).

(٦٠) قال ابن الأثير:

- «... **وهذا القول ليس بشيء** لأن عليا استعمل قيساً على مصر أول ما بويع له، ولو أن ابن أبي حذيفة قتله معاوية وعمرو قبل وصول قيس إلى مصر لاستوليا عليها لأنه لم يكن بها أمير يمنعهما عنها، ولا خلاف أن استيلاء معاوية وعمرو عليها كان بعد صفين والله أعلم». (الكامل في التاريخ، ج ٣/ص ٢٦٦).
- وقال أيضاً من موضع آخر: «هكذا في هذه الرواية ذُكر عبد الرحمن بن أبي بكر، **وليس بصحيح**؛ فإن عبد الرحمن بن أبي بكر كان قد مات قبل معاوية» (الكامل في التاريخ، ج ٤/ص ٦).
- وقال أيضاً: «قلت: ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر **لا يستقيم على قول** مَنْ يجعل وفاته سنة ثلاث وخمسين، وإنما يصح على قول مَنْ يجعلها بعد ذلك الوقت». (الكامل في التاريخ، ج ٣/ص ٥١١).
- ومما قاله: «كذا قيل إنه آخر الحوادث أيام ملوك الطوائف، **ولا وجه له**، فإن من أدركت ابنته النبي، ﷺ، يكون بعد اجتماع المُلك لأردشير بن بابك بدهر طويل» (الكامل في التاريخ، ج ١/ص ٣٧٦).
- ومما قاله: «وقد تقدم ذكر وقعة أجنادين على قول من يجعلها قبل اليرموك، **وسياقها على غير هذه السياقة** فلهذا ذكرناها هنالك وها هنا» (الكامل في التاريخ، ج ٢/ص ٤٩٩).

(٦١) وقال ابن الأثير في رده على ابن الجوزي الذي تكلم في حق حماد بن مسلم الدباس: =

وأخباراً تأباها العقول وتمجها الأسماع[٦٢] حسب ما قاله. وعرض أخباراً على الأحكام الشرعية وبين الحكم الشرعي فيها[٦٣].

= «... ورأيتُ الشيخ أبا الفرج بن الجوزي قد ذمه وثلبه، ولهذا الشيخ أُسوة بغيره من الصالحين، **فإنّ ابن الجوزي قد صنّف كتاباً سماه تلبيس إبليس لم يُبقِ فيه على أحدٍ من سادة المسلمين وصالحيهم**» (الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ٦٧١). ومما قاله ابن الأثير أيضاً:

- «وفي هذه السنة، في شهر رمضان، توفي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي الواعظ ببغداد، وتصانيفه مشهورة، **وكان كثير الوقيعة في الناس لا سيما في العلماء المخالفين لمذهبه والموافقين له...**» (الكامل في التاريخ، ج ١٢/ ص ١٧١).
- وقال ابن الأثير أيضاً: «وفي هذه السنة [سنة ٥٦٣ للهجرة] توفي عبد الكريم بن محمد بن منصورا أبو سعد بن أبي بكر بن أبي المظفر السمعاني المروزي، الفقيه الشافعي... **وإنما ذنبه عند ابن الجوزي أنه شافعي، وله أسوة بغيره، فإن ابن الجوزي لم يُبقِ على أحد إلا مكسري الحنابلة**» (الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ٣٣٣).
- وقال ابن الأثير: «وفيها توفي أبو الفتح أحمد بن محمد بن محمد الغزالي، الواعظ، وهو أخو الإمام أبي حامد محمد، **وقد ذمّه أبو الفرج بن الجوزي بأشياء كثيرة** منها: روايته في وعظه الأحاديث التي ليست له بصحيحة، والعجب أنّه يقدح فيه بهذا، وتصانيفه هو ووعظه محشوّ به، مَمْلُوءٌ منه، **نسأل الله أن يعيذنا من الوقيعة في الناس**، ثم يا ليت شعري أما كان للغزالي حسنة تُذكر مع ما ذكر من المساوئ التي نسبها إليه لئلا يُنسب إلى الهوى والغرض؟» (الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ٦٤٠).

(٦٢) فبعد أن ذكر ابن الأثير الأخبار التي تحدثت عن الجيوش التي خرجت من اليمن صوب الصين وبلاد فارس وأرض سمرقند وبلاد الروم، قال معلقاً على تلك الأخبار بقوله: «هذا مما تأباه العقول، وتمجه الأسماع» (الكامل في التاريخ، ج ١/ ص ٤٢٢).

(٦٣) من ذلك:

- علق ابن الأثير على الأخبار التي ذكرت استلحاق معاوية بن أبي سفيان لزياد بن أبيه بقوله: «وكان استلحاقه أول ما رُدّتْ أحكام الشريعة علانية، فإن رسول الله، ﷺ، قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر... فتوهم معاوية أن ذلك جائز له ولم يفرق بين استلحاق في الجاهلية والإسلام، وهذا مردود لاتفاق المسلمين على إنكاره ولأنه لم يستلحق أحد في الإسلام مثله ليكون به حجة. (الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥).
- ومن أقوال ابن الأثير أيضاً: «وقد قيل: إنّ الفرزدق إنما قال هذا الشعر لأن الحُتات لما =

وهذه النظرة من ابن الأثير ينبغي أن تكـــون إحدى أدوات كُتَّاب التاريخ عند دراساتهم لحياة الأفراد ومبادئ الأمم وقيم الشعوب. فكل رواية لا بد لها أن تعرض على الثابت الصحيح مـــن أخبار الناس وعلى ما يتفق عليه حالهم من خير أو غير ذلك. فليـــس لأي كاتب أن ينتقي الأخبـــار التي توافق هواه ليجعلها حجة على من يناوئهم أو حجة لمن يناصرهم.

وابن خلدون قد أكد على المعاني التي أشـــار إليها ابن الأثير هنا، حيث قال في مقدمته: «... حتّى تتمّ فائدة الاقتـــداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدّيـــن والدّنيا فهو محتاج إلـــى مآخذ متعدّدة ومعارف متنوّعة وحســـن نظر وتثبُّت يفضيان بصاحبهما إلى الحقّ وينكّبان به عن المزلّات والمغالط، لأنّ الأخبار إذا اعتمد فيها على مجـــرّد النّقل ولم تحكم أصـــول العادة وقواعد السّياســـة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنسانيّ ولا قيس الغائب منها بالشّاهد والحاضر بالذّاهب، فربّما لم يؤمن فيها من العثور ومزلّة القدم والحيد عن جادّة الصّدق وكثيرا ما وقع للمؤرّخين والمفسّرين وأئمّة النّقل من المغالط فـــي الحكايات والوقائـــع لاعتمادهم فيها على مجـــرّد النّقل غثّا أو سمينا ولم يعرضوها على أصولها ولا قاســـوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنـــات وتحكيم النّظر والبصيرة في الأخبار فضلّوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط»[٦٤].

ومن هذه الوقفات التي سجلها ابن الأثير وأشار إليها ابن خلدون ندرك أن أي كاتب لا يتناول أي فرع من فروع العلـــم والمعرفة بمعزل عن العلوم

= أســـلم آخى النبي، ﷺ، بينه وبين معاوية، فلما مات الحُتات بالشـــام ورثه معاويةُ بتلك الأخوة فقال الفرزدق هذا الشعر. وهذا القول الذي ليس بشيء لأن معاوية لم يكن يجهل أن هذه الأخوة لا يرث بها أحد» (الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٤٧٠).

(٦٤) مقدمة تاريخ ابن خلدون، ص ١٣.

الأخرى التي تعين إلى الوصول إلى الحقيقة. فقراءة التاريخ لا تكون بمعزل عن علم اللغات، وعلم الجغرافيا، وعلم الأنساب وغيرها من العلوم وإلا لجاءت النتيجة خداجاً ومشوهة الملامح. وقد ذكر الدكتور الشريف عدة علوم ذات علاقة وثيقة بعلم التاريخ منها: علم التربية، وعلم السياسة، وعلم الاقتصاد، وعلم الاجتماع، وعلم الجغرافيا، وعلم النفس[٦٥].

وقد دعا الدكتور عماد الدين خليل إلى اعتماد مصادر ذات تخصصات شتى عند تتبع أحداث التاريخ، حيث قال: «سيكون من فضول القول التأكيد على ضرورة التنويع في اعتماد المصادر القديمة ما بين كتب التاريخ العام، والحوليات، وتواريخ الدويلات والأقاليم والمدن، وكتب الخطط، والجغرافيا والرحلات، والتراجم والسير والطبقات، والفقه... الخ، لأن إغناء الجانب الحضاري ـ بخاصة ـ في التاريخ الإسلامي لا يتحقق إلا بهذا التنويع؛ ولأن مقابلة الروايات والنصوص ومناقشتها وصولاً إلى الحقيقة التاريخية، لا يتأتى إلا بالانفتاح على هذا الحشد الزاخر من أنماط المصادر التي ترفد العمل التاريخي من مناحٍ شتى»[٦٦].

وبعد أن بين الدكتور محمد بن موسى الشريف الصفات[٦٧] التي ينبغي أن يتحلى بها مريد التاريخ وكاتبه، قال: «تلك كانت صفاتٍ خمساً لا يمكن لمريد التخصص أن يُبدع أو يكون له نتاج حسن إلا إن كان متصفاً بها، ولو فاتته واحدة منهن ظهر النقص في عمله، والعُوارُ في تقريراته وتعليقاته،

(٦٥) إعداد المؤرخ الثقة، ص٤٩ ـ ٥١.

(٦٦) في التأصيل الإسلامي للتاريخ، ص٢٥.

(٦٧) الصفات التي أرادها الدكتور الشريف للمؤرخ هي: ١ ـ حسن الصلة بالله، ٢ ـ القدرة على النقد الحسن، ٣ ـ الرغبة الدافعة له إلى الصبر، ٤ ـ الذكاء وحسن الاستنباط والتعليل، ٥ ـ اتباع الحق لا التجرد والحياد (انظر كتاب إعداد المؤرخ الثقة، ص٩ ـ ١٧).

وليس شرطاً أن يبلغ الكمال في كل صفة منها بل حسبه أن يكون فيه قدر من كل صفة يؤهله للمضي في بحثه سليماً من الضعف، آمناً من الزلل، وهو أمر لا ينضبط لكن يُقدّر تقديراً مرده إلى عرف الزمان والمكان، والله أعلم»[٦٨].

ويؤكد الدكتور محمد بن موسى الشريف على هذا المعنى بقوله: «وليس النقد فقط هو المراد، إنما المراد هو النقد القائم على أسس شرعية صحيحة، وهذا لا يقوى عليه إلا مؤرخ له حظ وافر من العلوم الشرعية. وقد كان أكثر المؤرخين القدامى علماء شرعيين؛ فلذلك كانت كتاباتهم موثقة ومعتدلة إلى حد كبير، فالإمام الطبري صاحب (تاريخ الأمم والرسل والملوك) كان إماماً مجتهداً عارفاً بالفقه والحديث والتفسير واللغة بل كان إماماً في كل ذلك»[٦٩].

وقال أيضاً: «... لا بد لمن يريد التصدي لنقد الحوادث التاريخية أن يحوز قدراً جيداً من الثقافة الشرعية يستطيع به أن يميز الصالح من الطالح، ويحسن به الانتقاء والاختيار. والحد الأدنى أن يكون عارفاً لطرائق تمييز الأخبار الصحيحة من السقيمة بموازين أهل الحديث، وأن يكون عارفاً بالحلال والحرام على وجه الإجمال وليس التفصيل»[٧٠].

فوزن الأخبار بالمعايير، التي أشار إليها ابن الأثير والدكتور الشريف والدكتور عماد الدين هنا قبل نشرها والاحتجاج بها على الناس، واجب فرضه الإسلام على كل قائل وناقل إن كانت هناك فوائد شرعية من وراء القول والنقل.

(٦٨) إعداد المؤرخ الثقة، ص ١٧ ـ ١٨.

(٦٩) كيفية قراءة التاريخ وفهمه، ص ٩٤.

(٧٠) كيفية قراءة التاريخ وفهمه، ص ٩٦.

وليس أمام الكُتّاب أي خيار سوى اتباع ما أسسه شرع الله من ضوابط والتي حددها قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، وقول الرسول ﷺ: (كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)[٧١].

فأي قول لا يتفق مع ضوابط الشرع، ولا يرتكز على الأسس المنهجية التي أقرها القرآن الكريم وبينها الرسول ﷺ وشرحها علماء الإسلام، فهو إشاعة مغرضة تضر المجتمع، ولا يخفى شرها على قائلها وناقلها. ومما عرف يقيناً أن «اعتبار نشر الإشاعات وترديدها سلوكاً منافياً للفضائل والآداب الإسلامية والاجتماعية وعمل غير أخلاقي»[٧٢].

ومن الواضح جلياً أن ابن الأثير ومن سار على دربه لم يكن لهم حظ في تطبيق الأسس المنهجية التي عرفوها حينما كتبوا عن أهل النهروان والإباضية، لهذا فقد كثرت في كتبهم الإشاعات وتزاحمت في سطورها أقوال الكذابين والضعفاء.

فكان حرياً بابن الأثير أن يتخير المصادر الصادقة في كل مواطن أجزاء موسوعته التاريخية، وأن يطبق مبادئ البحث العلمي على كل الروايات والأقوال التي وصلت إليه قبل أن يسطرها في كتابه، وألا يكون منحازاً للموروثات الفكرية التي صادمتها الأدلة القاطعة، وأن يبتعد ـ كمؤرخ ـ عن الكيل بمكيالين، بل كان ينبغي له أن يكون سباقاً لترسم خطوات لسان ميزان العدل والإنصاف الذي أقره الإسلام ودعا إليه علماء الإسلام قاطبة.

(٧١) صحيح مسلم، الرواية: ٥، ص٤٩.

(٧٢) محددات الإشاعة في السلم والحرب، ص٢٥.

ومما قاله الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكّار: «ولعل من أهم الأدوات التي ينبغي أن نقبض عليها القدرة على رؤية موضوعية بعيدة عن الهوى والذاتية والقراءات الناقصة... ولن يحصل من ذلك شيء إلا إذا امتلكنا فضيلة الصبر والجلد على إعمال الفكر، وتقليب النظر، والكف عن (التكديس الذري) للمعلومات دون الوقوف على النواميس العليا التي تنتظمها في مسارات محددة، وتوزعها على مفاهيم واضحة تخرجنا من التيه، وتعصمنا من العيش في الأوهام وردود الأفعال...»[٧٣].

وأخيراً، وبما أن واقع كتاب (الكامل في التاريخ) ليس على ما روج له صاحبه، فهو وإن كان غنياً بالفوائد، يبقى علينا نحن القراء أن نقوم بمهمة التثبت من كل المصادر التي أشار إليها ابن الأثير ونقول فيها قولة الحق، ونعمل بما سجله الدكتور عماد الدين خليل والدكتور محمد بن موسى الشريف من توصيات، لأننا على يقين أن هذا هو مطلب ابن الأثير وغيره من علماء الإسلام.

❁ ❁ ❁

(٧٣) فصول في التفكير الموضوعي، ص٦.



٢ ابن الأثير يزكي كتابه (الكامل في التاريخ)

وأما مقولة ابن الأثير: «على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة، **والكتب المشهورة، ممن يُعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحة ما دوّنوه، ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي، ولا كمن يجمع الحصباء والآلي**» فلا واقع لها، والكتاب لا يصدقها.

وقد نقد الدكتور عماد الدين خليل هذه العبارة التي سجلها ابن الأثير في مقدمة تاريخه: «أما قوله... في أنه لم ينقل إلا ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحة ما دونوه.. وأنه لم يكن كالخابط في ظلماء الليالي.. إلى آخره.. فيه نظر.. ذلك أنه في الأقسام الأولى من مؤلفه، منذ حديثه عن بدء الخليقة وحتى القرون الهجرية الثلاثة الأولى، نقل الكثير الكثير عن مصادر لم تكن كلها موثوقة صحيحة، واعتمد روايات وأخباراً فيها الغث والسمين.. لا بل أنه نقل مساحات واسعة جداً من الطبري ـ في كتابه (تاريخ الرسل والملوك) ـ بكل ما تتضمنه هذه المساحات من خطأ وصواب، فيما حذر منه الطبري نفسه، دون أن يمارس، إلا في حالات قليلة، النقد والعزل والموازنة والشك والتمحيص»[٧٤].

فتاريخ ابن الأثير يصدق عليه قول ابن خلدون: «كثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها

(٧٤) حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ص٥١ ـ ٥٢.

على مجـرد النقل غثاً أو سـميناً، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسـوها بأشـباهها، ولا سـبروها بمعيار الحكمـة والوقوف على طبائـع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فـي الأخبار، فضلوا عن الحـق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط...»[٧٥].

فالنظرة العامة لتاريخ ابـن الأثير تدلنا على أن حـال تاريخه هو كحال الكتب الأخرى؛ لا بد أن تعرض رواياته ومواقفه على منهج الأمة الإسلامية خاصة عندما يكون الحديث عن جماعات المسـلمين وأفرادهم، وألا يُكتفى بتزكية ابن الأثير لتاريخه.

❋ ❋ ❋

(٧٥) مقدمة ابن خلدون، ص ١٣.



٣ ابن الأثير ينقل أخباراً بصيغ التمريض

ومما يؤكد أيضاً عدم تقيد ابن الأثير بشرطه الذي قال فيه: «على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة، والكتب المشهورة، ممن يُعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحة ما دوّنوه، ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي، ولا كمن يجمع الحصباء والآلي»، هو أنه كثيراً ما يأتي بصيغ التمريض، وبعبارات تدل على عدم تيقنه عند نقله لأخبار وردت إليه، حيث قال:

«**وقيل** في إسلامه غير هذا...»[٧٦]، و«**وقيل**: إن المختار بن أبي عُبيد، وزياد بن أبيه ولدا فيها»[٧٧]، و«**وقيل**: إنه عُمل سنة ثمان وهو الثبت»[٧٨]، و«وقد **قيل**: إن وقعة أجنادين كانت سنة خمس عشرة وسيرد ذكرها إن شاء الله»[٧٩]، وغيرها[٨٠] من الأخبار التي صدرها بصيغ التمريض.

---

(٧٦) الكامل في التاريخ، ج ٢/ ص ٨٧.

(٧٧) الكامل في التاريخ، ج ٢/ ص ١١١.

(٧٨) الكامل في التاريخ، ج ٢/ ص ٢٢٦.

(٧٩) الكامل في التاريخ، ج ٢/ ص ٤١٨.

(٨٠) ومن أمثلة ذلك قول ابن الأثير:

ـ «**وقيل**: إن عياضاً أرسل عمير بن سعد إلى رأس عين ففتحها بعد أن اشتد قتاله عليها. **وقيل**: إن عمر أرسل أبا موسى الأشعري إلى رأس عين بعد وفاة عياض. **وقيل**: إن خالد بن الوليد حضر فتح الجزيرة مع عياض ودخل حمّاماً بآمد فأطّلى بشيء فيه خمر فعزله عمر. **وقيل**: إن خالداً لم يسرْ تحت لواء أحد غير أبي عبيدة والله أعلم» (الكامل في التاريخ، ج ٢/ ٥٣٥). =

ونجـده يصرح عن بعـض مصادر معلوماتـه بقوله: «حكـى لي بعض التجار...»[٨١].

وبقوله: «حدثنـي بهذا رجل من عقلاء النصارى ممـن دخل تلك البلاد وعرف حالها، وسألت غيره، فعرف البعض وأنكر البعض»[٨٢].

وينقل أحياناً الخبر ويرد عهدته إلى ناقله حيث قال في موضع: «... هكذا ذكره أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه، **والعهدة عليه**»[٨٣].

وقال في موضع آخر: «... حتى مات ابن شيركوه ليلة عيد الأضحى فإنـه شـرب الخمر وأكثـر منهـا، فأصبـح ميتـاً، فذكـروا، **والعهدة عليهم**...»[٨٤].

وقال أيضاً: «ذكر أصحاب التواريخ في هذه الحادثة أقاويل نحن نذكرها جميعها **للخروج من عهدتها**»[٨٥].

وقال أيضاً: «كذا قال أبو جعفر وغيره من العلماء: إنه ركب إبليس وطاف عليه، والعهدة عليهم، **وإنما نحن نقلنا ما قالوه**»[٨٦].

= ـ و«**وقيـل**: إن عبد الملك اعتمر هذه السـنة، ولا يصـح» (الكامل فـي التاريخ، ج ٤/ ص ٣٧٣).

ـ «**وقيل**: إن أهل سمرقند خرجوا على المسـلمين وهم يقاتلونهم يوم فتحها...» (الكامل في التاريخ، ج ٤/ ٥٧٤). وغيرها من المواضع.

(٨١) الكامل في التاريخ، ج ١٢/ ص ٤٩٩.

(٨٢) الكامل في التاريخ، ج ١٢/ ص ٤٦٦.

(٨٣) الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ٤١٠.

(٨٤) الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ٥١٨.

(٨٥) الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ٨١.

(٨٦) الكامل في التاريخ، ج ١/ ص ٦١.

واعتماد ابن الأثير على أســلوب التمريض في نقل الأخبار، إنما يحمل تبرئة ذمته من تبعات النقل، ولكنه يتناقض مع ما سطره في مقدمة كتابه حين قال: «على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة، والكتب المشهورة، ممن يُعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحة ما دوّنوه...»، لهذا وجب عدم الالتفات إلى ما قاله في مقدمة كتابه من تزكية وإطراء.

❋ ❋ ❋



٤ ابن الأثير ينقل أخباراً ويعرضها على مصادر أخرى لها صلة بفحواها

ويورد ابن الأثير روايات مختلفة لحدث واحد وينقلها في كتابه كما وردته، فقد قال: «... وقد ذكر غيره من العلماء بالتواريخ هذه الحوادث **مخالفة لهذا في بعض الأمور مع تقديم وتأخير، ونحن نوردها**»(٨٧).

وقال أيضاً: «هذا الذي ذكره في هذه الرواية **مخالف لما تقدم**، ولو أمكن الجمع بين الروايتين لفعلت...»(٨٨).

قال ابن الأثير: «... **ولا نعلم أهذا اختلاف من المؤرخين** أم هما غزاتان، ويكون أهلها قد غدروا بعد هذه الدفعة والله أعلم»(٨٩).

وقال أيضاً: «**وإنما ذكرتُ اختلافهم والحادثة واحدة** لأن كل سبب منها قد ذكره بعض العلماء، فمتى تركنا أحدهما ظن من ليس له معرفة أن كل سبب منها حادث مستقل. وقد أهملناه، **فاتينا بهما جميعا لذلك ونبهنا عليه**»(٩٠).

(٨٧) الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ٣٨٠.
(٨٨) الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ٣٨٥.
(٨٩) الكامل في التاريخ، ج ٧/ ص ١٠٦.
(٩٠) الكامل في التاريخ، ج ١/ ص ٥٤٧.

ونجد ابـــن الأثير يرد أخباراً بعـــد عرضها على روايات هـــي أثبت منها جاءت في كتب أخرى، فقد قال عنـــد ترجيحه لبعض الأخبار: «**وهذه الرواية أصح، فإن البخاري ومســـلماً أخرجاها في صحيحيهمـــا**»[٩١]. وقال أيضاً في مناســـبة أخرى: «... **والأول أصح، لأن البخاري قد ذكـــر في صحيحه...**»[٩٢] وقال أيضاً: «... **إلا أن النفس أكثر ثقة بنقل ابن ماكولا لأنه الإمام العالم بهذه الأمور...**»[٩٣].

فهذه الأقوال التـــي قالها ابن الأثير في كتابه إرشـــاد لكل قارئ أن يقوم بالتثبت من الروايات من خـــلال عرضها ومقارنة ما تحويـــه من أخبار على روايات أخرى ذات صلة علمية بالموضوع، وهـــذه الخطوة جزء من المنهج الداعي إلى التبين قبل إطلاق الأحكام.

وهـــذه الجزئية من المنهج التـــي طبقها ابن الأثير هنا لـــم يطبقها عندما تحدث عن أهل النهروان، فقـــد ذكر الروايات التي فيهـــا التحامل على أهل النهروان، ولـــم يعرضها على الروايـــات الأخرى التي عرضـــت مبادئ أهل النهروان والإباضية.

وقد أشار الدكتور الشيخ ناصر السابعي إلى هذا المبدأ حين قال: «كما أن من الإشكاليات الاقتصار على بعض الروايات دون اللجوء إلى روايات أخرى متوارية لعلها تحدث بعد ذلك أمراً. وأيضاً فـــإن غياب مصادر الإباضية عن ساحة عدد من الدراســـات أفقدتها التوازن المنهجي في دراسة كثير من هذه القضايا، لأن كتب الإباضية تمثل وجهة نظر أهل النهروان تمام التمثيل، وإن

(٩١) الكامل في التاريخ، ج ٢/ ص ٥٦٠.
(٩٢) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ١٢٤.
(٩٣) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٢٦٥.

كانت لا تعكس وجهة نظر الفرق الأخرى المنسـوبة إلى الخوارج كالأزارقة والنجدات والصفرية»[٩٤].

فكان ينبغي لابن الأثير أن يـدرس جميع الروايات الـواردة حول أهل النهروان، ويأخذ منها ما وافق الحـق والصواب، لا أن يقف عند روايات من ناوءهم وافترى عليهم.

❋ ❋ ❋

(٩٤) الخوارج والحقيقة الغائبة، ص٦١.



ابن الأثير يستعين بالمنهج في رد كثير من الأخبار

ومما يؤكد يقينا عدم اقتناع ابن الأثير بصحة مقولته التي صَدَّر بها تاريخه هو وقفته وقفة المدقق لأقوال الماضين، ووزنها بالميزان الحق الذي لم يطبقه في كثير من مواضع موسوعته.

وما سننقله هنا فيه اعتراف ابن الأثير بأن في الكتب التي نقل منها تاريخه روايات ضعيفة تستحق الرد وعدم القبول.

فقد قال ابن الأثير: «ذكر ابن مسكويه في كتاب تجارب الأمم أن المستعين أخو المتوكل لأبيه، **وليس هو كذلك**، إنما هو ولد أخيه محمد بن المعتصم، والله أعلم»[٩٥].

وقال أيضاً: «وقال الزهري: لم يكن معهم، ولو كان معهم لم ينهزموا، **وهذه العلة ليست بشيء** لأنه قد كان بعد الوحي والرسالة ينهزم أصحابه ويقتلون، وإذا كان في جمع قبل الرسالة وانهزموا فغير بعيد»[٩٦].

وقال أيضاً: «ومن العجائب أن الشهرستاني مصنف كتاب: نهاية الاقدام في الأصول، ومصنف كتاب: الملل والنحل، في ذكر المذاهب والآراء

(٩٥) الكامل في التاريخ، ج ٧/ ص ١١٨.

(٩٦) الكامل في التاريخ، ج ١/ ص ٥٩٢ ـ ٥٩٣.

القديمة والجديدة، ذكـــر فيه أن نســـطور كان أيام المأمون، وهـــذا تفرد به، **ولا أعلم له في ذلك موافقا**»[٩٧].

وقال أيضاً: «وسبب هذا أن أخبار العرب لم تكن مضبوطة على الحقيقة، **فقال كل واحد ما نُقل إليه من غير تحقيق**»[٩٨].

وقال أيضاً: «**والجميع حديث خرافة لا أصل له ولا حقيقة**»[٩٩].

وقال أيضاً: «**وبالغ آخرون مبالغة تدل على ســـخف عقولهم وجهلهم... وما أظن الســـاعة راوي هذا الكذب الفاحش عرف الحساب حتى يعلم مقدار جهله...**»[١٠٠].

وقال أيضاً: «**إقدامه على هذا القول الســـخيف... وقد تواطأوا على الكذب والتلاعب بعقول الجهال واستهانوا بما يلحقهم من استجهال العقلاء لهم**، وإنما ذكرنا هذا على قبحه ليقف بعض مَن كان يصدق به عليه فينتهي إلى الحق»[١٠١].

وقال أيضاً: «قلت: وهذا الفصل من حديث جم قد أتينا به تاما بعد أن كنا عازمين على تركه لما فيه من الأشـــياء **التي تمجها الأســـماع وتأباها العقول والطباع، فإنها من خرافات الفرس...**»[١٠٢].

وقال ابن الأثير تعليقاً على أقوال بعض العلماء حول أســـماء بعض من جدات الرسول ﷺ: «**وقد غلط هنا بعض العلماء الكبار...**»[١٠٣].

---

(٩٧) الكامل في التاريخ، ج١/ ص٣٣٢.
(٩٨) الكامل في التاريخ، ج١/ ص٤١١.
(٩٩) الكامل في التاريخ، ج١/ ٢٣٢.
(١٠٠) الكامل في التاريخ، ج١/ ص٢٣٣.
(١٠١) الكامل في التاريخ، ج١/ ص٢٣٤.
(١٠٢) الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦٦.
(١٠٣) الكامل في التاريخ، ج٢/ ص٢٥٤.

وقال أيضاً: «وذكر يأجوج ومأجوج ومنسك وثاريس، إلى أشياء أُخر لا حاجة إلى ذكرها، فأعرضتُ عنها **لمنافاتها العقول**. ولو صح أسنادها لذكرناها وقلنا به، ولكن **الحديث غير صحيح**، ومثل هذا الأمر العظيم **لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا الإسناد الضعيف**»[١٠٤].

وغيرها من الترجيحات التي قام بها ابن الأثير حينما طبق المنهج العلمي على الأخبار المتناقضة.

من هذه الأمثلة[١٠٥] التي نقلناها من تاريخ ابن الأثير ندرك أن الرجل على علم بما ينبغي له فعله عند قراءة أي خبر من أخبار الماضين، فتحقيق المنهج في تقييم الأخبار مطلب لا مواربة فيه، وتطبيقه ينبغي أن يكون على كل خبر.

❋ ❋ ❋

(١٠٤) الكامل في التاريخ، ج١/ ص٢٢.

(١٠٥) وانظر أيضاً تعليقات ابن الأثير على بعض الأخبار. الكامل في التاريخ، ج٣/ ص٣٥١، ج٤/ ص٩٠، ج٢/ ص٢٥٥، ج٢/ ص٣٢٥، ج٦/ ص٣٥١، ج١/ ص٣٢٨، ج١/ ص٥١٠، ج٢/ ص٣٣، ج٨/ ص٣٥٨، ج٣/ ص٥٣، ج٢/ ص٣٣، ج١/ ص٢٥٧، ج٢/ ص٤٢٧، ج١/ ص٣٥٥، ج٤/ ص٦، ج١/ ص٤٥١.



٦ «أهل كل بلد أعلم بأحوالهم»

ومن الأسس المنهجية المنصفة التي ذكرها ابن الأثير ودعا إليها، وطبقها على بعض الأخبار، هي الرجوع إلى مؤلفات أهـل البلدان لمعرفة أحوالهم ومعتقداتهم وسجلات أحداثهم.

فقد قال ابن الأثير: «هذا الذي ذكره أصحاب التواريخ من الخراسانيين، وقد ذكر العراقيون هذه الحوادث على غير هذه السياقة، **وأهل كل بلد أعلم بأحوالهم، ونحن نذكر ما ذكره العراقيون مختصراً**»[١٠٦].

وقال أيضاً: «... **والـذي ذكره أهل التاريخ من المغاربـة: ... وهم أخبر ببلادهم، وأنا أذكر ما أثبتوه في كتبهم**»[١٠٧].

وقال أيضـاً: «والذي ذكره هشـام بن الكلبي لا وجه له، لأن اوشـهنج مشهور عند الفرس، **وكل قوم أعلم بأنسابهم وأيامهم من غيرهم**»[١٠٨].

وقال أيضـاً: «**قلت: والحـق ما قاله الفـرس، فإن أسـماء ملوكهم** قبل الإسكندر معروفة...»[١٠٩].

---

(١٠٦) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤.
(١٠٧) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٤٦٥.
(١٠٨) الكامل في التاريخ، ج ١/ ص ٤٩.
(١٠٩) الكامل في التاريخ، ج ١/ ص ١٦٥.

وقال أيضاً: «هذا جميعه ذكره أبو جعفر في فتح الأندلس، وبمثل ذلك الإقليم العظيم والفتح المبين لا يُقتصر فيه على هذا القدر، وأنا أذكر فتحها على وجه أتم من هذا **إن شاء الله تعالى من تصانيف أهلها إذ هم أعلم ببلادهم**»[١١٠].

وقال أيضاً: «... **والذي ذكره أهل الأندلس في تواريخهم ما تقدم ذكره**»[١١١].

فليس من حق أي إنسان مهما علت منزلته العلمية أن يتحدث عن أي مجتمع من غير الرجوع إلى أحوال ذلك المجتمع؛ وبعد دراسة كتب علمائهم ومعايشة أحوالهم ومعرفة قربهم أو بعدهم من تعاليم الإسلام هناك سيظهر له الواقع الذي ينقله بكل صدق وأمانة.

وأما النقل من هنا وهناك، بلا قيد، فلا قيمة له في ميزان البحث العلمي ولو ادعى أهل الأرض جميعاً صدق مصادرهم ومراجعهم وأمانتها. وما نال ابن الأثير وغيره من الإباضية الكرام إلا بعد أن تخلى هو ومن سار على نهجه عن هذه القاعدة المنصفة التي عرفها وطبقها على بعض الأخبار المنسوبة إلى أهل الأندلس والمغاربة والفرس.

وماذا كان يضير ابن الأثير لو أنه قال: «**وأهل كل بلد أعلم بأحوالهم**» و«**كل قوم أعلم بأنسابهم وأيامهم من غيرهم**» عندما تحدث عن الإباضية؟. ولماذا ضرب صفحاً عن هذا المبدأ الذي نادى به؟

فبسبب إعراض ابن الأثير عن هذا المبدأ جاءت كتاباته عن الإباضية مضطربة ومتناقضة كما وصفها الإمام السالمي بقوله: «وفي تاريخ هذه

(١١٠) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٥٥٦.

(١١١) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ٥٧٦.

الحوادث اضطراب لا ينبغي أن يعول عليه، وفيه مناقضة لما أرخ أصحابنا وهم أعرف بحال بلادهم»[١١٢].

فعبارة ابن الأثير التي قال فيها: «على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة، **والكتب المشهورة، ممن يُعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحة ما دوّنوه**» لم تكن مطردة، وكثير من الأخبار التي أوردها ابن الأثير لا واقع لها في التاريخ؛ فقد نقل كثيراً من الأقوال الضعيفة والروايات الباطلة التي أبطلتها مناهج الأمة الإسلامية. وهو بنفسه أراد بديلاً عن تلك المعلومات التي وصلت إليه من الكتب التي ادعى صدقها وصحتها، وفضل عليها ما خطته أنامل أصحاب الشأن من الأمم والشعوب.

فلا تهولنك أخي القارئ العبارات الرنانة التي يتعود الكُتَّاب على رصها في مقدمات كتبهم، ولكن عليك أن تعطي كل ذي حق حقه، وأن تزن الأخبار بميزان الإسلام الصادق الذي يعد الصدق أمانة لا بد من أدائها على من تحب وعلى من تكره.

وقراءة كتب الماضين لا حرج فيها إذا عرف القارئ الغث من السمين وتجنب الخبط في متاهات الأفكار، فليس كل ما سطر في كتب الماضين ـ ولو علت منازلهم العلمية ـ يعد صحيحا ثابتا.

واعلم أيها القارئ الكريم أن «**الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم**»[١١٣]، ولن يكون الكلام عدلًا وصواباً إلا إذا صدقه الواقع، وشهد له الثقاة.

(١١٢) تحفة الأعيان، ج١/ ص٢٩٤.

(١١٣) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، ج٣/ ص٤٨.

والدكتور علي محمد الصلابي قاده صواب رأيه إلى قول الحق في مسألة مصادر التلقي عن الإباضية[١١٤] حيث قال حفظه الله تعالى: «إن تقصي المنهج

(١١٤) يحسن بنا هنا أن نذكر أن الدكتور علي بن محمد الصلابي قد ألف كتابه (الإباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج) واعتمد في تأليفه على مؤلفات الإباضية، وقارن بين مبادئ الإباضية وما سجله كُتَّاب التاريخ عن الخوارج. حيث قال في مقدمة كتابه: «ولذلك التزمت في بحثي هذا بسياج الأدب والموضوعية والحيادية ما أمكن، بعيداً عن القيل والقال والانفعالات والمهاترات والتشهير وتصعيد العثرات، وتتبع السقطات والتغافل عن الحسنات» (الإباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج، ص٧ ـ ٨).

ويبقى لنا طلب ونرجو من الدكتور الصلابي ـ حفظه الله تعالى ـ أن يسعى لتحقيقه، ألا وهو مراجعة كتابه (الخوارج نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم)، وكتابه (فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة) وكتبه الأخرى التي تحدث فيها عن أهل النهروان. فإن تلك الكتب التي نشرها بعناوين متعددة تعتمد على روايات ضعيفة وأقوال باطلة ونقولات عن كُتَّاب آخرين اعتمدوا على المتساقط من الأخبار. وما نقله الدكتور الصلابي في تلك الكتب يناقض ما قاله في مقدمة كتابه (الخوارج نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم)، حيث قال: «فقد قمت في هذا الكتاب بدراسة موضوعية علمية عن الخوارج» (الخوارج نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم، ص٦)، والذي عرضه الدكتور في كتبه عن الخوارج (ويقصد بهم أهل النهروان) بعيد كل البعد عن الدراسة العلمية والموضوعية كما يظهر ذلك جلياً لكل من تتبع صفحات تلك الكتب.

والنقل من غير تحقيق ولا دراسة هي الصبغة التي صُبغت بها كتب الدكتور ـ حفظه الله تعالى ـ عندما تكلم عن أهل النهروان؛ فنجده ينقل من هنا وهناك بلا ضابط منهجي، وهذا المسلك جعله يردد أقوالاً، تمجها قواعد العلم، ويسطرها في كتبه لا لشيء إلا لأنها وجدت في كتب من سبقه. وكل الأقوال والروايات التي ساقها الدكتور الصلابي في كتبه عن أهل النهروان ذكرناها في كتابنا هذا وكتابنا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**)، وبينا تهافتها وضعفها في ميزان الإسلام. فأرجو من الدكتور ـ حفظه الله تعالى ـ مراجعة ما سطره في كتبه عن أهل النهروان ووزنها بالميزان القسط، والله المعين إلى كل خير.

وأما ما يخص نشر كتاب (الخوارج نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم) فإن الدكتور ـ حفظه الله تعالى ـ لم يكتف بنشره منفرداً، بل أعاد نشره ضمن كتابه (الإباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج)، في مسلك لا يجد القارئ له مسوغاً سوى محاولة الدكتور =

العلمي للوصول إلى الحقيقة في مسألة كون الإباضية من الخوارج أو ليسوا منهم. هذا الأمر يقتضي الوقوف على أقوال الإباضية أنفسهم في مصادرهم الأصلية[١١٥]، وكتبهم المرضية عندهم، وكلام المعاصرين من علمائهم، إذ أنها لا تزال مدرسة فكرية قائمة ومذهباً فقهياً متنوعاً، فالأخذ عنهم أولى من الأخذ عن غيرهم؛ لأنهم أدرى بموقف مدرستهم الفكرية على قاعدة أن أهل مكة أدرى بشعابها»[١١٦].

= الصلابي عزل الإباضية عن أهل النهروان، وهذا مسلك فاشل، وقد رأينا آخرين من الكُتَّاب يسعون إلى الترويج لهذا المسلك في أوساط الإباضية.

ومع شكرنا المتجدد للدكتور الصلابي على كتابه الذي بَيَّن فيه بُعد المدرسة الإباضية عن الخوارج، فإننا نرجو مرة أخرى من الدكتور أن يتسع صدره لملاحظاتنا حول منهجه الذي سلكه في تأليف كتبه؛ فالمنهج الذي اتبعه الدكتور في تأليف كتابه عن الإباضية يخالف المنهج الذي سلكه في كتابة كتبه الأخرى التي تكلم فيها عن أهل النهروان، فالجمع بين هذين المنهجين في مجلد واحد كالجمع بين متناقضين ومسلكين متضادين وكيانين متنافرين، وهذا مما لا نرضاه للدكتور أن يقع فيه؛ فالأدلة التي ساقها الدكتور لعرض مبادئ الإباضية هي الصدق وقول الحق، ولكن الشواهد التي سطرها عند حديثه عن أهل النهروان، الذين عدهم من الخوارج، ما هي إلا أباطيل وترهات الكذابين والضعفاء. وأما القضايا الخلافية الأخرى، كقضية الشفاعة وقضية نفي أو إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة، والتي تعرض لها الدكتور في كتابه (الإباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج) فقد ناقشناهما في كتابنا (معالم الحق) وكتابنا (الميزان القسط)، فنرجو من الدكتور الصلابي النظر في هذين الكتابين بعين الإنصاف، ونسأل الله تعالى التوفيق للجميع.

(١١٥) ومما قاله الدكتور الصلابي أيضاً: «وقد عقدت العزم على التحلي بقيمة العلم والإنصاف في إعداد هذه الدراسة، وما شجعني أكثر، وحسب اطلاعي، لم يمر بي أحد من علماء أهل السنة من رجع إلى كتب ومصادر المدرسة الإباضية وعلمائها الأولين، ولم أجد دراسة تاريخية وفقهية موسوعية تتعلق بالمدرسة الإباضية، من حيث الفقه والأصول والسلوك والعقائد والتنظيم والسياسة الخاصة بهم...» (الإباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج، ص٦).

(١١٦) الإباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج، ص٢١.

وقال أيضاً: «إذا، فإن هذه الدراسة محاولة جادة للإنصاف والاقتداء بقيمة العلم في البحث الموضوعي. ولقد طالعت ودرست المذهب الإباضي من أصوله ومصادره وتعرفت على علماء راسخين وفقهاء ربانيين وسياسيين محنكين وباحثين جادين أثروا الحضارة الإسلامية في اجتهاداتهم السياسية والأصولية والفقهية والفكرية والاجتماعية قديما وحديثاً»[١١٧].

وقال أيضاً: «لقد أنتج هؤلاء الفقهاء والمفكرين والساسة نتاجاً حضارياً في مجال التاريخ والسياسة والتشريع والفقه والأصول والاجتهاد كتباً ومؤلفات كثيرة. **وإنني وصلت من خلال دراستي ومطالعتي إلى قناعة راسخة مبنية على قيمة العلم والإنصاف بأن المذهب الإباضي مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج**، وقد أُلصِقَتْ بهم تهم وادعاءات باطلة بعيدة عن الإنصاف والطريق العلمي، حيث وقع بعض الكُتَّاب في مغالطات تاريخية، ونسبوا للإباضية من الأقوال والمعتقدات والأفكار ما نفاه المحققون والعلماء الراسخين من شيوخ وعلماء المذهب»[١١٨].

فمن هذه الأقوال التي قالها الدكتور علي بن محمد الصلابي ـ حفظه الله تعالى ـ ندرك أن الإنصاف مرهون بالوثوق بالأخبار المروية عن الناس؛ ولن تكون هناك ثقة بما روي من أخبار إلا إذا أقر بها المكتوب عنهم، أو صدقه علم الرواية والدراية الذي شَيَّدَه المسلمون على القواعد الشرعية التي جاء بها كتاب الله تعالى، وأمر بها المصطفى عليه صلوات ربي وسلامه.

(١١٧) الإباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج، ص ١٢.

(١١٨) الإباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج، ص ١٣.

ونحن مع شـــكرنا للدكتور الصلابي على جهده المبارك في ربط نتائج بحثه عن الإباضية بمصادر البحـــث التي ينبغي الركون إليها، فإننا نطلب منه إعادة النظر في أقواله التي بثهـــا في كتبه الأخرى عن أهـــل النهروان الذين أســـهب الدكتور في نعتهم بأقوال هم بريئون منها حينما اعتمد على روايات ضعيفة وأقوال لا قيمة لها في الأوساط العلمية.

❋ ❋ ❋



٧ كتب التاريخ بين المنهج والواقع

وحالُ ابن الأثير مع روايات التاريخ يتكرر مع غيره ممن كانوا قبله أو ممن أتوا إلى الوجود من بعده، لأن الجميع مع مادة التاريخ لم يكونوا في كل الأحوال مطبقين لما طُلِبَ منهم التزامه عند الكتابة عن غيرهم من الناس؛ فها هو ابن خلدون يعرض موسوعته التاريخية بأسلوب لا يتماشى مع القواعد المنهجية التي ذكرها في مقدمته، وقد أدرك هذه الحقيقة كل الذين قارنوا بين تاريخ ابن خلدون ومقدمته، فقد قال الدكتور عماد الدين خليل: «ويتساءل المرء: لما لم ينفذ ابن خلدون منهجه النقدي هذا في معظم مساحات مؤلفه الضخم (العبر، وديوان المبتدأ والخبر...) الذي يعرض فيه لوقائع التاريخ البشري عامة والإسلامي خاصة، من بداياتهما الأولى وحتى عصره؟.

ويجد المرء نفسه مضطراً إلى موافقة المؤرخ الإنجليزي (روبرت فلينت) بقوله: (إذا نظرنا إلى ابن خلدون كمؤرخ وجدنا من يتفوق عليه من كُتَّاب العرب أنفسهم، وأما كواضع نظريات في التاريخ، فإنه منقطع النظير في كل زمان ومكان)...»[(١١٩)].

(١١٩) حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ص٤٦، وقد اعتذر الدكتور عماد الدين خليل في نفس الصفحة عن التناقض بين ما في مقدمة ابن خلدون وما سطره ابن خلدون في موسوعته التاريخية بقوله: «... والسبب ربما يكون واضحاً لدرجة قد تقوده إلى الخفاء.. أن أحداث التاريخ التي دونها ابن خلدون في مؤلفه التاريخي غزيرة جداً تتضمن كميات هائلة من الوقائع، وأن محاولة تنفيذ المعيار النقدي عليها جميعاً أمر فوق طاقة الإنسان =

وقال الدكتور عماد الدين خليل في موضع آخر: «أما ابن الأثير فإننا نقرأ في مقدمته ملامح موقف منهجي، نقاد، غير مستسلم، لكنه ـ أغلب الظن ـ لم يستطع ـ كابن خلدون ـ أن يحقق تماماً الوفاق المنشود بين الواقع والمطلوب...»[١٢٠].

وقالت الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف حينما تحدثت عن تاريخ ابن خلدون: «ولكن مما يؤسف له أنه لم يطبق هذا المنهج حين عرض هو نفسه لكتابة تاريخه المشهور: (العبر وديوان المبتدأ والخبر)»[١٢١].

وقال الدكتور محمد بن موسى الشريف «وخرجنا من ذلك بنتيجة مؤداها أنه يتعين على من أراد أن يقرأ ما دونه المسعودي أو غيره من ذوي الميول والأهواء عن التاريخ الإسلامي وخاصة الفترات الغامضة فيه أو التي حدث فيها اجتهاد واختلاف بين المسلمين أن يكون على حذر وانتباه وأن لا ينساق إلى تصديق ما يقرؤه إلا بعد قيام الدلائل وثبوت الروايات من الأوجه الصحيحة المعتبرة»[١٢٢].

وحينما تناول كتاب (البداية والنهاية) للإمام ابن كثير، قال الدكتور الشريف: «أورد بعض الأخبار الواهية، والروايات الضعيفة، وبعض الأخبار التي تناقض المنهج الصحيح والعقل الصريح، واعتذر عن بعض ذلك بقوله: (لولا أنها مسطرة في كثير من كتب التفسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس

= حتى لو كان هذا متفرغاً لمهمة مستحيلة كهذه، فكيف بابن خلدون الذي استنزفته مشاغل الحياة، وزحمة الأعمال الوظيفية، والانغمار الذي عهد عنه في سياسات العصر وتقلباته، فضلاً عن كثرة تجواله في حقول المعرفة المختلفة..؟ من أين له الوقت الذي يمكنه من تحقيق هذه المهمة العسيرة؟».

(١٢٠) حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ص٤٩.

(١٢١) مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، ص٦٠.

(١٢٢) تعريف مؤجز بأشهر كتب التاريخ، ص٤٠.

لما تعرضنا لها لسقاطتها وركاكتها ومخلافتها[١٢٣] للمعقول والمنقول)، وليته لم يوردها»[١٢٤].

ونصح الدكتور محمد الشريف كاتبَ التاريخ بقوله: «وليستشعر المسئولية الكبيرة الملقاة على عاتقه وهو يكتب تاريخ الأمة العظيمة التي أخرجها الله للناس، فهو أشبه بالقاضي والحاكم. وليكون أميناً في النقل من المصادر والمراجع، فلا يجتزئ من النصوص أو يتلاعب بها ليخرج بنتائج تخدم مذهبه أو وجهته الفكرية والعقدية»[١٢٥].

وأوضح الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكّار المسئولية الملقاة على عاتق كاتب التاريخ بقوله: «إذا كان القاضي في محكمة اليوم، لا يستطيع أن يتأكد دائماً من أنه أصدر أحكامه بناءً على معطيات الحقيقة اليقينية التي توصل إليها، على الرغم من وجود الشهود بين يديه، وعلى الرغم من إمكانية فحص أشياء مرئية كثيرة، تتعلق بالقضية موضع الحكم؛ فكيف يعرف المؤرخ التفاصيل المطلوبة لمعرفة حقيقة تفصله عنها مئات السنين؛ كما أن التفاصيل التي سيعتمد عليها في بناء الحدث التاريخي ليست من اختياره دائماً؛ فكثيراً ما تكون قد اختيرت له من قبل أُناس صدقوها وأرادوا من الآخرين تصديقها!»[١٢٦].

وقدم الدكتور محمد الشريف نصيحة لقراء التاريخ بقوله: «وينبغي على القارئ[١٢٧] أن يتخير كتب التراجم التي امتاز كاتبوها بالإنصاف والعدل

(١٢٣) هكذا في النقل، وفي الأصل: «لولا أنها مسطرة في كثير من كتب التفاسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس لما تعرضنا لحكايتها لسقاطتها وركاكتها. ثم إنها مخالفة للمعقول والمنقول» (البداية والنهاية، م١، ج١/ ص١٠٧).

(١٢٤) تعريف مؤجز بأشهر كتب التاريخ، ص١٦١ ـ ١٦٢.

(١٢٥) إعداد المؤرخ الثقة، ص٩.

(١٢٦) القراءة المثمرة (مفاهيم وآليات)، ص١٠٠ ـ ١٠١.

(١٢٧) هكذا في الأصل والصواب (ينبغي للقارئ).

وحسن تقويم الأشخاص... وإياه والكتب التي تحط من قدر الناس، وتتجنّى عليهم، وتكثر من ذكر مثالبهم وعوراتهم وأخطائهم...»[١٢٨].

وقال الدكتور عماد الدين خليل: «وليس غير أبناء الإسلام أنفسهم من يقدر على أداء المهمة ويحمل على عاتقه مسؤولية إعادة عرض وتحليل التاريخ الإسلامي وفق منهج يقدم من الأدوات والإمكانات ما يساعد المؤرخ على عرض وقائع هذا التاريخ بأكبر قدر من الأمانة والموضوعية»[١٢٩].

واستشهد الدكتور محمد بن موسى الشريف بقول تاج الدين عبد الوهاب السبكي الذي وصف حال كُتَّاب التاريخ بقوله: «فإن أهل التاريخ ربما وضعوا من أناس ورفعوا أناساً لتعصب، أو لجهل، أو لمجرد اعتماد على نقل مَن لا يوثق به، أو غير ذلك من الأسباب، والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل، وكذلك التعصب، وقَلّ أن رأيت تاريخاً خالياً من ذلك»[١٣٠].

وقال أيضاً: «المؤرخون، وهم على شفا جرف هار؛ لأنهم يتسلطون على أعراض الناس، وربما نقلوا مجرد ما يبلغهم من صادق أو كاذب، فلا بد أن يكون المؤرخ عادلاً عدلاً، عارفاً بحال من يترجمه... وربما كان الباعث له في الضَعة من أقوام مخالفة العقيدة، واعتقاد أنهم على ضلال فيقع فيهم، أو يقصر في الثناء عليهم لذلك»[١٣١].

---

(١٢٨) التراجم وأثرها في السلوك الإنساني، ص ١١٧.

(١٢٩) في التأصيل الإسلامي للتاريخ، ص ٣٣.

(١٣٠) إعداد المؤرخ الثقة، ص ١٠ ـ ١١ نقلًا عن (خمس فتاوى لم تنشر ـ مجلة معهد المخطوطات ٢/ ١٦٣).

(١٣١) إعداد المؤرخ الثقة، ص ١١، نقلًا (عن خمس فتاوى لم تنشر ـ مجلة معهد المخطوطات ٢/ ١٦٤).

فهذا القول الذي نقله الدكتور محمد بن موسى الشريف عن السبكي رد بليغ على دعوى ابن الأثير التي قال فيها: «على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة، والكتب المشهورة، ممن يُعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحة ما دوّنوه، ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي، ولا كمن يجمع الحصباء والآلي».

من كل ما سبق ندرك أن ابن الأثير قد أجاد في تذكير الناس بمبادئ المنهج التاريخي وأسسه، وهو يُشكر على ذلك، ولكنه ـ يا للأسف ـ حينما عرض أحداث التاريخ المنسوبة إلى أهل النهروان والإباضية لم يطبق ما سجله من أفكار نقدية للأخبار التي أوردها في موسوعته التاريخية، وسلك مسلك من تنمر على مقامات الناس العالية الرفيعة.

ولعل ابن الأثير يشير إلى تلك الثغرات التي يدركها القارئ لكتابه حيث قال في مقدمة موسوعته التاريخية ما نصه: «ونصبتُ نفسي غَرَضاً للسهام، وجعلتُها مظنّة لأقوال اللوّام، لأن المآخذ إذا كانت تتطرق إلى التصنيف المهذَّب، والاستدراكات تتعلق بالمجموع المرتَّب، الذي تكررتْ مطالعتُه وتنقيحه، وأُجيد تأليفه وتصحيحه، فهي بغيره أولى، وبه أحرى، على أني مُقر بالتقصير، فلا أقول إن الغلط سهوٌ جرى به القلم، بل أعترف بان ما أجهل أكثر مما أعلم»[١٣٢].

فمهما يكن من سبب، ومهما يكن من دافع للذين لم ينصفوا الإباضية في كتاباتهم، فإننا جميعاً ـ الكُتَّاب منا والقراء ـ مطالبون بالإنصاف الذي أوجبه علينا شرع الله في تحري الصدق والتثبت، «... فلا نقبل من الأخبار إلا

(١٣٢) الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦.

ما ثبت لدينا بمنهج المحدثين لا بمنهج المؤرخين...»[١٣٣]، «والمنهج العلمي يقتضي الرجوع إلى الأمهات وأصول العلوم والكتب، وأصول البحث تقتضي الدقة والتحقيق والتمحيص والمراجعة والصدق في النقل والبرهنة الصحيحة على الموضوع المتكلم فيه، والذي يدور الحوار حوله»[١٣٤].

إن الأســس «النقدية التي تمس صلب الخبر»[١٣٥] والتي نادى بها علماء الإسلام ومنهم ابن الأثير «تجعل المســلم في حصن حصين من الوقوع في أســر الدعايات المنظمة المضللة التي ينشغل بها الناس اليوم، ويبنون عليها الكثير من عواطفهم لا سيما حين تنعدم دراســات الإسناد وموازين الجرح والتعديل كما هو الشــأن في هذه الأيام!!. وحين تساهلنا في كل ما نسمعه، ولــم نملك الفاعليــة لتمحيصه صــار مركبنــا العقلي مؤلفاً مــن المعقول واللامعقــول، ومن الجائز والمســتحيل، وكانــت الثمــرة اضطراباً في كل شيء!!... وحين نمعن النظر في حال الناس تجاه هذه المسألة نجد الحيف فيها أكثر من الإنصاف، كمــا نجد التبعية للأهــواء والأمزجة الخاصة على أشــدها، ولكن يبقى في هذه الأمة على اتســاع أمداء الزمــان والمكان من يتقرب إلى الله ـ تعالى ـ بإنزال الحقائق منازلها، وإنصاف المخالفين ومغالبة الأهواء والظنون»[١٣٦].

ويقول الدكتور الشــريف: «لا غنى لمريد التخصص في علم التاريخ من معرفة طرائــق الجرح والتعديل عنــد المحدثين، ـ بــدون تفصيل إنما ذلك للمختصين ـ وفهم أقســام الأحاديــث والآثار من حيــث الصحة والضعف

(١٣٣) الحدود بين حرية التعبير والإساءة إلى الآخر، ص١٤٣.
(١٣٤) الحدود بين حرية التعبير والإساءة إلى الآخر، ص١٤٤.
(١٣٥) فصول في التفكير الموضوعي، ص١٦٢.
(١٣٦) فصول في التفكير الموضوعي، ص١٦٢ ـ ١٦٣.

والوضع، وفهم قواعد التخريج والتحقيق، لأن ذلك كله يحتاجه المؤرخ الذي ينقب في بطون الكتب القديمة ويستخرج منها ما يريد، والمطلوب هو الفهم العام لتلك القواعد على وجه يضبط بها المؤرخ قراءته وبحثه...»[١٣٧]. ويقول في موضع آخر: «ما كان فيها من أخبار تتعلق بالعقائد، أو الفتن، أو الحكم على الأشخاص بالنفاق أو الكفر، أو الإخبار بالمغيبات فهذا لا بد من أن يثبت بسند صحيح أو حسن لذاته أو لغيره، على حسب التفصيل الوارد في كتب دراسة الأسانيد الحديثية، **ولا يُقبل في هذا القسم الأخبار الضعيفة**»[١٣٨].

وينبغي لنا جميعاً أن نعلم أن التاريخ يكتبه أصحاب الشأن، ولا يقبل أن تدونه أيدي من أسقطت عدالتهم، وأن الأقوال الضعيفة على أي فئة من الناس لا قيمة لها في ميزان العلم والصدق، وأن دائرة المعرفة لا تكتمل إلا إذا صَدَقْنا في القول والنقل وعرفنا كيف نقرأ التاريخ من مصادره. وأساس كل ما سبق ذكره هي القاعدة القائلة: (**إذا كنت ناقلاً فالصحة، وإذا كنت مدعياً فالدليل**) والتي بينها علماء المسلمين عند حديثهم عن المنهج الاسترادي في البحث العلمي[١٣٩].

❁ ❁ ❁

(١٣٧) إعداد المؤرخ الثقة، ص٢٦.

(١٣٨) إعداد المؤرخ الثقة، ص٦٨.

(١٣٩) انظر (فصول في التفكير الموضوعي، ص١١٤).



٨ ضبط ما يروى وما يطوى من الأخبار

فمن نصائح سماحة شيخنا أحمد بن حمد الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ للأمة الإسلامية حول «طي صفحة الماضي في تاريخ الأمة»، هو قوله: «... لا تنبش الفتن التي نجمت في القرن الأول مهما تأتى ذلك، فإن الماضي لا يدرك، وقد مضى بحلوه ومره، فلا معنى لاجترار أحداثه، وهل يورث ذلك إلا تعميق الجراح وتنفير القلوب وإيغار الصدور؟ وقد أرشدنا إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]، وإن دعت الضرورة لبحث ذلك في الماضي فإنه يجب أن يكون بطريقة منصفة عادلة لا تخضع لما عند طائفة من المواريث الفكرية، وإنما يحكم فيها القرآن والسنة الثابتة عن النبي ﷺ باتفاق الجميع، فلا يجرم برئ ولا يبرأ مجرم اتباعاً للهوى وركوناً إلى العصبية»[١٤٠].

وقال الدكتور محمد بن موسى الشريف تحت عنوان: (ضبط ما يروى وما يطوى)[١٤١] ما نصه: «ينبغي أن يكون لدى المؤرخ موازين شرعية وعقلية صحيحة تضبط ما ينبغي له أن يخرج إلى الناس وما ينبغي أن يكون حبيس الدفاتر وبطون الكتب»، وذكر منها: «أخبار الفتن التي جرت بين

(١٤٠) أمة الإسلام إلى أين، ص ٩٠.
(١٤١) إعداد المؤرخ الثقة، ص ٢٨ ـ ٢٩.

الصحابة ﷺ والخلافات التي نشأت بينهم، وما صدر عنهم من أفعال وأقوال مرجوحة...».

فالفوائد لهذه الأمة لا تعد ولا تحصى إذا ساهم الكُتَّاب في طي ما يمزق كيانها، وإظهار ما يوحد الصفوف ويبعث في كيان أمة محمد ﷺ روح التعارف والتكاتف والوحدة والتناصر، فلا بد لكل كاتب أن يدرك الأمور من هذا المبدأ ويسعى جاهداً في اختيار ما يطوى من أحداث فلا يذكره إلا لأخذ العبر، وأن يتعرف على ما يشد من عضد هذه الأمة فيرويه ويعرضه على أجيال الأمة المتلاحقة لتزداد قوة إلى قوتها.

وقال الدكتور محمد بن موسى الشريف: «في التاريخ العديد من المزالق التي ينبغي عدم التركيز عليها، وعلى رأس ذلك الفتن التي وقعت بين الصحابة ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ فقد كان السلف يتجنبون الخوض فيها ويقولون هي فتنة جنب الله أيدينا منها فنكف ألسنتنا عنها، وكانوا يوصون في الكتب التي يكتبونها لبيان العقيدة الصحيحة بقولهم فيها: (ونكف ألسنتنا عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، فأخبار الفتن هذه ينبغي الإعراض عنها تماماً... والأجمل بطالب التاريخ أن يبتعد تماماً عن هذا الموضوع المثير لأمور هو في غنى عنها»[١٤٢]. فحينما يأتي الحدث لا ليضيف فائدة فمن الأولى أن (يطوى ولا يروى)، فكيف إذا كان مما تكرهه النفوس ويؤجج نار الفتن ويمزق أواصر الأخوة في الدين؟!.

وابن الأثير أشار إلى هذا المبدأ في مواضع[١٤٣] وإن لم يتخذه الصبغة

(١٤٢) كيفية قراءة التاريخ وفهمه، ص٩٦.

(١٤٣) فمما قاله ابن الأثير: «فدخل ابن عباس على ابن الزبير وأغلظ له، فجرى بينهما كلام **كرهنا ذكره**» (الكامل في التاريخ، ج٤/ ص٢٥٣). وقوله: «وقد قيل: إنه جري بين محمد ومعاوية مكاتبات **كرهتُ ذكرها** فإنها مما لا يحتمل سماعها العامة» (الكامل في التاريخ، =

الغالبة على ما نقله من أحداث في موسوعته. وهو وإن توقف عن ذكر بعض الأحداث ـ وهو يشكر على ذلك ـ، فإنه لم يتقيد بهذا المبدأ في كل أجزاء موسوعته؛ فقد نقل من الأحداث التي لا يفخر بها مسلم لما فيها من قتال ونهب واعتداء على محارم الدين.

ونرجو أن يكون اعتذارنا مقبولاً عند القراء عن ابن الأثير وغيره من المؤرخين في نقلهم لأحداث مؤلمة تمجها الأسماع، فإننا نرى ذكرهم لتلك الأحداث لأجل أن تتنبه أجيال المسلمين إلى أن الفرقة والتقاتل بين أبناء الملة الواحدة تسبب تداعي الأمم الكافرة على حمى الإسلام، كما حدث ذلك قبل هجوم التتار والصليبيين وما نشاهده اليوم من تكالب الأمم على كيانات الشعوب المسلمة.

وهذا ملمح أدركناه من خلال اطلاعنا على ما كتبه ابن الأثير نفسه ومن خلال ما صرح به رجال أحسوا بما تفعله الروايات التاريخية من أفاعيل حسنة في أوساط الأمة إن أُحسن قراءتها واستلهمت منها العبر والدروس، وما تفعله تلك الروايات التاريخية من مساوئ في أوساط الأمة إن اتُخذ منها سيوف لتقطيع هذه الأمة إلى أشلاء لا حراك لها أمام هجمات أعدائها.

وقد أشار الدكتور محمد بن موسى الشريف إلى فاعلية الأخبار في أوساط الناس بقوله: «... فلعل سوق تلك الأحداث يوقظ الضمائر، ويهز المشاعر، ويلهب النفوس، ويشد العزائم حتى نخرج من هذا التيه، ونفارق هذا الطريق المعوج»[١٤٤].

= ج ٣/ ص ٢٧٣). وقوله: «... وكان ابتداؤه أولاً ببناء المدينة، فلما فرغ منها ابتدأ بعمارة المسجد، **وقد أكثر الناس في صفة البناء مما يُستبعد ولا حاجة إلى ذكره**» (الكامل في التاريخ، ج ١/ ص ٢٢٨). ومما قاله أيضاً: «وقد اختلفوا في ولاة اليمن للأكاسرة اختلافا كثيراً **لم أرَ لذكره فائدة**» (الكامل في التاريخ، ج ١/ ص ٤٥١).

(١٤٤) من مآسي الافتراق، ص ٧.

نعم؛ الأمة الإسلامية قادرة على الخروج من هذا التيه الذي هي فيه إذا أحسنت قراءة تاريخ من سبق ووزنت أعمال القرون الماضية بالميزان الحق الذي حدده الإسلام. وما تجرأ أعداء الإسلام عبر التاريخ على النيل من هذه الأمة إلا حينما ترك المسلمون النظر في كتاب الله الداعي لهم إلى استلهام العبر ممن غبر من البشر، والداعي لهم كذلك إلى الاقتداء بسنة الرسول ﷺ الذي جمع الله به صفوف القبائل المتناحرة تحت راية واحدة حينما حدد لهم ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ ما يأخذون وما يذرون مما وصل إلى أسماعهم من روايات الماضين.

ففي الوقت الذي تتبختر في مشيتها أقلام عوامل الفرقة بين دويلات الأمة المسلمة الواحدة ـ كما سجلها ابن الأثير وغيره من الكُتَّاب ـ نجد الجهد الجهيد الذي بذله أقوام متناحرون ومتنافرون في توحيد صفوفهم لأجل النيل من الإسلام والمسلمين؛ «إذ حضت البابوية على نبذ الحروب الداخلية بين أمراء الإقطاع، وتوجيهها ضد غير المسيحيين. وأكثر ما امتاز به أوربان أنه دعا إلى تحويل القتال إلى الشرق الإسلامي وانتزاع الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين»[١٤٥]. «وفي ذلك اليوم (٢٧ نوفمبر من عام ١٠٩٥م)، استصرخ البابا الملة المسيحية لتجريد السلاح لتحرير القبر المقدس...»[١٤٦].

ومما يعرفه المسلمون وغيرهم «أن نجاح الصليبيين في أول الأمر، لم يرجع فحسب إلى كثرة أعدادهم، وإلى ما تلقّوه من مساعدات من الغرب المسيحي ومن الدولة البيزنطية، بل يرجع أساساً إلى تفرق كلمة المسلمين، ونشوب الفتن الداخلية واضطراب الأمن...»[١٤٧].

(١٤٥) موجز تاريخ الحروب الصليبية، ص٦.

(١٤٦) موجز تاريخ الحروب الصليبية، ص٣٢. اقرأ ما قاله المترجم عن حقيقة حال المسيحيين في المجتمع الإسلامي وما آل إليه حالهم بعد الحروب الصليبية.

(١٤٧) موجز تاريخ الحروب الصليبية، ص٧.

فقد «أتيح للحركة الصليبية الاستفادة من الصراعات الناشبة بين المسلمين... وهكذا تم سقوط القدس بأيدي الصليبيين في ١٥ يوليو ١٠٩٩م، إثر اقتحام مروع بذل فيه غودفروا دي بويون كل قواه وعرض نفسه للموت بجسارة، ولكن أعقب ذلك ـ مع الأسف ـ مذبحة بشعة لسكان المدينة من المسلمين»[١٤٨]. و«تكشف السهولة النسبية التي تمكن بها الصليبيون وحلفاؤهم البيزنطيون من الاستلاء على نيقية، عاصمة المملكة السلجوقية في آسيا الصغرى، عن مدى تردي أوضاع العالم الإسلامي في ذلك الوقت»[١٤٩]. وقد «... تم الحفاظ على المنشأة الفرنجية الجديدة بسبب تفكك أجنحة العالم الإسلامي»[١٥٠].

فخسائر المسلمين المتكررة عبر التاريخ أمام أعداءهم كان من أهم أسبابها تفرق كلمتهم وتمزق صفوفهم، وما تفرقت كلمتهم ولا تمزقت صفوفهم إلا حينما جعلوا من أقلامهم مدى تفري وشائجهم وتقطع أوصالهم.

لقد ظهر في المسلمين ـ كما ظهر في غيرهم ـ من عرف ما للكلمة الباطلة من قوة في أوساط الجماهير، لهذا افتروها وسخروها فيما يهدم

(١٤٨) موجز تاريخ الحروب الصليبية، ص٤٣.

(١٤٩) موجز تاريخ الحروب الصليبية، ص٤٠، ومما جاء في هذه الصفحة أيضاً: «... كان كل من سلاجقة آسيا الصغرى وسوريا وإيران على حالة من الخلاف مع بعضهم، وبذلك استطاعت الحركة الصليبية أن تهزم على حدة سلاجقة أسيا الصغرى، دون أن يحاول سلاجقة سوريا وإيران التدخل. وحتى في سوريا، كان ملكا حلب ودمشق الشقيقان متخاصمين، وقد حارب كل منهما الصليبيين على حدة، ومنيا بالهزيمة فرادى».

(١٥٠) موجز تاريخ الحروب الصليبية، ص٤٤، ومما جاء في نفس الكتاب: «... ولهذا السبب ما برح استيطان الفرنجة في الساحل السوري مهدداً دوماً بالخطر، بيد أن هذا الخطر مع ذلك كان يبدو غير ماحق، طوال استمرار التشتت الإسلامي على حاله» (موجز تاريخ الحروب الصليبية، ص٥٤).

ولا يبني، وما يفرق ولا يوحد، فجاءت الروايات والأقوال الباطلة، والأحكام الجائرة، وشنت الحروب وتمزقت الأمة، فغدت بسبب هوانها طعمة تجذب إلى جسدها المنهك كل جائع.

والمشاهد المؤلمة والوقائع المحزنة التي نقلها ابن الأثير في موسوعته هي خير بيان على أن ما أصاب الأمة الإسلامية في الماضي وما هي عليه في الحاضر من مآسي ما هي إلا نتيجة ما خطته أقلام ضعيفة ودبرته عقول حاقدة.

وما من جدال عقيم إلا ووراءه رواية باطلة، وما من حروب اصطلى المسلمون بحممها إلا وسببها الافتراء والكذب في القول. وما من تشتت عبر تاريخ المسلمين إلا وأجج سعارها أناس غلبت عليهم أهواؤهم الطائفية الضيقة من غير أن ينظروا إلى أمر الأمة وكيانها ووحدتها وقوتها أمام المتربصين بها من الداخل والخارج.

قال الدكتور فاروق عمر فوزي: «... إن بعض الخلفاء والوزراء كانوا يتقربون لمذهب دون غيره ويوقفون له المدارس والمساجد (الطائفية) لأنها لطائفة محددة بعينها. كل ذلك كان يحدث والمغول التتار يزحفون من الشرق باتجاه بغداد عاصمة الدولة وأقليمها المركزي العراق. فكان سقوطها والحالة هذه حتمياً»[(١٥١)].

فكل غيور من أبناء هذه الأمة يعرف أن ما أصابنا من مصائب هو بسبب ما جنته أيدينا لهذا كانت دعوتهم لأجل (إعادة صياغة الأمة)[(١٥٢)]، بحيث يكون للمناهج الإسلامية في الأخذ والعطاء هيمنتها على أفكار

(١٥١) المثالية والواقعية في تاريخ الفكر السياسي عند المسلمين، ص ٤٤٧.

(١٥٢) هذا اسم لكتاب ألفه سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله تعالى.

الناس وأعمالهم، وبحيث يتعالى المسلم بإيمانه عن أن يكون قنطرة عبور للأخبار الضعيفة.

قال الدكتور محمد بن موسى الشريف في إحدى توصياته: «... ٥ ـ إعادة كتابة الأحداث المؤرقة والفتن التي حدثت في التاريخ الإسلامي كتابة تربوية تقف على مواطن الزلل وتنتقدها وتقومها، وتظهر العيب ليتجنبه الناس، وتبين زلل الأوائل ليتحاشاه الأواخر، وقد قالت العرب قديماً: السعيد من اتعظ بغيره لا من وُعظ به غيره، وهذا يستلزم إعداد أساتذة يحسنون قراءة التاريخ وفي الوقت نفسه يكونون مسلحين بالعلم الشرعي العاصم عن الزلل أو الميل عن قصد»[١٥٣].

والذين يقرأون التاريخ من غير ضوابط منهجية شرعية فإنهم لا محالة سيرون كتاب (الكامل في التاريخ) وغيره من الكتب على أنها صناديق حوت في جنباتها تاريخ أمة مثكلة بالجراح، وأشلاء ممزقة، ودماء بلغت من غزارتها الحد. فها هو أحدهم يقول: «إنه ليس من المنطق مجاوزة ذاكرة الأمة، أو الدعوة إلى طي صفحاتها؛ فحيثيات الواقع المعاصر ومفاهيمه وأفكاره تأسست على عتبة تلك الذاكرة، وما نلحظه اليوم من سعة تفكيك، وعمق مفارقة بين منطلقات الجماعات أو المذاهب أو الأحزاب المشكلة لبنية المجتمع خير شاهد على جمود كل دائرة وانغلاقها على ذاتها، وعدم قبولها التصالح أو الحوار مع مقاصد أو مصادر ما دونها من اتجاهات، بل إن العكس هو السائد فكل تيار حريص على إهدار فكر الآخر وتقليصه بكل ما أعطي من قوة، وفي مقدمة ذلك إضفاء المنظور الديني على كل صنيع يتناغم مع تفكيرهم أو هواهم»[١٥٤].

(١٥٣) من مآسي الافتراق، ٧٠.

(١٥٤) التيه العربي (تأملات في الواقع الصعب)، ص٦٣.

فـ«منطلقات الجماعات أو المذاهب أو الأحزاب المشكلة لبنية المجتمع» الإسلامي لم تكن في يوم من الأيام عنصر تفكك وجمود وانغلاق، بل الذي أحدث ذلك الشقاق بين الأخوة في الدين هو الركون إلى تصورات وأقوال لم تركن هي نفسها إلى ركن العلم واليقين. ومن الخطأ أن يستنتج الناس أن ما صار بين المسلمين من نزاعات كان أساسها ومبدأها تعاليم ما أسست عليه المذاهب من قواعد.

والذي أحال الناس من جميع المذاهب، أو حتى من داخل كل مذهب بعينه، عن اللقاء والتعارف هو هيمنة الأقوال الباطلة المسطرة في كتب الأوائل، والتي صادفت ضيقا في الأفق لدى حكام الدويلات الإسلامية الذين جعلوا من التمذهب أداة للتسلط والتوسع على حساب من ناوئهم وحاربهم.

فلا بد للمسلمين أن يعرفوا أن وحدتهم هي الأصل، وما تحدث عنه الناس من فرقة إنما هو عرض زائل، ووباء مندثر إذا ما استشفوا بمنهاج الإسلام الداعي إلى الصدق في القول والعمل. لهذا فمن «الطبيعي جداً أن يهتم المسلمون بتوحيد صفهم وجمع شتات كلمتهم، وذلك لأنهم أول من جربوا أن الفرقة هي آفة الضعف، كما أن الاجتماع هو آلة القوة في عصر كثرت فيه الحروب بين الناس لأسباب واهية»[(١٥٥)].

تؤسفنا تلك الأحداث التي خالفت منهاج الإسلام وعدالته، ولا نقبلها بأن تكون هي «ذاكرة الأمة» الإسلامية فأولى بها أن تطوى ولا تقرأ على أجيال المسلمين إلا من باب العبرة والعظة.

فانظر أخي القارئ ـ يا رعاك الله ـ إلى أوضاع المسلمين في أرضهم قبل قدوم التتار من الشرق وقبل انقضاض الصلبيين من الغرب، وقبل المذابح

(١٥٥) دعوة القرآن الكريم إلى توحيد الصف واجتماع الكلمة، ص١٥١.

المروعة للمسلمين في بلاد الأندلس، وقارن بين تلك المشاهد وما تلقطه أحاسيسك هذه الأيام من جرائم تصب على رؤوس المسلمين صباً في مشارق الأرض ومغاربها.

أليس من الأولى بأمة محمد ﷺ أن تلتف حول الصدق وتنبذ ما خالف أمر الله تعالى وهدي رسوله الكريم ﷺ ؟.

❋ ❋ ❋



دعوة إلى تحري الصدق قبل اعتماد الروايات

ومع وضوح مبادئ المنهج التاريخي إلا أننا نجد عدم التطبيق عند الكُتَّاب أنفسهم، وعند من نقل عنهم ممن كتب عن أهل النهروان والإباضية خاصة.

فالمنهج الإسلامي حري لو طبق في ميدان المعرفة على الأحداث التاريخية المنسوبة إلى أهل النهروان والإباضية أن يرشد الكُتَّاب والقراء إلى الصدق وعدم الافتراء على الأبرياء.

فعلى مدى القرون الماضية لازم الكتابة عن الإباضية زجهم في صفوف الخوارج، وسارت على هذه الفكرة جماهير الكُتَّاب بحيث نجد عدواها قد عمت وسكنت في كتب التفسير والحديث والأدب واللغة والمعاجم المعرفية.

وكل ما في الأمر أن حفنة من الكذابين والضعفاء والمتروكين والمجهولين ممن لا يأبه بأقوالهم منهج الأمة الإسلامية تَقَولوا على أهل النهروان والإباضية الأباطيل، ونسبوا إليهم الأكاذيب، وجاء من بعدهم من نشر تلك الأكاذيب، وهكذا سارت الأقوال الباطلة من جيل إلى جيل إلى يوم الناس هذا، فغدت في أذهان الكثير من الناس ـ إلا من وفقه الله إلى تحري الصدق ـ واقعا لا جدال فيه!!.

وذكر الدكتور محمد بن موسى الشريف هذا الواقع بقوله: «الإمام ابن جرير محدث كبير الشأن، وقد ساق أخبار كتابه بالسند، لكنه ساق

أخباراً مستشـــنعة، ظاهراً بطلانها، لائحاً كذبها، خاصة ما تعلق من الأخبار بزمن الفتن بيـــن الصحابة ﷺ وزمن صدر الإســـلام، وفـــي تلك الأخبار شبهات طاعنة في أصول الإســـلام، وحجته في ســـوقها أنه أوردها بالسند فبرئت عهدته منها...»[١٥٦].

وقالت الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف: «وقد مر بنا الكلام عن مؤلفات كتبت في فجر الإســـلام وكان أصحابهـــا يحذون حذو رجـــال الحديث في الرواية... وطبيعي أن الاعتماد عليها لا يكون إلا بعد النقد العلمي الصحيح للروايات وخير مثال لهذا النوع تاريخ الرسل والملوك للطبري»[١٥٧].

ولو أن كل كاتب وزن ما ساقه الإمام الطبري من أقوال مستشنعة لما رأينا الكذب يتبختر في مشـــيته العرجاء في أوســـاط أبناء الأمـــة الواحدة الذين يجمعهم الصدق والإخـــلاص في العمل، ويفرقهم الافتـــراء والبهتان. ولكن ـ يا للأســـف ـ صارت عادة الكُتَّاب عبـــر القرون الماضية التباهي بســـلامة المنهج الإســـلامي فقط، وعدم تطبيقه على الأخبار الباطلة التي نُسبت ظلماً وزوراً إلى الإباضية وأسلافهم أهل النهروان الكرام.

وقد صور سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ هذه العادة التي اســـتحكمت في نفوس الناس بقوله: «ومن تتبع أحوال البشر في تأريخهم الطويل وأطوارهم البعيدة؛ اســـتيقن أن للعادة أثـــراً كبيراً في أفكار الناس وســـلوكهم، فهي إن اســـتحكمت في طباعهم أصبحت جزءاً منها، إذ كثيراً ما تغدو ملكة في النفس تتعامى معهـــا النفس عن كل ما تراءى لها من حجج الحق وبراهينه، وذلك بدافع من التعصب الأعمى المقيت»[١٥٨].

(١٥٦) تعريف بأشهر كتب التاريخ، ص٢٠.
(١٥٧) مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، ص٥٥.
(١٥٨) نداء الحق، ص٣٨٥.

فيا أخي القارئ، كن على يقين أن ما تقرأه في كتب الذين أساؤوا إلى أهل النهروان والإباضية إنما هو مما لم يُعرض على ميزان الأمة الحق، وعدم الوفاء بشروط المنهج الصحيح منذ عهد الإمام الطبري إلى هذا الوقت ساق على هذه الأمة الويلات العظام وأصبحت الأقوال الباطلة تقود أفراد هذه الأمة إلى الجهل بالحقيقة التي عليها كثير من المسلمين.

وأقول للأخوة القراء، وأخص منهم كل من أتبع مطالعاته تسطير الكتب، أن مِن واجبنا السعي إلى لم شمل أمة محمد ﷺ، وسيأتي ذلك الحدث المرجو إذا رمينا الأقوال الباطلة المنسوبة إلى المسلمين بسهام النقد، وقسنا كل ما ورد إلينا من أخبار بالميزان الحق.

فالمآخذ التي نأخذها على بعض العلماء الذي كتبوا في التاريخ ـ وهم على جلالة منازلهم العلمية ـ أنهم حشوا كتبهم بالأقوال الباطلة التي وجدوها في كتب الذين سبقوهم، وكان الواجب عليهم ـ وهم أهل لذلك ـ أن يوقفوا كل كذاب وضعيف من الرواة عند منزلته، ويحذروا الأمة من الأقوال الباطلة التي تتربع صفحات كتبهم التاريخية.

❁ ❁ ❁



كُتَّاب التاريخ بين المنهج والتطبيق

ففي كتابنا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**) دراسة للروايات المنسوبة إلى أهل النهروان والإباضية، لهذا أدعوك أخي القارئ إلى مراجعة ذلك الكتاب ففيه الدليل، المستقى من مناهج الأمة، على سلامة الفكر الإباضي من كل شائنة سعى أصحاب الأهواء للصقها به. وفي هذا البحث، الذي بين يديك، وقفات مع كُتَّاب ضعفت هممهم عن ربط علوم الأمة بعضها ببعض في مسألة كتابة التاريخ، وإثبات أن أولئك الكُتَّاب لم يتبعوا المنهج العلمي في كتاباتهم عن أهل النهروان والإباضية.

❋❋❋



١ العوامل التي تؤثر على توجهات الكُتَّاب

مما سبق نعلم يقيناً أنه لا يجدي مجرد النقل من كتب السابقين من غير تمحيص لما نُقل، بل يجب على كل ناقل أن يثبت صحة ما يحتج به، أو يثبت بطلان ما لا يرضيه من خلال وزن الأقوال بالميزان الذي تعرفنا على ملامحه في الصفحات الماضية من هذا البحث.

فكل كاتب تتنازعه عوامل كثيرة، وهذه العوامل تمثل طاقات جذب قوية عندما يهم بالكتابة عن أي موضوع له شأن وأثر على حياة الناس والمجتمعات.

فالمنهج يطالب بالعدالة، والميول النفسي يملي على صاحبه إظهار ما تختلجه الأحاسيس من توجهات، والجماهير تنادي بأعلى صوتها لكي تلبى مطالبها من غير التفات إلى علم أو عقل أو حق أو أداء أمانة. هذه العوامل كلها في صراع، ونتيجة ذلك الصراع هو الانتصار لعامل واحد فقط من هذه المؤثرات التي قيلت هنا، ولا مجال لتقاسم الحظوظ بين هذه القوى في عالم الكتابة.

فالعدالة تنتصر حينما يُطبق المنهج من غير مواربة على كل الأقوال المنسوبة إلى الناس.

والميول النفسي ينتصر حينما يُفَضِّل صاحبه لي أعناق الأقوال، ويتستر بأقوال الذين سبقوه ولو اعترف ببطلانها، ويجعل منها تروساً تحميه من سهام النقد.

والجماهير، وما أدراك ما الجماهير، قد يفقد العلماء ـ إلا من رحم الله ـ توازنهم في مسيرهم، إذا غلبتهم أصوات الجماهير الهادرة ورأوا سلامة وجودهم حيث سار الناس وقعدوا.

لقد وقف الكُتَّاب ـ نظرياً ـ أمام المؤثر الأول وكتبوا فيه أحسن العبارات، وأروق الألفاظ، وأبين الجمل. واستشهدوا بآيات من كتاب الله تعالى وأحاديث الرسول ﷺ، فجاءت القواعد التي أسسوها في مجال البحث العلمي قوية تقود إلى الحق لو أسلس لها القياد. وهذا المؤثر، على أهميته وعدالته، قَلَّ من طبقه في عالم البحوث التاريخية، ولم يُحتفل به من قبل الكُتَّاب الذين تحاملوا على أهل النهروان والإباضية عندما تحدثوا عن تاريخهم.

فـ«حين نتأمل في واقعنا المعيش، نجده ـ في أغلبه ـ إفرازات لتوجيهات معينة، واجتهادات بعض المؤرخين الذين يفتقدون كثيراً من الشروط المطلوبة في كتابة التاريخ، لذلك نجدهم يقولون ويتقولون، ويتأولون، مرتكزين على منطلقات فكرية معينة، وربما ضيقة، فيقيمون بعض المواقف، ويقررون بعض الأحكام الخاطئة، فتتناقلها الأجيال كقضايا مسلمة، ويسير في ركابها من يأتي بعدهم من المؤرخين، فيتأصل الخطأ، فتنتج عنه هذه المظاهر المزرية التي نلحظها بين أبناء الأمة الواحدة»[١٥٩].

❁ ❁ ❁

(١٥٩) ملاحظات حول تاريخنا القديم (كيف ندرسه وكيف نحققه)، ص ٣ ـ ٤.



٢ مصادر كتب المقالات

فالناظر في الكتب التي تكلمت على أهل النهروان والإباضية يجدها تعتمد كثيراً على ما نُقل في كتب الفرق المتقدمة، ولم يتعد الكُتّاب النقل الحرفي إلى التحقيق ومعرفة قرب أو بعد تلك الأقوال المنسوبة إلى أهل النهروان والإباضية من الحق والصواب.

ولو توقف هؤلاء الكُتّاب قليلاً مع الأقوال التي نقلوها من كتب البغدادي، والأشعري، وابن حزم، والشهرستاني لعلموا عدم صلاحية تلك الأقوال في عالم العلم والمعرفة، إذ كلها جاءت من طرق ضعيفة.

فأبو الحسن الأشعري صاحب كتاب (مقالات الإسلاميين) صدر أقواله عن أهل النهروان ومن انتسب إليهم بقوله: «... **ويقال** إن أول... **ويقال** إن المبتدع... **قالوا** وقد كان نافع...»[١٦٠]، و«... **وقال بعض الناس... وقال قوم** إن...»[١٦١]، و«**وحُكي لنا** عنهم ما لم نتحققه...»[١٦٢]، و«**وحُكي عنهم** أنهم...»[١٦٣]، و«**وحكى حاكٍ**...»[١٦٤]، و«**وحكى حاكٍ** عن الخوارج...»[١٦٥].

(١٦٠) مقالات الإسلاميين، ص ٨٦.
(١٦١) مقالات الإسلاميين، ص ٩٥.
(١٦٢) مقالات الإسلاميين، ص ٩٦.
(١٦٣) مقالات الإسلاميين، ص ١٠٥.
(١٦٤) مقالات الإسلاميين، ص ١٢٦.
(١٦٥) مقالات الإسلاميين، ص ١٢٧.

وأمـــا عبد القاهر البغدادي صاحـــب كتاب (الفَرق بين الفِـــرق) فقد قام بتلخيص ما تناقلته كتب المقالات وكتب التاريخ من أحداث من دون الإشارة إلى المصادر الأولى التي جاءت بتلك الأخبار. فهو عندما تكلم عن المحكمة الأولى، أهل النهروان، ذكر ما نسب إليهم من أفعال وأقوال من دون تحقيق ولا بيان لصحتها أو فسادها[١٦٦]، وذكر أنه أخذ بعض معلوماته عن شيخه أبي الحسن الأشـــعري حيث قال: «وقال شيخنا أبو الحســـن...»[١٦٧]، و«ما حكاه شيخنا أبو الحسن...»[١٦٨]، وقال عبد القاهر أيضاً: «... **فمنهم من زعم أن** أول من أحدث ذلك منهم عبد ربه الكبير **ومنهم من قال**: عبد ربه الصغير...»[١٦٩]، وقال: «... وذكر أصحاب التواريخ...»[١٧٠].

وابن حزم الظاهري اعتمد على كتب المقالات في تأليفه لكتابه (الفِصَل في الملل والأهـــواء والنحل) مـــن دون تحقيـــق ولا محاولة للرجـــوع إلى علماء الإباضية الذين عايشهم في الأندلس[١٧١]. فقد قال في مطلع حديثه عن الإباضية: «**ذكر بعض من جمع مقالات المنتمين إلى الإسلام** أن فرقة من الإباضية...»[١٧٢]،

---

(١٦٦) لقد بينا ضعف الروايات، التي نسبت إلى أهل النهروان أقوالًا وأفعالًا هم بريئون منها، في فصول كتابنا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخيـــن وأصحاب المقالات**)، فليراجعه من يشاء من طلاب الحق.

(١٦٧) الفرق بين الفرق، ص ٧٣.

(١٦٨) الفرق بين الفرق، ص ٧٤.

(١٦٩) الفرق بين الفرق، ص ٨٤.

(١٧٠) الفرق بين الفرق، ص ١١١.

(١٧١) قال ابن حزم: «وشـــاهدنا الإباضية عندنا بالأندلس...» (الفِصَـــل... ج ٤/ ص ١٤٤) ثم ذكر أقوالاً باطلة مكذوبة على الإباضية قام الأســـتاذ الشـــيخ علي يحيى معمر رَحِمَهُ اللَّهُ بدحضها والـــرد عليها. انظـــر (الإباضية بيـــن الفـــرق الإســـلامية) ج ١/ ص ٥٢ ـ ٦٠ وكذلك ج ٢/ ص ٩٧ ـ ١٠٧.

(١٧٢) الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، ج ٤/ ص ١٤٤.

وبعد ذلك أخذ بتكرار ما قاله كُتَّاب المقالات الذين سبقوه من دون تتبع للمصادر الأولى التي جاءت بتلك الأخبار[١٧٣].

والشهرستاني صاحب كتاب (الملل والنحل) لم يسند الأخبار التي ذكرها إلى مصدر قوي متصل، بل جاءت أقواله نقلاً عن كتاب (مقالات الإسلاميين) للأشعري[١٧٤]. وكذلك من مصادر لا يعرف أصحابها حيث قال: «... **ويقال إن أول** سيف سل من الخوارج...»[١٧٥]، «... **وقيل كان** نجدة بن عامر ونافع بن الأزرق...»[١٧٦]، «... **ويحكى عنهم**...»[١٧٧]، «... **ويحكى عن جماعة** منهم أنهم قالوا...»[١٧٨].

تلكم هي مصادر كُتَّاب المقالات التي بنوا عليها كتاباتهم، وهي كما لا يخفى على أحد أنها ضعيفة لا يؤسس عليها فكر أو مبدأ.

لقد ارتكب الكُتَّاب الذين تحاملوا على الإباضية في هذا العصر خطأ منهجياً في عزوهم لما نقلوه إلى الأشعري، والبغدادي، وابن حزم، والشهرستاني. فهؤلاء العلماء قد أكدوا أن تلك المعلومات المنسوبة إلى أهل

---

(١٧٣) انظر كتابنا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**، القسم الثاني من الفصل الثاني، ص ٦٤ ـ ٦٧).

(١٧٤) الملل والنحل، المطبوع في هامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج١/ ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

(١٧٥) الملل والنحل، المطبوع في هامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج١/ ص ١٢٦.

(١٧٦) الملل والنحل، المطبوع في هامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج١/ ص ١٣٢.

(١٧٧) الملل والنحل، المطبوع في هامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج١/ ص ١٣٦.

(١٧٨) الملل والنحل، المطبوع في هامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج١/ ص ١٣٦.

النهروان والإباضية والمبثوثة في كتبهم إنما سيقت إليهم، ونقلوها للقراء بصيغ التمريض التي تدل على عدم التثبت والتيقن.

وكأن لسان حال أولئك العلماء يأمر كل من قرأ في كتبهم أن يتحقق من صدق تلك الأقوال التي نُسبت إلى أهل النهروان ومن انتسب إليهم، وإلا فلا معنى لقولهم: «... **ويقال** إن...» و«... **قال بعض الناس...**» **وقال قوم** إن...»، «**وحُكي لنا...**»، و«**وحُكي عنهم...**»، و«**حكى حاكٍ...**». و«... **فمنهم من زعم...**». «... **ويقال إن أول**»، و«... **وقيل كان**»، «... **ويحكى عنهم...**»، و«... **ويحكى عن جماعة** منهم»، وغيرها من العبارات التي لا ترشد إلى يقين.

فما للدكتور هاني سليمان الطعيمات، والدكتور محمد حسن مهدي، والدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل وغيرهم ينسبون إلى هؤلاء العلماء أقوالاً لم يجزموا بصحتها وثبوتها؟، وما لهم لا يلتفتون إلى ما تحمله هذه العبارات من معان؟

وقس على ما قيل هنا حول عبارات الأشعري وغيره من العلماء ما ذكره ابن خلدون في مقدمته[١٧٩]، وما قاله العلامة ابن تيمية[١٨٠] في

---

(١٧٩) قال ابن خلدون: «... وشذ بمثل ذلك الخوارج ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم بل أوسعوها جانب الإنكار والقدح. **فلا نعرف شيئاً من مذاهبهم ولا نروي كتبهم** ولا أثر لشيء منها إلا في مواطنهم». (تاريخ ابن خلدون، المقدمة، ص٥٦٤). المتتبع لأقوال ابن خلدون في تاريخه يجده ينسب الإباضية إلى الخوارج، وهذا القول الذي ذكره ابن خلدون هنا ينسف كل ما سجله في صفحات تاريخه عنهم، إذ كيف يحكم على قوم وهو لا يعرف شيئاً عنهم؟.

(١٨٠) قال ابن تيمية: «... وأقوال الخوارج إنما **عرفناها من نقل الناس عنهم لم نقف لهم على كتاب مصنف**، كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة، والزيدية، والكرامية والأشعرية، والسالمية، وأهل المذاهب الأربعة، والظاهرية، ومذاهب أهل الحديث، والفلاسفة والصوفية، ونحو هؤلاء» (مجموع الفتاوى الكبرى، ج ١٣/ ص٤٩). فالناس الذين نقل عنهم ابن تيمية أقوال من سماهم خوارج، هم كذابون ومدلسون وضعفاء متروكون قد =

(الفتاوى الكبرى) من أقوال حـــول مصادرهما عن الناس الذين قالا عنهم بأنهم خوارج.

ومما قلته في كتاب (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**) ما نصه[١٨١]: وأما كتب الحديث وشروحها فهي ذات قدر عظيم عند كافة المســلمين وعظمتها تكمن فــي أن أصحابها أوردوا الأقوال وأســندوا الروايات إلى مصادرها، وطلبــوا من القراء التحقق من صــدق الأقوال قبل اتخاذها حججاً يخاصم بهــا، وإلا فلا جدوى من ذكر المصادر التي اعتمدوا عليها في نقل الأحاديث[١٨٢] والأخبار.

وقد اعتمد ابن حجر في شــرحه لأحاديث جاءت فــي صحيح البخاري على روايات مكذوبة جاءت من طريق أبي مخنف والهيثم بن عدي فقد قال: «وقد صنف في أخبارهم أبو مخنف... واســمه لوط بــن يحيى كتاباً لخصه الطبري في تاريخه، وصنف في أخبارهــم الهيثم بن عدي كتاباً، ومحمد بن قدامة الجوهري أحد شــيوخ البخــاري خارج الصحيح كتابــاً كبيراً، وجمع أخبارهم أبو العباس المبرد فــي كتابه (الكامل) لكن بغير أســانيد بخلاف المذكورين قبله...»[١٨٣].

= جرّح عدالتهم علماء الأمة. فعلى الذين ينقلون تلك الأقوال من كتب ابن تيمية أن يثبتوا صحتها قبل الاحتجاج بها.

(١٨١) انظر كتابنا (الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات، ٦٨).

(١٨٢) لقد اعتذر ابــن حجر عن وجود بعــض من الروايــات الضعيفــة والموضوعة في كتب الطبراني، فقال: «وقد عاب عليه إســماعيل بن محمد بن الفضل التيمي جمعه الأحاديث بالإفراد، مع ما فيها من النكارة الشــديدة والموضوعات، وفي بعضها القدح في كثير من القدماء من الصحابة وغيرهم، وهذا أمر لا يختــص به الطبراني، فلا معنى لإفراده اليوم، **بل أكثر المحدثين في الأعصار الماضية من ســنة مائتين وهلم جراً، إذا ســاقوا الحديث بإسناده، اعتقدوا أنهم برئوا من عهدته، والله أعلم**» (لسان الميزان ج ٣/ ص ٩٠).

(١٨٣) فتح الباري، ج ١٤/ ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

واعتمد ابن كثير اعتمادا كبيرا على كتابات الهيثم بن عدي وأبي مخنف حيث قال في (البداية والنهاية) ما نصه: «قال الهيثم بن عدي في كتابه الذي جمعه في الخوارج وهو من أحسن[١٨٤] ما صنف في ذلك...»[١٨٥] و«... ذكر ابن جرير عن أبي مخنف لوط بن يحيى ـ وهو أحد أئمة هذا الشأن ـ أن قتال علي للخوارج يوم النهروان...»[١٨٦]. واعتمد أيضاً على أقوال سيف بن عمر التميمي ومحمد بن عمر الواقدي في ذكر الأحداث التي سبقت وأعقبت مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان. فقد قال: «وهذا مجموع من كلام الواقدي وسيف بن عمر التميمي»[١٨٧].

فهؤلاء المؤرخون أصحاب السير كأمثال الهيثم بن عدي[١٨٨] وأبي مخنف ومحمد بن قدامة الجوهري وسيف بن عمر التميمي ومحمد بن عمر الواقدي[١٨٩] المُعتَمد على أقوالهم في شأن أهل النهروان كذبة

(١٨٤) متى صار قول الكذابين يوصف بالحسن؟!!

(١٨٥) البداية والنهاية، م ٤ ج ٧/ ص ٣١٨.

(١٨٦) البداية والنهاية، م ٤ ج ٧/ ص ٣٢١.

(١٨٧) البداية والنهاية، م٤ ج ٧/ ص ١٩٩.

(١٨٨) قال الإمام ابن كثير في الهيثم بن عدي الذي نقل عنه أخبار أهل النهروان ما نصه: «فإن الهيثم بن عدي أخباري ضعيف» (مسند الفاروق لابن كثير، ج ٣/ ص ١٣٤).

(١٨٩) قال الإمام ابن كثير عند تعليقه على رواية جاءت من طريق الواقدي: «... وضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفي رسول الله ﷺ. فقالت: قد توفي رسول الله ﷺ، وقد رفع الخاتم من بين كتفيه. فكان هذا الذي قد عرف به موته. هكذا رواه الحافظ البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) **من طريق الواقدي، وهو ضعيف**... وقد ذكر الواقدي وغيره في الوفاة أخبارا كثيرة فيها نكارات وغرابة شديدة، أضربنا عن أكثرها صفحا؛ لضعف أسانيدها ونكارة متونها، ولا سيما ما يورده كثير من القصاص المتأخرين وغيرهم، فكثير منه موضوع لا محالة، وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة والمروية في الكتب المشهورة غنية عن الأكاذيب وما لا يعرف سنده. والله أعلم» (البداية والنهاية، م٣، ج ٥/ ص ٢١٤).

وضعفاء بشهادة علماء الجرح والتعديل، فلا يصح لَـيّ أعناق الأحاديث[١٩٠] لموافقة أقوالهم الضعيفـة. ولا يجوز لنا الأخذ بأحـكام من اعتمد على أقوال الضعفاء في شأن أهل النهروان وغيرهم، بل علينا أخذ الأقوال التي يقبلها المنهج المسـتقيم، وترك ما أبطلته مناهج الأمـة ولو نقله إلينا من نجله ونحترمه.

وكتب التفسـير أصبحت مكاناً للضعفاء من الرواة لحمل آيات الله تعالى على معان باطلة لا يقرها إيمان ولا علم ولا عقل.

فقد جاء في تفسـير الطبري[١٩١] ما نصه: «حدثنـا عباس بن محمد، قال: حدثنا مسـلم، قال: ثني يحيى بن عمرو بن مالك البكـري[١٩٢]، قال: حدثنا أبي، قال: كان أبو الجوزاء إذا تلا هذه الآية: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، قال: هم الإباضية».

هذا التفسـير لا يصح نسـبته إلى أبي الجوزاء وذلك بسـبب يحيى بن عمرو بن مالك النكري الذي قال عنه ابـن حجر في (تهذيب التهذيب)[١٩٣]: «قال ابن معيـن وأبو زرعة وأبو داود والنسـائي والدولابـي ضعيف، وقال الدارقطني: صويلح يعتبر به، وقال غيره: كان حماد بن زيد يرميه بالكذب...

(١٩٠) في الفصل السـادس من كتابنـا (**الإباضية ومنهجيـة البحث عنـد المؤرخين وأصحاب المقالات**) عرضنا الروايات الحديثية، التي سُـخِّرتْ في الطعن فـي أهل النهروان، على منهج الجرح والتعديل، وتبين لنـا بعد العرض أن ليس فيها حجـة على أهل النهروان، فأرجو مراجعة تلك الروايات في الكتاب المشار إليه.

(١٩١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٤/ ص٦٦. وتفسـير ابن أبي حاتم المسمى (التفسير بالمأثور)، الرواية: ٤١٠٥، ج٢/ ص٢٣٣.

(١٩٢) كذا في نسخة مكتبة الفيصلية التي اعتمدنا عليها، والصحيح «النُّكْري» كما جاء في تفسير ابن أبي حاتم، وتهذيب التهذيب.

(١٩٣) تهذيب التهذيب، ت: ٧٩٣٦، ج١١/ ص٢٢٦.

وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه، وقال أحمد بن حنبل: ليس هذا بشـــيء، وقال الساجي منكر الحديث».

فالإباضية ليس وحدهم ممن تأذى من مثل هذه التفاسير الضعيفة، التي استقرت في الكتب، وتأججت بسببها عوامل الفرقة بين المسلمين، فأين علم التحقيق من رد هذه الترهات التي حشيت بها كتب التفسير وغيرها؟

فأصحاب الكتب الذين ذكرنا أقوالهم أعلاه صرحوا لنا بأن مصادرهم عن أهل النهروان ومن انتسب إليهم إنما جاءت من مصادر مجهولة لا تعرف، أو قالها أناس حكم عليهم علمـــاء الجرح والتعديل بالكـــذب والضعف، لهذا وجب علينا التحقق من الأقوال قبل نشرها والاحتجاج بها.

❋ ❋ ❋



٣ بداية الحكاية

من هنا بدأت الحكاية التي ملأت بصخيخها أرجاء كتب التاريخ المزور، وكتب الفرق التي جمع فيها أصحابها ما ضعف وهزل من أقوال لا قيمة لها في منهج الإسلام.

فحكاية أن «أهل النهروان» هم أصل الخـوارج، وأن «الإباضية» هم من الخوارج[١٩٤]، بدأت في انتشـارها من هنا حيث تجمعت أصوات المجاهيل

(١٩٤) هذه الحكاية هي المدخل الذي ولج منه الكُتَّاب للحديث عن أهل النهروان والإباضية، وكل كتاباتهم عبر القرون الماضيـة هي لأجل تبرير هذه الأقوال وبث هذه الحكاية في أوسـاط الناس، واستعانوا لأجل ذلك بكل باطل من الروايات وسـاقط من الأدلة. وها هو الدكتور محمد حسـن مهدي، يعبر عن جهله بحقيقة الإباضية، ويعبر عـن خياناته للمنهج العلمي، حين قال: «وقد نشأت الأباضية تاريخياً وسياسـياً وعقدياً، على أصول الخوارج، وتفرعت عنهم كسـائر فرقهم الكبرى، وهي لم تخرج عن سمات بقية الخوارج من قتالهم للمسلمين في المشرق والمغرب، ومن حيث خروجهم على الجماعة والأئمة طيلة التاريخ الإسلامي، ومن حيث أخذهم بأصول الخوارج العقدية على وجه العموم» (الأباضية نشأتها وعقائدها، ص٦٠). ثم أحال الكاتب إلى (تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري ـ ٥/ ٥٦٦ طبعة القاهرة). **أولاً**: تاريخ الإمام الطبري بُني على روايات لا يُحتج بها إلا بعد إثبات أسانيدها ومتونها، ولكن الدكتور الذي أخذته العزة بالباطل، ولأجل تمرير حكايته المتهافتة التي تخيلها في ذهنه أشار إلى رواية باطلة ضعيفة ساقطة متهافتة جاءت من قبل أبي مخنف الضعيف كما هو بين في سند تلك الرواية التي أشـار إليها الدكتور في كتابه. فكان ينبغي للدكتور أن يحقق تلك الرواية ويثبتها أولاً، ثم ينطـق بأحكامه ولكنه لم يفعل، ولن يفعل، وإذا فعل فستكون عليه حسرة وندامة لأنها ستفضحه أمام الناس. =

وأصوات الكذابين وأصوات الضعفاء الذين أشار إليهم الأشعري والحافظ ابن حجر والإمام ابن كثير وغيرهم.

ذلكم هو الطور الأول الذي تخلقت فيه هذه الحكاية، حيث سَلَّمَ المجاهيلُ والكذابون ما نسجته أيديهم إلى أصحاب الكتب لتعيش تلك الحكاية طورها الثاني، ولتصبح بعد ذلك مورداً تردها أفهام الخابطين في «ظلماء الليالي» ممن لا يميز بين «الحصباء واللآلي» ولا بين التراب والتبر والجمر والتمر.

والقائل الذي يقول: بأن أخبار أهل النهروان ذكرها الإمام الذهبي في كتابه (تاريخ الإسلام) وكتابه (سير أعلام النبلاء)، عليه أن يعلم أن الإمام الذهبي هو من أخبرنا، في كتبه، بأن رواة تلك الأخبار هم من الضعف بمكان بحيث يجب علينا ركل رواياتهم بعيداً عن موائد العلم.

والقائل الذي يقول: بأن الحافظ ابن حجر ذكر تاريخ أهل النهروان في كتبه، عليه أن يعلم أن الحافظ ابن حجر هو نفسه من كتب لنا ضعف الرواة الذين نقلوا الأخبار المنسوبة إلى أهل النهروان.

= **ثانياً**: على الدكتور محمد حسن مهدي وغيره من المفترين على المذهب الإباضي أن يعلموا أن عقائد الإباضية قد أُخذت بحقها من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله ﷺ الصحيحة المتواترة، فمن الكذب عليهم نسبت عقائدهم إلى الخوارج. فالحديث عن القضايا العقدية ينبغي أن يكون مع ذكر الأدلة، لا أن يشار إليها من بعيد في الجو المشحون بالتنطع، والكذب، وذكر الأباطيل كما جاء في حكاية هذا الدكتور.

ثالثاً: فبسبب تصديق الدكتور محمد حسن للروايات الباطلة تَقَوَّل على الإباضية بما هم أبرياء منه، فالذين قاتلوا المسلمين في الشرق والغرب والشمال والجنوب وهتكوا أعراضهم وقتلوهم ونهبوا أموالهم هم غير الإباضية كما سيتبين ذلك جلياً واضحاً في هذا البحث، والله المستعان.

فقد قال الإمام الذهبي في سيف بن عمر التميمي الأسدي: «متروك باتفاق، وقال: ابن حبان اتهم بالزندقة. قلت: أدرك التابعين وقد اتهم، قال ابن حبان: يروي الموضوعات»[١٩٥].

وقال الإمام الذهبي في محمد بن عمر الواقدي: «مجمع على تركه، وقال ابن عدي: يروي أحاديث غير محفوظة، والبلاء منه. وقال النسائي: كان يضع الحديث»[١٩٦].

وقال الإمام الذهبي في أبي مخنف لوط بن يحيى: «هالك»[١٩٧]، وقال في موضع آخر: «ساقط تركه أبو حاتم، وقال الدارقطني: ضعيف»[١٩٨].

وقال الإمام الذهبي في الهيثم بن عدي الطائي: «تركوه، وقال: أبو داود السجستاني كذاب»[١٩٩]

وقال الإمام الذهبي في محمد بن قدامة الجوهري: «روى أحمد بن محرز، عن ابن معين: ليس بشيء.

وقال أبو داود: ضعيف، لم أكتب عنه شيئا قط»[٢٠٠].

---

(١٩٥) المغني في الضعفاء، ت: ٢٧١٦، ج١/ ص٢٩٢. وانظر كذلك ما قاله الإمام الذهبي في كتاب (ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ت: ٣٦٣٧، ج٢/ ص٢٥٥ ـ ٢٥٦).

(١٩٦) المغني في الضعفاء، ت: ٥٨٦١، ج٢/ ص٦١٩. ونقل الإمام الذهبي تضعيف علماء الجرح للواقدي في كتاب (ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ت: ٧٩٩٣، ج٣/ ص٦٦٢).

(١٩٧) المغني في الضعفاء، ت: ٧٧١٩، ج٢/ ص٨٠٧. وذكر الإمام الذهبي تضعيف علماء الجرح لأبي مخنف في كتاب (ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ت: ٦٩٩٢، ج٣/ ص٤١٩ ـ ٤٢٠).

(١٩٨) المغني في الضعفاء، ت: ٥١٢١، ج٢/ ص٥٣٥.

(١٩٩) المغني في الضعفاء، ت: ٦٨٠٧، ج٢/ ص٧١٧. ومما قاله الإمام الذهبي في الهيثم بن عدي الطائي «قال البخاري: ليس بثقة، كان يكذب» (ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ت: ٩٣١١، ج٤/ ص٣٢٤).

(٢٠٠) ميزان الاعتدال، ت: ٨٠٨٣، ج٤/ ص١٥.

لقد تعلمنا من علماء الإسلام أن الأقوال المقبولة هي التي تعبر قنطرة المناهج، وأن الروايات التي يسقطها علم الجرح والتعديل فلا مكان لها في أذهان المسلمين، لهذا وجب علينا أن نكون منصفين عند نسبة الأقوال إلى غيرنا. ووجب علينا أن نحترم جهود علماء الإسلام بتطبيق ما قالوه في علم الرواية والدراية؛ فليس من الإنصاف احتجاجنا بالروايات التي نقلوها في كتبهم دون عرضها على الموازين التي أرادوا منا تطبيقها وتحكيمها في واقع كتاباتنا وأقوالنا. فالإمام الذهبي والحافظ ابن حجر وغيرهما من أئمة العلم الشريف هدفهم الأسمى هو تطبيق مناهجهم العلمية على كل الروايات التي سطروها في كتبهم أو التي سُطرت في كتب غيرهم. والقراء والكُتَّاب لن ينالوا السبق في مضمار العلوم إلا إذا حَكَّموا المناهج العلمية التي جادت بها قرائح علماء الإسلام عبر القرون الماضية.

والناظر في الكتب التي حاول أصحابها التطاول على قامات أهل النهروان والإباضية السامقة يجدها كلها تفتقر إلى تطبيقات علم الجرح والتعديل، وكأن هذا العلم لا وجود له في أذهان أولئك الكُتاب، لهذا وجدنا المفارقات بين الدعوة والتطبيق عند الكُتَّاب الذين أسهموا في نشر أقوال الكذابين والضعفاء على أهل النهروان والإباضية الكرام.

❋ ❋ ❋



٤ حكايات على مسرح الضعفاء والكذابين

المسيرة التاريخية التي اصطنعها الكُتَّاب لأهل النهروان منذ بداياتها إلى وقت الناس هذا اصطبغت في كل مراحلها بألوان من البلابل والاضطرابات والمشاكل، وحسب أوصاف الكُتَّاب والمؤرخين فإنك ترى صورة أهل النهروان وكأنهم طائفة من المهرجين لا هم لهم إلا إثارة الفتن، والاختلاف، والتمزق، والانقسام[٢٠١].

والمتتبع للمراحل التي سلكتها الأخبار التي كتبها الضعفاء والكذابون ونسبوها إلى أهل النهروان فإنه يرى تلك المراحل شاخصة أمام ناظريه:

فالمرحلة الأولى التي كونها الضعفاء من الرواة لتكون بداية حديثهم على أهل النهروان هي ذكرهم لشخص أطلقوا عليه وصف (ذي الخويصرة)[٢٠٢]، وجاءوا بأقوال باطلة تثير الغضب في نفوس المسلمين على قائلها الذي تطاول، بعد غزوة حنين، على مقام النبوة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

---

(٢٠١) الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص ٢٧٣.

(٢٠٢) انظر (الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص ٢٠٨)، وكذلك انظر (الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة، ص ٣٩ ـ ٤١). في الصفحات الآتية نقاش للروايات التي تحدثت عن شخصية (ذي الخويصرة).

والمشهد الثاني الذي جاء به الكذابون والضعفاء على مسرحهم ليمثل في نظرهم أهل النهروان[٢٠٣]، هو مشهد شخصية خرافية أطلقوا عليها اسم (ابن سبأ اليهودي)، ونسبوا إليه أسباب مقتل الإمام عثمان بن عفان[٢٠٤]، ونسبوا إليه

(٢٠٣) ومما قاله الدكتور أحمد عوض وهو يسجل تصوراته حول هذه المسرحية البلهاء: «وهكذا بدا لنا أن رؤوس الخوارج ـ في بدء أمرهم ـ كانوا من المتمردين على عثمان ومن أنصار ابن سبأ» (الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص٢٨). وقال أيضاً: «وانتهى الدكتور معروف إلى القول إن العلائق الوثيقة الخطيرة بين قادة الخوارج الأوائل وبين ابن سبأ وأنصاره، تجعلنا نميل إلى أن حركة الخوارج قد نمت وترعرعت في أحضان السبئية، وأنها إحدى ولائدها التي كانت تعمل في الظلام...» (الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص٢٩).

(٢٠٤) من مميزات الكُتَّاب الذين سعوا إلى تزييف الحقائق عن أهل النهروان والإباضية هو نقل بعضهم عن بعض من غير دراسة ولا معرفة لما ينقلونه في كتبهم، فها وهو **الدكتور محمد حسن مهدي** ينقل عن كاتب آخر وهو محمد الأنور السنهوتي ما نصه: «وتبرم بها المسلمون ووجد أعداء الإسلام الفرصة سانحة لإحداث فتنة بين المسلمين، فجدوا في تحريض الناس على عثمان، وتولى كبر هذا العمل عبد الله بن سبأ الذي أشعل نيران الثورة على عثمان» (الأباضية نشأتها وعقائدها، ص٣٠)، كان ينبغي لهذين الكاتبين أن يقفا وقفة علمية أمام تلك الروايات التي جاءت فيها هذه الأخبار قبل التفوه بهذه الأباطيل التي نسبوها إلى خرافة ابن سبأ.

وبعد أن تشبع ناصر السعوي بما أفرزته أقلام الضعفاء جاء ليجادل بقوله المتهافت: «لكن أعداء الإسلام هالهم هذا الأمر فسعوا في إشعال الفتن متظاهرين بالذود عن الدين والغيرة عليه فاغتر بهم من اغتر من المسلمين، فحصلت تلك الفتنة العظيمة التي راح ضحيتها أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ثم إن من زعماء هذه الفتنة من أسسوا مذهب الخوارج فنراهم زعماء الخوارج فيما بعد» (الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم، ص٤٨، وانظر نحو هذا القول ص٥٥).

ومما يؤسف له أن نجد **الدكتور عامر النجار** في صفوف هؤلاء الذين روجوا لخرافة (ابن سبأ اليهودي). وقد زاد على أقوالهم بقوله: «وكان الطاغوت الأكبر لهؤلاء (عبد الله بن سبأ)» (الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة، ص٢٣). وبقوله أيضاً: «من ذلك يتضح لنا خطر عبد الله بن وهب بن سبأ على الإسلام» (الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة، ص٢٤)، كان على الدكتور عامر النجار إثبات وجود خرافة (عبد الله بن سبأ) من خلال دراسة الروايات دراسة علمية قبل أن يصفه بـ«الطاغوت» وقبل أن يُعَرِّفه بـ«عبد الله بن وهب بن سبأ»، ولكن بسبب سيره وراء الضعفاء ما كان منه إلا نقل أباطيلهم إلى المسلمين، والله المستعان.

كذلك تأجيج حرب الجمل[٢٠٥]، وختموا مسرحيتهم بمشهد مقزز فيه مطالبات أتباع (ابن سبأ اليهودي) للإمام علي لكي يقسم بينهم الغنائم والنساء[٢٠٦].

والحلقة الثالثة التي تضافرت أيدي الكذابين والضعفاء والمجهولين في سبكها أتت بمشاهد فيها مجادلات بين أهل النهروان والإمام علي، فقد صورت تلك الحلقة الإمام علي شخصية لا إرادة لها[٢٠٧]، وصورت أهل

(٢٠٥) كل الروايات التي ذكرت هذه الأحداث باطلة ضعيفة وقد ذكرنا أسباب ضعفها في الفصل الثالث من كتابنا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**)، فأدعوك يا أخي القارئ الكريم إلى قراءة ما كتب لتدرك مدى تساقط الكُتَّاب في وهاد التخريص ودركات التجاهل لعلوم الأمة. **وستدرك أن الدكتور أحمد عوض** ليس لديه إلا الأباطيل عندما نسب تأجيج حرب يوم الجمل إلى خرافة ابن سبأ (الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص ٨٣ ـ ٨٤). **وهناك كاتب آخر منضم في سلك المتهوكين وهو الدكتور محمد حسن مهدي** الذي هرف بما لا يعرف حين قال: «ويقف على رأس الراغبين في استمرار وقوع الفتنة حزب (السبئيين) ومن مالأهم من قتلة عثمان ﷺ» (الأباضية نشأتها وعقائدها، ص ٣٣)، وفي هامش الصفحة عَرَّف **الدكتور محمد حسن مهدي** السبئيين بقوله: «تنسب هذه الفرقة إلى زعيمها عبد الله بن وهب بن سبأ وهو يهودي من أهل صنعاء...» وأشار في نهاية التعليق إلى (مقالات الإسلاميين ١/ ١١ ـ ١٢) و(تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٣١) وعند رجوعنا لهذين الكتابين وجدنا اسم (عبد الله بن سبأ) وليس (عبد الله بن وهب بن سبأ)، ولم نجد أي تحقيق يثبت صدق هذه الأقوال، والله المستعان. وكرر هذا الدكتور اتهام «السبئيين» بإشعال حرب الجمل (الأباضية نشأتها وعقائدها، ص ٣٤)، كان ينبغي لهذا الدكتور إثبات الأخبار من مصادرها بعد عرضها على منهاج الجرح والتعديل، وألا يقنع بما تناقلته الكتب السابقة من أقوال، ولكنه لم يفعل.

(٢٠٦) انظر تاريخ الطبري (ج ٣/ ص ٥٩) حيث جاءت الرواية من طريق «شعيب، عن سيف» الضعيفين. هذا وقد اعتمد الدكتور أحمد عوض على تلك الرواية الباطلة، حيث قال: «ووبخ السبئية الذين طعنوا في قراره واعترضوا عليه بقولهم: كيف يحل لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم؟! فقال: أيحب أحدكم أن تصير أم المؤمنين في سهمه؟» (الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص ٨٥).

(٢٠٧) ومما قاله الدكتور أحمد عوض: «ويبدو أن علياً ﷺ، قد حاول جاهداً إقناعهم بوجهة نظره، وحذرهم من المعصية، فأبوا إلا أبا موسى بحجة أنه كان حذرهم الفتنة، ولما لم =

النهـــروان بطائفة مهرجة؛ لا ضابط لتصرفاتها، فقد نســـب إليهـــا كُتَّاب هذه الحلقة إجبارهم للإمام علي على قبول التحكيم بينه وبين معاوية، ثم نسبوا إلى تلك الطائفة إرغامهم للإمام علي على قبول أبي موسى الأشعري ليكون ممثلاً عنه فـــي قضية التحكيـــم، ثم نطقـــت رواياتهم، التي نســـبوها لأهل النهروان، برفض قضيـــة التحكيم من أساســـها[٢٠٨] ومطالبتهـــم للإمام علي بالتراجع عن تلك القضيـــة والتوبة منهـــا. واختتم كُتَّاب هـــذه الحلقة تلك الأحداث بمشهد فيه ســـجال ومراجعات لفظية بين الإمام علي والطائفة التي نسبت إليها تلك المواقف[٢٠٩].

= يجد علي وســـيلة لإقناعهم، رضخ لرغبتهم، وسلم الأمر إليهم، وشـــكا حاله بين أمسه ويومه فقـــال: ألا إني كنت أمس أميـــر المؤمنين، فأصبحت اليوم مأمـــوراً، وكنت ناهياً، فأصبحت منهياً، وليس لـــي أن أحملكم على ما تكرهون» (الخـــوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص ٩٤).

(٢٠٨) ومما قاله أحد الممثلين لهذه المســـرحية الهزلية، وهو الدكتور أحمـــد عوض: «ثم نراهم يتدخلون في اختيار ممثل علي في الحكومة، ويفرضون عليه أبا موســـى الأشـــعري. وبعد ذلك يأتيه فريق منهم في طليعتهم عبد الله بن وهب الراســـبي، فيعترضون على قبوله بمبدأ التحكيم، ويطلبون إليه استئناف القتال ضد معاوية» (الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص ٣٤)، وانظر كذلك نحو هذا القول في (الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم، ص ١٨٦، ١٩١).

(٢٠٩) ففي كتابنا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**، القسم الثاني من الفصل الخامـــس، ص ١٩٤) ذكرتُ الروايات التي اعتمد عليها كثيـــر من الكُتَّاب في طعنهم لأهل النهروان، وبينت أن هذه المواقف التي نسبت إليهم باطلة لا قيمة لها. ومما قلتُه هناك: «هذه الروايـــات التي نقلها الطبري في كتابـــه واعتمد عليها الكُتَّاب الذيـــن لم ينصفوا أهل النهروان ضعيفة باطلة ســـاقطة لورودها من قبل أبي مخنف الراوي التالف المتروك (لسان الميزان ت: ٦٧٧٦/٨، ج ٤/ ص ٥٨٤ وكذلك كتاب الجرح والتعديل ت: ١٠٣٠، ج ٧/ ص ١٨٢). ويعجب الإنســـان من أناس حملوا من الإجازات العلمية ما تؤهلهم للوصول إلى معرفة الغث من السمين من الروايات ومع هذا نجدهم لا يبالون من أي مورد يستقون، ولا من أي نبع يشـــربون، كل همهم الكيد لأهل النهروان وأتباعهم الإباضيـــة الذين وقفوا أمام غطرسة بني أمية وظلم بني العباس وضحوا بأنفسهم لأجل الخلافة الراشدة. =

وجاء بنا قطار هذه الأحداث، التي اخترعها الضعفاء من الرواة، ليقف بنا أمام مشاهد أخرى لتمثيل دور أهل النهروان المزعوم في التاريخ. فقد صور لنا الكُتَّاب أهلَ النهروان فئة من الناس تعترض عبد الله بن خباب فتقتله وتشق بطن امرأته[٢١٠]، وتتأسف على قتل خنزير[٢١١] وتعوض مالكه الذمي قيمة خنزيره.

ويعرض علينا أولئك الكُتَّاب في مسرحيتهم مشهداً فيه وقوف أهل النهروان في صف واحد، ويرفعون صوتهم ليقولوا للإمام علي: أنهم كلهم مشتركون في قتل رسله وقتل[٢١٢] عبد الله بن خباب.

= فكل الذين نالوا من أهل النهروان نجدهم يعتمدون على روايات ضعيفة أبطالها أناسٌ لم تحفل الأمة بأخبارهم بل أطلقت عليها وابلاً من قذائف الحق فأصبحت في أنظار أهل الحق والاستقامة ركاماً تحبط مقتنيها وتردي به في مضائق الجهل» انتهى...

(٢١٠) الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص٢٠٩، وقال الدكتور أحمد عوض: «فبينما هو كذلك إذ بلغه أن الخوارج قد عاثوا في الأرض فساداً، وسفكوا الدماء وقطعوا السبل، واستحلوا المحارم» (الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص١٠٦).
ومما قاله ناصر السعوي: «وبناء على مبدئهم هذا استحلوا دماء مخالفيهم وأموالهم» (الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم، ص٤١)، وأضاف ناصر السعوي إلى أباطيله هنا: «فيشير شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إلى حقيقة هذا المذهب الباطل الذي خرجت به هذه الشرذمة المارقة التي شذت عن جماعة المسلمين... ولم تنته عند هذا الحد أيضاً؛ بل تعدته إلى ما هو أعظم منه وأخطر، وهو استباحتهم دماء من لم ير رأيهم ويسير على نهجهم، ليس الرجال فقط؛ بل تعدوا ذلك إلى النساء والأطفال والشيوخ» (الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم، ص٤٢)، وانظر نحو هذه الأقوال المتهافتة التي قالها ناصر السعوي (الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم، ص١٤٠، ص١٨٣، ص١٩١، ص١٩٤، ص٢٠٦).
انظر كتابنا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**، القسم الثالث من الفصل الخامس، ص٢٠٦ ـ ٢١٧) لتعلم أن الروايات، التي اعتمد عليها الكُتَّاب في تمرير هذه الأباطيل عن أهل النهروان، لا قيمة لها في الساحة العلمية لدى المسلمين.

(٢١١) انظر كتاب (الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم، ص١٨٧).

(٢١٢) ومما قاله ناصر السعوي: «وروى عن علي (أنه لما قاتل أهل النهروان قال لأصحابه لا تبدءوهم بالقتال وبعث إليهم أقيدونا بعبد الله بن خباب، قالوا: كلنا قتله). فحينئذ =

وقبل أن يسدل الستار على مشاهد هذه الحلقة يعرض علينا الكُتَّاب مشهد استخراج جثة (ذي الثدية)[٢١٣] لتكون دليلًا على فساد رأي أهل النهروان وصواب من حاربهم.

وهكذا انتهى الجزء الأول من هذه الملحمة!!!! بالعثور على (ذي الثدية) الذي كان في يوم من الأيام (ذو الخويصرة)، ولتدور أحداث هذه المسرحية من بدايتها إلى نهايتها حول خرافات وقصص ساذجة جُعل أبطالها (ذو الخويصرة) و(ابن سبأ اليهودي) و(ذو الثدية).

لقد تُرك العلم، وأُهمل العقل، واتبعت الأباطيل التي بُنيت على أقوال الضعفاء من الرواة لأجل إثارة عواطف الجماهير خاصة حينما يسمعون أن (ذا الخويصرة) قد نُسب إليه قوله للرسول صلى الله عليه وسلم: «**اعدل**»، وأن (ذا الثدية) الذي نُسب إلى أهل النهروان قد قال عنه رسول الله ﷺ: «**آيتهم رجل إحدى يديه، أو قال: ثدييه، مثل ثدي المرأة، أو قال: مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس**»، وأن (ابن سبأ اليهودي) قد أجج الناس على ذي النورين وثالث الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

لقد أجاد الكُتَّاب في استنهاض عواطف الناس ضد أهل النهروان ومن اعترف بعدالة موقفهم من تلك الأحداث التي شهدتها الساحة الإسلامية أيام الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الكريم.

ولقد استنهضت النفوس على أهل النهروان حينما تكاتف الكذابون والضعفاء، وقَلَّبوا الأمور، ونسجوا من خيوط أباطيلهم صورة ساذجة

= استحل قتالهم لإقرارهم على أنفسهم بما يوجب قتلهم» (الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم، ص ٢٠٨)، وانظر كذلك (الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة، ص ٤٢).

(٢١٣) انظر كتاب (الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص ١٠٨، وص ٢١٢)، وانظر كذلك (الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة، ص ٤٠).

يرفضها العلم الذي أَسس بنيانه الإسلامُ، ولا يقرها العقل المسلم النظيف من الخرافات والأباطيل التي ظهرت في هذه المسرحية الهزلية التي روج لها أصحابها.

وأما الجزء الثاني من مسرحية الكذابين والضعفاء فتناولت الأحداث التي أعقبت معركة النهروان حيث جاء الكُتَّاب بمشاهد فيها تتبع من زعموا أنهم أتباع أهل النهروان للإمام علي، لينتهي المشهد بمقتله كرم الله وجهه الكريم على يد رجل تعلق قلبه بحسناء، فأمهرها ضربة سيف مسموم على كاهل الإمام الكريم[٢١٤].

وبعد استراحة ليست بقصيرة خرج الضعفاء وأذنابهم من الكُتَّاب للجماهير على منصة المسرح ليمثلوا الحوار الذي دار بين عبد الله بن الزبير والذين جاءوا لنصرته ضد الجيش الأموي الذي هجم على المدينة المنورة ومكة المكرمة[٢١٥].

---

(٢١٤) انظر كتاب (الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص١٢٠)، فنسبة قتل الإمام علي كرم الله وجهه الكريم إلى أتباع أهل النهروان باطلة وذلك ببطلان جميع الروايات التي نسبت جريمة القتل إليهم، فالرجاء مراجعة كتابنا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**، ص٢٢٣ ـ ٢٢٨).

(٢١٥) انظر (الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص١٥٥، وص ٢٠٤)، وانظر كذلك (الإباضية نشأتها وعقائدها، ص٥٤)، وانظر كذلك: (الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم، ص١٣١ ـ ١٣٢)، لقد استعان الكُتَّاب في طعونهم لأهل النهروان والإباضية بالروايات التي تحدثت عن الحوار الذي دار بين عبد الله بن الزبير والرجال الذين جاءوا لنصرته عندما هجمت جحافل بني أمية على المدينة المنورة ومكة المكرمة. وأخذ الكُتَّاب من تلك الروايات تصوراتهم الباطلة عن منهج أتباع أهل النهروان الذين بقوا على مبادئهم إلى يوم الناس هذا. ولقد كان لنا نقاش لتلك الروايات في كتابنا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**، القسم الخامس من الفصل الخامس، ص٢٢٩ ـ ٢٣٥)، وعرفنا من خلال مناقشة تلك الروايات أن ما نسب من أقوال إلى الذين جاءوا لنصرة =

واختتم الجزء الثاني من هذه المسرحية بعرض مشهد فيه القتل والسبي ونهب الأموال، ليكون هذا المشهد دائماً وأبداً حياً في ذاكرة من افترى وعلى لسان من ارتمى في أحضان الكذابين.

فكل المشاهد التي شملها الجزء الأول والجزء الثاني من هذه المسرحية الهزلية المضحكة إنما أملتها روايات ضعيفة؛ أبطلتها علوم الأمة الإسلامية كما بينا ذلك بالحجج العلمية التي أخذناها من كتب علماء الإسلام من كل المذاهب في بحثنا الذي خرج باسم (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**). ولقد وقف خلف تلك الروايات سدنة أنفقوا أموالهم وأعمارهم في إنشائها وتزييفها وحملها والترويج لها عبر التاريخ، وبرهنوا من خلال كتاباتهم أنهم «يحتطبون الأخبار بأهوائهم»، وأن عملهم «عمل غير علمي ولا دقيق، بل عمل حاطب ليل». وأن سيرهم «كالخابط في ظلماء الليالي».

وبعد أن عُرضت علينا تلك المَشاهِد، فلا بد أن يكون للمُشاهِد رأياً يُسَجَل له أو عليه. وهنا ينقسم المشاهدون إلى فئات، وكل فئة تأتي بمواقفها حسب ما استقر في أذهان أفرادها من تصورات وحسب الانتماءات الفكرية الموروثة التي تتناقلها الأجيال عبر القرون.

وهنا يحدث الصخب بين أفراد تلك الفئات؛ فتسمع أصوات من لا يعجبهم ما سمعوا ورأوا، وترى آخرين يرقصون فرحاً بما شاهدوه من أحداث، وبهذا ينتقل الصخب من مسرح التاريخ الذي مُثِّل عليه إلى مسرح الحياة التي يعيشها الناس. ولكن إذا نطقت مناهج الأمة الإسلامية بالحكم

= ابن الزبير باطل لا يصح، ولا ينبغي لأي أحد أن يطعن في أهل النهروان والإباضية بما جاء في تلك الروايات الباطلة.

العادل فلا بد للجميع أن يضعوا أيديهم على رؤوسهم استسلاماً للحكم الذي لا يزيغ عنه إلا معاند ومكابر للحق.

فالذين رأوا سلامة مواقف أهل النهروان لم يعجبهم ما سمعوا، وحَكَّموا في ذلك مناهج الأمة.

والذين توارثوا أحكامهم الجائرة على أهل النهروان ما كان منهم إلا تقبل ما شاهدوه وسمعوه، وسعوا بعد ذلك في نشر أحكامهم الباطلة بين أجيال المسلمين بلا خجل ولا خوف من أن تظهر أباطيلهم في يوم من الأيام.

لقد أسهمت كتب كثيرة في بث ما حوته هذه المسرحية الهزلية من أباطيل في أوساط الجماهير معتمدة في ذلك أساليب (التكرار) وطرق (التأكيد).

فمن تلك الكتب:

- كتاب (الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام ـ مناهجهم وأصولهم وسماتهم قديماً وحديثاً وموقف السلف منهم) للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل.
- وكتاب (الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم) لناصر بن عبد الله السعوي.
- وكتاب (الخوارج تاريخهم، فرقهم وعقائدهم) للدكتور أحمد عوض أبو الشباب.
- وكتاب (الخوارج نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم) للدكتور علي بن محمد الصلابي.
- وكتاب (الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة) للدكتور عامر النجار[٢١٦].

(٢١٦) هذا الكتاب الذي ظهر باسم (الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة) ونشرته (عالم الكتب)، والكتاب الآخر الذي ظهر باسم (الأباضية ومدى صلتها بالخوارج) ونشرته =

• وكتاب (الإباضية نشأتها وعقائدها) للدكتور محمد حسن مهدي.

وغيرها من الكتب التي لم تختلف عنها إلا في العنوان واسم المؤلف والناشر. وكل الذي حوته هذه الكتب ما هو إلا تكرار وإعادة تدوير لأباطيل التاريخ التي نطق بها الضعفاء والكذابون في مشاهد مسرحيتهم الخرقاء عن أهل النهروان الكرام، ولم نجد من أصحاب هذه الكتب من حقق تلك الروايات والأقوال ووزنها بميزان علم الجرح والتعديل، وكتبهم هذه خير دليل على ما نقول.

وعلى مدى القرون الماضية أخذ الكُتَّاب عن سابقيهم الأخبار المنسوبة إلى أهل النهروان، وكلما جاء جيل من هؤلاء حمل على ظهره تلك الأخبار حتى وصلت إلى الدكتور ناصر العقل الذي لم يكن له إلا أن يقول: «يتفق العلماء والباحثون قديماً وحديثاً على أن (الأباضية) في أصولها العقدية فرع عن الخوارج وتلتقي معهم في أغلب الأصول التي خرجت بها الخوارج عن

= (دار المعارف)، تشابها كثيراً في طرح مادتهما، ومهما تكن من دوافع للكاتب أو الناشر وراء إصدارهما بعنوانين وإن اتفقا في المضمون، تبقى المادة العلمية التي عرضها المؤلف هي التي تُطرح للنقاش، وهي التي تُثبت قرب أو بعد الكاتب عن المنهج الإسلامي في تحقيق الأخبار.

فالقارئ يجد الدكتور عامر النجار قد سار في ركب الضعفاء والكذابين من الرواة حين تحدث عن أهل النهروان، ولكنه صرح ببراءة الإباضية من فكر الأزارقة والنجدات حينما رجع إلى كتب الإباضية، وهو يشكر على ذلك؛ حيث قال: «وإنني أميل بشدة إلى رأي الدكتور عوض خليفات الذي أكد من خلاله على أن الإباضية ليسوا من الخوارج» (الإباضية ومدى صلتها بالخوارج، ص٨٥)، وقال أيضاً: «هذه الفروق المختلفة تجبرنا على الفصل بين الإباضية والخوارج ولا نعتبرهم من فرق الخوارج» (الإباضية ومدى صلتها بالخوارج، ص٨٨). وسيتبين في هذا البحث أين أخطأ الدكتور عامر النجار وأين أصاب؟ والله الموفق إلى كل خير.

الأمة...»[٢١٧]. ثم أشار الكاتب في هامش الصفحة إلى الكتب التي توارثت الأباطيل عن أهل النهروان والإباضية.

وجاء نحو عبارة الدكتور ناصر العقل على لسان الدكتور محمد حسن مهدي الذي قال: «وقد استنكر الأباضيون المعاصرون بشدة انتماءهم إلى الخوارج رغم اتفاق كُتَّاب الفرق والمقالات الإسلامية على أن الأباضية إحدى فرق الخوارج»[٢١٨]. ثم أحال القارئ إلى كتب أخرى سبقته في ركم الأباطيل.

ليت الدكتور العقل والدكتور محمد عرفا صلة تلك الكتب التي ذكراها بالمنهج العلمي، وليتهما وزنا ما في تلك الكتب بميزان الحق قبل أن يتفوها بهذه العبارة.

ليعلم الدكتور ناصر العقل ومعه الدكتور محمد حسن أن علماء الإسلام لا يتفقون على قول الأباطيل، وما سُجل على أهل النهروان والإباضية باطل بشهادة علماء الجرح والتعديل. فَلِم لا يستفيدان من علومهم قبل أن يتفوها بهذه الأباطيل؟

---

(٢١٧) الخوارج أول الفرق في الإسلام، ص٨٩. ثم أحال الدكتور القارئ إلى الكتب الآتية: «(مقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ١٨٣، والفرق بين الفرق للبغدادي ١٠٣، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٣٣، والمعارف لابن قتيبة ٦٢٢، ومروج الذهب للمسعودي ٣/ ٢٥٨، والكامل لابن الأثير ٣/ ٣٣٥ ـ ٣٣٧، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص (٤٩، ٥٧)، ودراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين للدكتور/ أحمد جلي ٧٤ ـ ٩٧، وتأملات في التراث العقدي للفرق الكلامية (الخوارج) للدكتور / عبد السلام محمد عبده، ص٢٨٥ وما بعدها. والخوارج في العصر الأموي للدكتور نايف معروف ص٢٣٨. وتاريخ الفرق الإسلامية لعلي الغرابي ص٢٨١. والإباضية عقيدة ومذهباً للدكتور صابر طعيمة ١٧ ـ ١٩ وغيرها».

(٢١٨) الأباضية نشأتها وعقائدها، ص٥٥. ثم أحال الدكتور القارئ إلى كتاب الفصل لابن حزم، وكتاب الملل للشهرستاني، والتبصرة في الدين للإسفراييني، وكتاب مقالات الإسلاميين للأشعري، والفرق بين الفرق للبغدادي، وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة.

وليعلم الدكتور العقل أن الذين وصفهم بـ«الباحثين» قديماً وحديثاً لم يكن لهم حظ في تطبيق علوم الأمة على الأخبار التي أساءت إلى مقام أهل النهروان والإباضية الكرام. وكل ما قاموا به ما هو إلا نقل لأباطيل لو عرفوا أصولها وما في بطونها لجفت مآقيهم من شدة الخجل إن كان فيهم عرق حياة وحياء.

فالدكتور العقل والدكتور محمد مهدي خلطا بين المصادر الأصلية والثانوية، وهذا خرق لمبادئ المنهج العلمي في الكتابة. وبما أن الكاتبين لم يفيا بقواعد المنهج الإسلامي الصادق، فهما ليسا بأهل لأن يكتبا حرفاً واحداً عن أهل النهروان والإباضية الكرام.

يا ناصر العقل لو تعقلت قليلاً، وطبقت علم الجرح والتعديل على الأخبار التي في كتب من تعدهم «باحثين» لعرفت أنها من إبداعات الضعفاء والكذابين والوضاعين، فكان من الواجب عليك القيام بهذه المهمة قبل أن تفضح نفسك أمام المسلمين.

يا ناصر العقل لو كنت منصفاً في القول لتبين لك أن المصادر الثانوية التي تراكمت عبر التاريخ ما هي إلا استنساخ لكل الأباطيل التي تفوهت بها المصادر الأصلية لحججكم النابعة من أذهان سيف بن عمر الوضاع والواقدي الكذاب وأبي مخنف الضعيف وغيرهم من ضعفاء الرواة، فَلِم لا تُعمِل عقلك وضميرك ولسانك وقلمك لإظهار الحقيقة التي يعرفها صغار الطلاب؟، ولِمَ لا تقر بحقيقة أن الأقوال الضعيفة والأخبار المتساقطة تبقى على حالها ضعيفة متساقطة كريهة نتنة حتى ولو حملها عبر التاريخ أجيال وأجيال؟

فليس من الإنصاف لعلماء الإسلام أن نقول عنهم بأنهم اتفقوا على قبول الأباطيل والأكاذيب وإن وُجدت تلك الأقوال في كتبهم. إذ ليست العبرة فيما

سـطر في الكتب، بل العبرة في الاستشـهاد والاحتجاج بما في الكتب بعد وزنها بمناهج الحق، وهذا أمر بديهي يعرفه طلاب العلم قبل حملة الشهادات العليا، ولكن إذا غلب الهوى على الدكتور ناصر العقل والدكتور محمد حسن مهدي فإنك لن ترى عقلاً يُسدد ولا هدى يُرشد.

يا فضيلة الدكتور ناصر العقل ستعرف في هذا البحث أن كل أقوالك التي قلتَها في كتابك عن الإباضية ما هي إلا ركام من الأباطيل.

فتلك الكتب وإن تعددت عناوينها، فهي تمثل، لدى العارفين للحق، لعبة (الجري بالتناوب) أو لعبة (سـباق التتابع) التي يتلهى بها الأطفال في وقت فراغهم. فالخطوة الأولى لهذه اللعبة كانت منذ عصر سيف بن عمر التميمي الوضاع للحديث، ووقـت الواقدي الكذاب، وزمن أبـي مخنف الضعيف، وما زال حاملوهـا يركضون بها إلى وقـت الناس هذا، لعلهـم يجدون من لا يميز بين الجمر والتمر فيستلمها منهم ويركض بها، وهكذا...، ولم نر عبر التاريخ أحداً من هـؤلاء العدائين من وقف عند نفسـه وتسـاءل عن ماهية ما يحمله.

قطعاً إن تلك المشـاهد التي روج لها الكُتَّاب في أوساط الجماهير عن أهل النهروان والإباضية إنما بنيت على أسـس ضعيفة، وحملها عبر التاريخ أناس لم يحفلوا بمناهج الأمة الإسلامية عند كتاباتهم وأقوالهم.

قال الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكّار: «يعلمنا النبي ﷺ الموضوعية حين يشنع على أولئك الذين يحدثون الناس بكل ما سمعوه دون نظر شخصي في ذلك المسموع؛ ولا ريب أن كثرة نقل الأخبار والأقوال مظنة للوهم والنسيان، كما أنها مظنة للتزيد وشوب الهوى؛ ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام: (كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَـمِعَ). كما ذم أيضاً أولئك الذين يروون أخباراً لا سند لها،

ولا يعرف من هو قائلها؛ وذلك توسلاً بها إلى مآرب شخصية، حين قال: (بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ: زَعَمُوا). ولفظة (زعموا) إنما تستخدم عند عدم وثوق الناقل من صحة ما ينقل»[٢١٩].

فكما عمد الكُتَّاب الذين تحاملوا على الإباضية إلى أساليب التكرار لتأكيد الأكاذيب والأباطيل فإن الكثير منهم عمد إلى الخداع والتضليل الإعلامي[٢٢٠] لأجل «منع الآخرين من معرفة الحقيقة بكاملها»[٢٢١]، والمتتبع لكتابات الذين تحاملوا على الإباضية يجد أساليب التضليل الإعلامي[٢٢٢] حاضراً بكثافة في كتبهم، فقد عمدوا إلى تشكيك الناس في تاريخ الإباضية، والتستر وراء شعارات زائفة لا تربطها بمناهج البحث عند المسلمين أي رابطة، وعمدوا إلى الكذب، وإثارة عواطف الجماهير وتخويفهم بروايات باطلة، وتزييف المصطلحات، وهذه كلها محاولات «متعمدة لإخفاء المعلومات والأخبار أو تشويهها أو الانتقاص منها أو الزيادة عليها، بطريقة لا تلتزم بمعايير وضوابط وأخلاق مهنة الإعلام، لإيهام وتضليل الجمهور وجعله يتبنى وجهة نظر القائمين على تلك الوسائل، خدمة لأهدافهم القريبة والبعيدة»[٢٢٣].

---

(٢١٩) فصول في التفكير الموضوعي، ص٦٦.

(٢٢٠) عُرِّف الإعلام «بأنه: مشاركة الآراء والأفكار والأخبار والمعلومات مع الجماهير بأساليب مؤثرة ووسائل اتصال مختلفة بهدف الإعلام أو الإخبار أو الإقناع أو التأثير على السلوك بما يخدم أهداف القائمين على العملية الإعلامية». (التضليل الإعلامي وسبل مواجهته، ص١٨).

(٢٢١) لماذا يكذب القادة (حقيقة الكذب في السياسة الدولية)، ص٣٦.

(٢٢٢) للمزيد من التفصيل حول التضليل الإعلامي انظر (التضليل الإعلامي وسبل مواجهته، ص٥٥ ـ ٦٩).

(٢٢٣) التضليل الإعلامي وسبل مواجهته، ص٢٤ ـ ٢٥.

وهم ـ أي الكُتَّاب الذين تحاملوا على الإباضية ـ باعتمادهم على الخداع والتضليل الإعلامي قد اقتبسوا من أبي لهب أسلوبه في تنفير الناس عن السماع لرسول الله ﷺ حينما كان يعرض نفسه على قبائل العرب[٢٢٤]. وهؤلاء الكُتَّاب بسلوكهم لمسلك أبي لهب، عرضوا الأباطيل المنسوبة ظلماً وزوراً إلى أهل النهروان والإباضية على جماهير الناس؛ فمن الناس: من صدقهم وأخذ بتكرار أقاويلهم، تماماً كالذين غلبت عليهم شائعات قريش، **ومنهم من أراد أخذ الحقيقة من مصادرها الصادقة، اقتداءً بالطفيل بن عمرو الدوسي**[٢٢٥] **وضماد الأزدي**[٢٢٦] رضي الله عنهما **اللذين تحديا شائعات قريش وسعيا إلى سماع القول الصادق من المصطفى** عليه الصلاة والسلام.

والوقفات الآتية فيها البيان لما قلناه، ونقد علمي للروايات التي بنيت عليها تلك المسرحية الهزلية المنسوبة إلى أهل النهروان الكرام.

❋ ❋ ❋

(٢٢٤) حول جهود أبي لهب لصد الناس عن السماع لرسول الله ﷺ انظر (الكامل في التاريخ، ج٢/ ص٩٤)، وغيره من الكتب التي تحدثت عن السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم.

(٢٢٥) راجع (أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت: ٢٦١١، ج٣/ ص٧٨ ـ ٨١) لمعرفة موقف الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه حينما خوفته قريش من الاستماع إلى قول الرسول ﷺ.

(٢٢٦) راجع (أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت: ٢٥٦٧، ج٣/ ص٥٦) لمعرفة موقف ضماد الأزدي عندما حذرته قريش من أقوال الرسول ﷺ.

٥ وقفة مـع الدكتور أحمد عوض أبي الشباب

حوارنا هنا سيكون مع الدكتور أحمد عوض أبي الشباب صاحب كتاب (الخوارج تاريخهم، فرقهم، عقائدهم).

فمن خلال ما سـطره الدكتور أحمد عوض في كتابه ندرك بُعد التجاهل لما يدعو إليه الإسلام من قول الصدق والبحث في مظان الكتب عن الحق، خاصة إذا تحدث الكاتب عن أفراد أو جماعات من الناس.

ولقد هيـأ الدكتور أحمد عوض قُـراءه بقوله: «واطّلعـت على ما صنفه الباحثون في هذا الصدد من أبحاث، فوجدت أنها لا تفي بالغرض، إلا القليل منها، وخاصة أنها تتنـاول الجانب التاريخي والعقـدي، بينما تناول بعضها هذين الجانبين بالإضافـة إلى الجانب الأدبي، ولكنها ـ في الوقت نفسـه ـ تفتقر إلى المنهجية العلمية، وتغفل كثيراً من الفـرق الخارجية التي ظهرت خلال حقب تاريخية مختلفة»[٢٢٧].

فعبارة الدكتور أحمد عوض هذه تعبر بصدق عن كتابات الذين سبقوه من الكتاب، فكتابات الذين سـبقوا هذا الدكتور «تفتقر إلـى المنهجية العلمية» وهذا هو الواقع الذي تنطق به كتب الذين سبقوا هذا الدكتور في الميدان. ويا ليت الدكتور، حينما أنكر على من سـبقه من الكتاب، سـلك مسلكاً مغايراً

(٢٢٧) الخوارج تاريخهم، فرقهم، عقائدهم، ص ٣.

لمسلكهم في الكتابة عن أهل النهروان والإباضية، ولكنه آثر تلقف أخبار الكذابين والضعفاء وأخذ ينافسهم في التقول بالأباطيل.

والحقيقة أن العارفين والمطبقين لمناهج الأمة الإسلامية في الأخذ والعطاء يعرفون، معرفة لا يشوبها أدنى شك، أن كل الذين افتروا على أهل النهروان من الذين كانوا قبل الدكتور أحمد عوض أو من الذين جاءوا معه في هذا العصر قد افتقرت كتاباتهم «إلى المنهجية العلمية».

وليس للدكتور أحمد عوض أي ميزة على غيره بهذا القول إلا رميه بالحجارة، وهو في بيته المصنوع من زجاج محطم، صوب سكان بيوت العنكبوت. وليس للدكتور أحمد عوض أي فضل على من سبقه من الكُتَّاب إلا كفضل اليهود على النصارى أو كفضل النصارى على اليهود حينما قالوا: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣]، فهم جميعاً في وديان الافتراء هائمون بلا دليل.

ومصطلح «المنهجية العلمية» ليس ادعاء، بل هو قواعد وأسس ومعالم ينبغي لكل كاتب معرفتها حق المعرفة، ويبني عليها كتاباته بعد أن يصطفي اللبنات السليمة القوية ليُشَيِّد بها بحوثه التاريخية والمعرفية. فلو التزم الدكتور أحمد عوض بـ«المنهجية العلمية» التي عَرَّفَها ابن خلدون[٢٢٨] وغيره من الكتاب، لما تجرأ على الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه بقوله «وكان من **قنائص** عبد الله بن سبأ»[٢٢٩]، ولما تجرأ على أهل النهروان الكرام

(٢٢٨) انظر ص٣١ من هذا البحث.

(٢٢٩) قال الدكتور أحمد عوض هذا القول البذيء في حق الصحابي الجليل عند مناقشته لعلي جفال صاحب كتاب (الخوارج تاريخهم وأدبهم)، ونص العبارة هي: «أما ما ذكره من =

بقوله: «لذلك كان لا بد من تسليط الضوء في الفصل الأول، على أصل الخوارج[٢٣٠] ونشأتهم، ليدرك القارئ الكريم، أن مختلف الحركات الخارجية القديمة منها والمعاصرة[٢٣١]، غريبة المنشأ، وأنها نشأت في رحم اليهودية»[٢٣٢].

فما مسارعة الدكتور وتقوله على المسلمين بهذه الأكاذيب، إلا تعبيراً عن إفلاسه وتخبطه وسوء أدبه وانحطاط أخلاقه، فأي ضمير هذا الذي طاوع هذا الدكتور على وصف الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه «من قنائص عبد الله بن سبأ»؟

ومن أين أتى هذا الدكتور بقوله البذيء أن منشأ أهل النهروان وأتباعهم كان من «رحم اليهودية»؟، فهل قام هذا الدكتور بالمقارنة بين دعوة اليهود وعقائدهم وبين مبادئ أهل النهروان حتى يصل إلى هذه النتيجة في السطور

= اعتراض أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر لهذه السياسة، فلعله رمى إلى ما فعله أبو ذر من دعوته مشاركة الأغنياء للفقراء في أموالهم، **وكان من قنائص عبد الله بن سبأ**» (الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص٥٢).

(٢٣٠) لقد عنون الكاتب الفصل الأول من كتابه بـ (أصل الخوارج ونشأتهم)، وقسمه إلى مباحث: وذكر من أسماءهم: الخوارج، أهل النهروان، والحرورية، والنواصب، والشراة، والمارقة، والمحكمة.

(٢٣١) ولقد أصر هذا الدكتور على ربط الإباضية بالخوارج الذين قال عنهم بأن نشأتهم كانت من «رحم اليهودية»، حيث قال هذا الدكتور: «إن ما زعمته الإباضية من دعوى البراءة من مذهب الخوارج، لا يجدي في دفع هذه الشبهة عنهم، كما أن المواقف التي وقفتها الإباضية ضد الخوارج لا تدل على ذلك...» (الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص٢٧٣)، فأنتم أيها الإباضية في نظر هذا الدكتور قد خرجتم من «رحم اليهودية»، والعياذ بالله. لقد تجمعت أحقاد الدنيا في قلب هذا الدكتور فلم يجد من يخاصمه إلا الإباضية أهل الحق والاستقامة.

(٢٣٢) الخوارج تاريخهم، فرقهم، عقائدهم، ص٤.

الأولى من كتابه المتهافت؟، فهذا القول الذي ابتـدأ به كتابه المهزوم دليل واضح أنه لم يتبـع أخلاق المسـلمين ولا مناهجهم في تتبـع الحق وقول الصدق، فقد سـار هذا الدكتور مع الكذابين وأتى مـن الأقوال ما نهى عنها الإسلام الحنيف.

وأنت يا أبا الشـباب بهذا الافتراء والكذب على الصحابي الجليل وأهل النهروان الكرام تسقط عدالتك عند المسـلمين، فليس لك أي مزية على من سبقك من الكُتَّاب الذين وصفتَ كتاباتهم بأنها «تفتقر إلى المنهجية العلمية».

فبكذبك المشؤوم يا دكتور يحكم عليك المسلمون برد شهادتك وأقوالك وكل كتاباتـك، عقوبة لـك على سـوء أدبك، فقد قـال الإمام الشـافعي: «المعروفون بالكذب من المسـلمين لا تجوز شـهادتهم»[٢٣٣]، وهذا الكذب الذي خطته أناملك أصبح شاهداً عليك، فهنيئاً لك يا دكتور هذه الدركة التي تدحرجت إليها وسكنت فيها.

لقد جنيت يا أبا الشباب على نفسك بتقولك على الأبرياء، فعليك التوبة من هذا الزور، وأن تعلن للملأ قول الحق كما نشرت بينهم الأباطيل. وعلى «**دار الكتب العلمية**» التي عهدت[٢٣٤] إليك كتابة افتراءاتك على المسـلمين وقامت بنشرها في أوساط المسلمين الوزر العظيم لأنها تعد مشاركة لك في هذا الكذب والدجل.

فهل يا ترى ستقوم (**دار الكتب العلمية**) بشيء ضد الكاتب والمكتوب؟، أم ستبقى تنشر هذا الافتراء الممقوت؟

---

(٢٣٣) شرح السنة للبغوي، ج ١٠/ ص ١٢٤.

(٢٣٤) قال الدكتـور أحمد عوض: «عهدت إلـيَّ دار الكتب العلمية ـ مشـكورة ـ بتصنيف هذا البحث...» (الخوارج تاريخهم، فرقهم، عقائدهم، ص ٣).

ولم يكن للدكتور في كل صفحات كتابه أي جهد في تحقيق الروايات التي اعتمدها، فحاله هو نفس حال من سبقه من الكتاب، إذ كلهم مشارك في لعبة (الجري بالتناوب) القائمة على الهرولة والنقل للأثقال دون معرفة لما تقله أيديهم من أوزار.

فأول ما نقله الدكتور أحمد عوض في كتابه هو تعريف «الخوارج» من كتاب القاموس المحيط للفيروزبادي حيث نقل عنه قوله: «الخوارج: من أهل الأهواء سموا به لخروجهم على الناس»[٢٣٥]. انتهى

فكتاب الفيروزبادي هو كتاب لغة وليس كتاب أحكام على الناس، فكان ينبغي للدكتور أحمد عوض، وهو يسعى جاهداً لإثبات أحكامه الباطلة، أن يبرهن صحة أقوال الفيروزبادي لا أن يعتمد عليها بلا أدنى تحقيق. وأسلوب النقل من غير تحقيق هو الديدن الذي سار عليه الدكتور أحمد عوض في كل صفحات كتابه عن أهل النهروان الكرام، وهذا فيه الكفاية لإثبات عدم اتباع الدكتور أحمد عوض للمنهج الإسلامي العلمي في كتابة التاريخ، ثم أخذ الدكتور في إحالة القارئ إلى الكتب التي نقل منها الأقوال التي سطرها في صفحات كتابه، حيث نقل كثيراً عن الشهرستاني، والأشعري، والحنفي (صاحب كتاب موسوعة الفرق)، وابن تيمية، والبغدادي، والمبرد، والملطي (صاحب كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع)، ونايف معروف، والطبري، والبلاذري وغيرهم، من غير أن تكون له وقفة علمية يستنتج منها ثبوت تلك الأقوال أو بطلانها.

فلو كان نقل الدكتور عن هؤلاء العلماء للتدليل على ما يقولونه عن أنفسهم، وما يعتقدونه من مبادئ، وما يسجلونه من تاريخهم، لقلنا: إن

(٢٣٥) الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، هامش ١ ص ٧.

الدكتور قد أحسن في نسبة الأقوال إلى أصحابها من خلال كتبهم وما سجلته أقلامهم.

ولكن الدكتور أحمد عوض في حديثه عن أهل النهروان والإباضية اتخذ الأقوال الباطلة التي وجدها في الكتب حجة يبرر بها مقولته الساقطة التي نسبت أهل النهروان إلى «رحم اليهودية» والعياذ بالله. وهذا الذي أقدم عليه الدكتور أحمد عند النقل من الكتب الماضية من غير إثبات هو عين الافتراء الممقوت، والاعتداء على المسلمين، والخرق الواضح لأخلاق الإسلام ومبادئه.

وقد نبهنا علماءُ الإسلام إلى التثبت مما في كتبهم قبل أن ننسبها إليهم ونحتج بها. فها هو العلامة ابن تيمية يقول: «... وأقوال الخوارج إنما **عرفناها من نقل الناس عنهم لم نقف لهم على كتاب مصنف**»[٢٣٦].

أما يكفي قول العلامة ابن تيمية هنا لكي يقوم الدكتور أحمد عوض والدكتور ناصر العقل[٢٣٧] وناصر السعوي[٢٣٨] وغيرهم لتتبع كل الأقوال والأحكام التي سطرها ابن تيمية في كتبه عن أهل النهروان ومن أطلق عليهم خوارج قبل إعادة تدويرها وتكرارها ونشر عدواها في أوساط المسلمين؟

فقول ابن تيمية هنا دعوة للجميع لتتبع ما نقله الناس عن أهل النهروان، ولكن الدكتور أحمد عوض والدكتور ناصر العقل ومعهم ناصر السعوي قد

---

(٢٣٦) مجموع الفتاوى الكبرى، ج ١٣/ ص ٤٩.

(٢٣٧) لقد أسهب الدكتور العقل في النقل من كتب ابن تيمية من غير محاولة لإثبات ما نقله، انظر (الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، ص ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣١...).

(٢٣٨) وكذلك ناصر السعوي لم يحفل بما نبه عليه العلامة ابن تيمية هنا، فقد وجدناه ينقل كثيراً من أقواله عن الخوارج من غير محاولة لإثباتها من مصادرها، انظر (الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم، ص ٨، ١٢، ٢٧، ٥٣...).

تقاصرت هممهم ونسـبوا إلى ابن تيمية ما لم يؤكده مـن مصادره الصادقة، فأين مبادئ المنهج الإسلامي من هؤلاء الكتاب؟

ولله الحمد والمنة فقد طبقنا دعوة العلامة ابن تيمية في بحوثنا عن أهل النهروان من خلال تتبع روايات الناس وأقوالهـم عنهم، ووزنا تلك الأقوال بميزان الإسلام. فكانت النتيجة أن عرفنا أن ما نسبه الناس إلى أهل النهروان من مخالفات شـرعية كلها باطلة، وكذب روج له الكذابون ومن سـار على شاكلتهم.

فهل سيقوم أتباع ابن تيمية بإنصاف مناهج الأمة وتطبيق ما سجله العلامة ابن تيمية من دعوات في واقع الكتابة؟

وكذلك ما قاله الإمام الطبري في مقدمة تاريخه: «... فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرنـاه عن بعض الماضين مما يسـتنكره قارئه، أو يستشـنعه سـامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قِبَلنا، **وإنما أُتي من قِبَل بعض ناقليه إلينا؛ وأنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدِّيَ إلينا**»[٢٣٩].

وهذه دعوة الإمام الطبري للقراء أن يسعوا إلى إثبات الأقوال المسطرة في تاريخه، فمـا للذين افتروا على أهـل النهروان لا يحملون لهـذه العبارة أي قيمة؟، وما لهم ينسبون إلى الإمام الطبري الأقوال التي لم يؤكدها بنفسه؟

فواجب علينا تتبع الأقوال التـي ذكرها الإمام الطبري في تاريخه قبل أن ننسبها إليه وقبل أن نحتج بها في مجادلاتنا، فهل يعي الدكتور أحمد عوض ومن سـار على شـاكلته، ممن ينقل من تاريخ الإمام الطبري، هذا الواجب الأخلاقي والمنهجي؟

(٢٣٩) تاريخ الطبري، ج١/ ص ١٣.

والمتتبع للكتب والدراسات التي روج فيها أصحابها للأباطيل على أهل النهروان والإباضية يجدها تخلوا من التطبيق لأسس منهج كتابة التاريخ. ففي الوقت الذي يجد فيه القارئ اهتمام الكُتَّاب بالنقل للروايات من كتب التاريخ، فإنه ـ أي القارئ ـ لا يجد أدنى محاولة لإثبات تلك الروايات من قبل الكتاب.

والسبب في عدم تحقيق الكُتَّاب المتطاولين على أهل النهروان والإباضية للروايات التي ينقلونها أو يشيرون إليها هو خوفهم من افتضاح أمرهم أمام القراء العارفين؛ ولأنهم على علم أن النتائج ستكون دامغة لترهاتهم التي توارثوها وسعوا لنشر عدواها في أوساط المسلمين، ولأن النتائج ستكون قطعاً، وبلا أدنى شك، لصالح أهل النهروان والإباضية وهذا الذي سيفوت عليهم مقاصدهم المذمومة في تشويه سمعة أهل النهروان والإباضية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

وفي الصفحات الآتية من هذا البحث سنبين بالأدلة الدامغة بطلان الروايات التي اعتمد عليها الدكتور أحمد عوض والدكتور ناصر العقل وناصر السعوي والدكتور هانئ سليمان الطعيمات وغيرهم في نسبة الأباطيل إلى أهل النهروان، **وسيدرك القارئ السبب الذي لأجله أهمل** هؤلاء الكُتَّاب مناهج **الإسلام عند افتراءاتهم على الإباضية.**

❋ ❋ ❋



٦ حكاية ذي الخويصرة

فأدعوك أخي القارئ الكريم إلى قراءة الفصل السادس من كتابنا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**)، ففيه أقوال علماء الإسلام الذين لم ترتضهم أحوال الرجال الذين نقلوا لنا أخبار ذي الخويصرة.

فيا عجباً ممن جعل أحكامه على الناس مبنية على روايات ضعيفة، وفوق ذلك يأتي ليتشدق ويقول بلا استحياء: إن الإباضية خوارج!!!. فليعلم الدكتور أحمد عوض، والدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل وناصر بن عبد الله السعوي والدكتور هانئ سليمان الطعيمات أن التنطع في العلم لا يورث إلا خفة في العقل واضطراباً في السعي، وتيها في بيداء مظلمة لا معالم لها. فهل سنرى هؤلاء الكُتَّاب ومن شايعهم في مصاف العاملين بصدق وأمانة، أم سيبقون في تيار الضعفاء والكذابين؟

فأول مشهد في مسرحية الضعفاء التي مثلوها لتعبر عن أرائهم حول أهل النهروان هو مشهد شخص وصفوه بـ(ذي الخويصرة) ونسبوا إليه أقوالاً فيها سوء أدب أمام مقام النبوة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام. وجاؤوا بروايات[٢٤٠] نقلتها كتب الحديث، وقد كان لنا نقاش لتلك الروايات الحديثية

(٢٤٠) الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم، ص٢٩ ـ ٤٥. كان ينبغي لناصر السعوي مناقشة جميع الروايات التي سطرها في كتابه إن كان بحق يريد أن يقدم للأمة الإسلامية الطاهرة =

التي احتج بهـا الكُتَّاب على أهل النهـروان في كتابنـا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**)، فأدعو القراء إلى مراجعة الفصل السادس من الكتاب المذكور.

وقلتُ في بداية الفصل السادس ما نصه: «ليس هناك من متعلق لأحد في الروايات الصحيحـة التي لم تذكـر أهل النهـروان بالنص أو بالإشـارة. والروايات التي سـأذكرها هنا ـ الصحيح منها والضعيف ـ لـم تذكر أحداً ولكـن بعضها حددت الخصـال والأعمال التـي بها يكون الإنسـان مارقاً وخارجاً عن دين الله تعالى.

والذين يحملون هـذه الروايات على أهل النهـروان عليهم أن يأتوا لنا بالدليل الصحيح القاطع الذي يخصص هـذه الروايات ويجعل معناها في أهل النهروان.

وأنت يا أخي القارئ الكريم إذا أمعنت النظر في هذه الروايات ستجد أن الذين حملوا معناهـا في أهل النهروان لم يكن لهم مـن دليل على ذلك إلا روايات تاريخية باطلة أو روايات ضعيفة من كتب الحديث». انتهى

والروايات التي صرحت باسـم (ذي الخويصرة)، وسخرها الكُتَّاب في طعنهم لأهل النهروان هي:

= «دراسـة»، ونقداً بالمعنى الذي يفهمه المسـلمون. والحق يقال إن المسلك الذي سلكه ناصر السعوي ومن شاكله هو نفس المسلك الذي اتبعه المستشرقون من اليهود والنصارى عند كتاباتهم عن الإسلام، فالمستشـرقون يَدَّعون أنهم أتوا بدراسات على قواعد علمية ولكنهم بعدوا كل البعد عن الدراسات العلمية وأخذوا في الترويج للضعيف والباطل من الأقوال تماماً كما يفعل ناصر السعوي ومن شاكله، والعياذ بالله.

(أ)

قال الإمام البخاري: «حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا هشام، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد قال: بينا النبي ﷺ يقسم، **جاء عبد الله بن ذي الخويصرة** التميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: (ويلك، من يعدل إذا لم أعدل). قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، قال: دعه فإن له أصحابا، يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه، أو قال: ثديه، مثل ثدي المرأة، أو قال: مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس. قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن عليا قتلهم، وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ، قال: فنزلت فيه ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: ٥٨]».

هذه الرواية التي جاءت من طريق عنعنة الزهري أخرجها الإمام البخاري[٢٤١]، والنسائي[٢٤٢]، وابن أبي عاصم[٢٤٣]، وابن أبي شيبة[٢٤٤]، والإمام أحمد[٢٤٥].

قال ابن حجر في (تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس): «محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري... وصفه الشافعي

---

(٢٤١) صحيح البخاري، الرواية: ٦٩٣٣، ص ١٢٢٥ ـ ١٢٢٦، والرواية: ٦١٦٣، ص ١١٠٤.

(٢٤٢) السنن الكبرى للنسائي، الرواية: ٨٥٦١، ج ٥/ ص ١٥٩ ـ ١٦٠. وجاءت هذه الرواية أيضاً في (السنن الكبرى للنسائي، الرواية: ١١٢٢٠، ج ٦/ ص ٣٥٥).

(٢٤٣) السنة لابن أبي عاصم، الرواية: ٩٥٦، ج ٢/ ص ٦٤٠، والرواية: ٩٥٧، ج ٢/ ص ٦٤١.

(٢٤٤) مصنف ابن أبي شيبة، الرواية ٣٧٩٣٢، ج ٧/ ص ٥٦٢.

(٢٤٥) مسند الإمام أحمد، الرواية: ١١٥٥٨، ص ٨١٥ ـ ٨١٦.

والدارقطني وغير واحد بالتدليس»[٢٤٦]، وقد عد ابنُ حجر الزهريَ ضمن أفراد المرتبة الثالثة من المدلسين، الذين عَرَّفهم بقوله: «من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع ومنهم من رد حديثهم مطلقا ومنهم من قبلهم كأبي الزبير المكي»[٢٤٧].

وبهذا السبب فلا ترقى هذه الرواية لدرجة القبول عند من طبق مناهج الأمة في تقييم روايات المدلسين.

وهناك تطبيقات وجدناها عند المحققين لكتاب (المطالب العالية) فيها التصريح بعدم قبول عنعنة الزهري، حيث قال المحققون في تعليقهم على روايات أوردها ابن حجر في كتاب (المطالب العالية): «وإسناده ضعيف من أجل عنعنة الزهري»[٢٤٨].

وقولهم: «وفيه عنعنة الزهري، وهو معدود ضمن أصحاب المرتبة الثالثة من مراتب المدلسين الذين لا يقبل حديثهم إلَّا إذا صرحوا بالسماع»[٢٤٩].

وقولهم: «وفي إسناده الزهري وقد عنعن، فالإسناد ضعيف»[٢٥٠].

فإن قيل: إن رواية (ذي الخويصرة) جاءت أيضاً من طريق أخرى فيها تصريح الزهري بالسماع من شيخه أبي سلمة، قلنا: إن تلك الرواية جاءت وفي سندها أبو اليمان، ولعلماء الجرح مقال في روايته عن شيخه شعيب بن أبي حمزة.

---

(٢٤٦) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ت: ١٠٢، ص ٤٥.

(٢٤٧) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ص ١٣.

(٢٤٨) المطالب العالية، ج ١١/ هامش ص ٢٣٧.

(٢٤٩) المطالب العالية، ج ١١/ هامش ص ٢٤٩.

(٢٥٠) المطالب العالية، ج ١١/ هامش ص ٦٦٢. وانظر أيضاً (المطالب العالية، ج ١١/ هامش ص ٢٩٤، ج ١١/ هامش ص ٢٣٢، ج ١١/ هامش ص ٢٩٩، ج ١١/ هامش ص ٥٣٥، ج ١١/ هامش ص ٦٦٨، ج ١١/ هامش ص ٨٧٢، ج ١٦/ هامش ص ٢٢٩، ج ١١/ هامش ص ١٤١).

قال الإمام البخاري: «حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدري ﷺ قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما أتاه **ذو الخويصرة**...» ثم ذكر نحو الرواية السابقة.

أخرج هذه الرواية الإمام البخاري[٢٥١]، والبيهقي في سننه الكبرى[٢٥٢] من طريق أبي اليمان.

فأبو اليمان: هو الحكم بن نافع البهراني مولاهم.

«قال الأثرم: سئل أبو عبد الله عن أبي اليمان فقال: أما حديثه عن صفوان وحريز فصحيح، قال وهو يقول: أخبرنا شعيب، واستحل ذلك بشيء عجيب[٢٥٣]. قال أبو عبد الله: كان أمر شعيب في الحديث عسراً جداً، وكان علي بن عياش سمع منه، وذكر قِصَّة لأهل حمص أراها أنهم سألوه أن يأذَنَ لهم أن يرووا عنه، فقال لهم: لا. ثم كلموه، حضر ذلك أبو اليمان فقال لهم: اروا عني تلك الأحاديث. فقلت لأبي عبد الله: مناولة؟ قال لو كان مناولةً كان لم يعطهم كتباً ولا شيئاً، إنما سمع هذا فقط، فكان ابن شعيب يقول: إنَّ أبا اليمان جاءني فأخذ كُتُبَ شعيب مني بَعْدُ، وهو يقول: أخبرنا ... وقال المفضل بن غسان، عن يحيى بن معين: سألت أبا اليمان عن حديث شعيب ابن أبي حمزة فقال: ليس هو مناولة، المناولة لم أخرجها لأحد... وقال

(٢٥١) صحيح البخاري، الحديث: ٣٦١٠، ص٦٤١.

(٢٥٢) السنن الكبرى للبيهقي، الحديث: ١٦٧٠٢، ج٨/ ص٢٩٦.

(٢٥٣) أنت ترى أن أبا اليمان في هذه الرواية يقول «أخبرنا شعيب...».

قال أحمد محمد شاكر: «وقد جازف بعضهم فنقل بمثل هذه الوجادة بقوله (حدثنا فلان) أو (أخبرنا فلان)! وأنكر ذلك العلماء، ولم يجزه أحد يعتمد عليه، بل هو من الكذب الصريح، والراوي به يسقط عندنا عن درجة المقبولين، وترد روايته» (الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، هامش ص٩٧).

شـــعيب بن عمرو البردعي، عن أبي زرعة الرازي: لم يســـمع أبو اليمان من شعيب إلا حديثاً واحداً والباقي إجازة...

قلت [ابن حجر]: وقال الآجري، عن أبي داود: لم يســـمع أبو اليمان من شعيب إلا كلمة»[٢٥٤].

وكذلك جاءت رواية أخرى وفيها تصريح الزهري بالسماع من شيخه أبي سلمة، ولكن هذه الرواية كسابقتها لم يسلم سندها من التضعيف، فقد جاءت من طريق يونس بـــن يزيد بن أبي النجاد عن ابن شـــهاب وكذلك من طريق حرملة بن يحيى بن عبد الله وأحمد بن عبد الرحمن الفهري.

قال الإمام مســـلم: «حدثني أبو الطاهر، أخبرنا عبد الله بـــن وهب، أخبرني يونس، عـــن ابن شـــهاب، أخبرني أبو ســـلمة بن عبد الرحمن، عن أبي ســـعيد الخدري، ح وحدثنـــي حرملة بن يحيى، وأحمد بـــن عبد الرحمن الفهري، قالا: أخبرنا ابـــن وهـــب، أخبرني يونس، عـــن ابن شـــهاب، أخبرني أبو ســـلمة بن عبد الرحمن، والضحاك الهمداني، أن أبا ســـعيد الخدري، قـــال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما، **أتاه ذو الخويصرة**...» ثم ذكر نحو الرواية السابقة.

أخرج هذه الرواية الإمام مسلم[٢٥٥]، وابن حبان[٢٥٦]، والنسائي[٢٥٧].

فيونس: هو ابن يزيد بن أبي النجاد.

«قال الأثرم: قيل لأبي عبد الله فإبراهيم بن ســـعد فقال: وأي شـــيء روى إبراهيم عن الزهري إلا أنه في قلة روايته أقل خطأ من يونس. قال

(٢٥٤) تهذيب التهذيب ت: ١٥٣٩، ج ٢/ ص ٣٩٥ ـ ٣٩٧.
(٢٥٥) صحيح مسلم، الرواية: ١٤٨، ص ٤٤٩.
(٢٥٦) صحيح ابن حبان، ٦٧٤١، ج ١٥/ ص ١٤٠.
(٢٥٧) السنن الكبرى للنسائي، الرواية: ٨٥٦٠، ج ٥/ ص ١٥٩.

ورأيته يحمل على يونس... وقال لم يكن يعــرف الحديث وكان يكتب أرى أول الكلام فينقطع الكلام فيكون أوله عن سعيد وبعضه عن الزهري فيشتبه عليه...

وقال أبو زرعه الدمشــقي ســمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول في حديث يونس عن الزهري منكرات...

وقال الميموني سئل أحمد من أثبت في الزهري قال: معمر. قيل فيونس قال: روى أحاديث منكرة... وقال ابن ســعد: كان حلو الحديث كثيره وليس بحجة ربما جاء بالشيء المنكر...»[٢٥٨].

حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة التجيبي، أبو حفص.

«قال أبو حاتــم: لا يحتج به، وقال ابن عدي: ســألت عبد الله بن محمد الفرهاداني أن يملي عليّ شيئاً عن حرملة، فقال: هو ضعيف...»[٢٥٩].

أحمد بن عبد الرحمن الفهري... ابن أخي عبد الله بن وهب:

«أكثر عن عمه، وروى عن: الشافعي... وعنه: مسلم، وابن خزيمة...

وقال ابن أبي حاتم: عن أبي زرعة: أدركناه ولم نكتب عنه...

وقال ابن عدي: رأيت شــيوخ مصر مجمعين على ضعفه، ومن كتب عنه من الغرباء لا يمتنعون من الرواية عنه...

---

(٢٥٨) تهذيب التهذيب ت: ٨٢٤٤، ج١١/ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤.

(٢٥٩) ميزان الاعتدال ت: ١٧٨٣، ج١/ ص ٤٧٢ ـ ٤٧٣، ومما قاله الإمــام الذهبي: «... يكفيه أن ابن معين قد أثنى عليه، وهو أصغر من ابن معين. قال عياش، عن ابن معين، قال: شــيخ بمصر يقال له حرملة أعلم الناس بابن وهب». هذا، حتى ولو اعتبر هذا القول الذي ذكره الإمام الذهبي فتبقى الرواية لا يحتج بها لورودها من رواية يونس بن يزيد بن أبي النجاد عن الزهري.

وقال ابن عدي: ومَنْ ضعَّفه أنكر عليه أحاديث وكثرة روايته عن عمه... وقال أبو سعيد بن يونس: توفي في شهر ربيع الآخر سنة (٢٦٤)، ولا تقوم بحديثه حجة... وقال أحمد بن صالح: بلغني أن حرملة يحدث بكتاب الفتن عن ابن وهب، فقلت له في ذلك، وقلت: لم يسمعه من ابن وهب أحد، ولم يقرأه على أحد، قال: فرجع من عندي على أنه لا يفعل، ثم بلغني أنه حدّث به بعد. وقال: فقيل للبوشنجي إن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدّث به عن ابن وهب قال: فهذا كذَّاب إذاً»[٢٦٠]. وقد عده النسائي من الكذابين[٢٦١].

(ب)

وجاءت رواية أخرى في موضع آخر من صحيح مسلم، من طريق أبي الزبير محمد بن مسلم الأزدي.

قال الإمام مسلم: «حدثنا محمد بن رمح بن المهاجر أخبرنا الليث عن يحيى بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس فقال يا محمد اعدل...» ثم ذكر الرواية السابقة من غير ذكر لاسم الذي قال للرسول ﷺ ما سُجل هنا.

أخرج الإمام مسلم[٢٦٢] وابن ماجة[٢٦٣] هذه الرواية من طريق أبي الزبير «عن» جابر.

(٢٦٠) تهذيب التهذيب ت: ٧٥، ج١/ص٤٩ ـ ٥١.
(٢٦١) الضعفاء والمتروكين للنسائي ت: ٧١، المجموع في الضعفاء والمتروكين ص٦٢.
(٢٦٢) صحيح مسلم، الرواية: ١٤٢، ص٤٤٨.
(٢٦٣) سنن ابن ماجة، الحديث: ١٧٢، ص٤١.

أبو الزبير: هو محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي مولاهم.

«... وقال عبد الله بن أحمد: قال أبي: كان أيوب يقول: حدثنا أبو الزبير، وأبو الزبير أبو الزبير قلت لأبي يضعفه؟ قال نعم. وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن عيينة يقول حدثنا أبو الزبير وهو أبو الزبير أي كأنه يضعفه. وقال هشام بن عمار عن سويد بن عبد العزيز قال لي شعبة تأخذ عن أبي الزبير وهو لا يحسن أن يصلي؟ وقال نعيم بن حماد سمعت هشيماً يقول سمعت من أبي الزبير فأخذ شعبة كتابي فمزقه... وقال محمد بن جعفر المدائني عن ورقاء قلت لشعبة ما لك تركت حديث أبي الزبير قال رأيته يزن ويسترجح في الميزان وقال يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول أبو الزبير يحتاج إلى دعامة... وقال يعقوب بن شيبة ثقة صدوق وإلى الضعف ما هو وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن أبي الزبير فقال: يكتب حديثه ولا يحتج به وهو أحب إلي من سفيان...

قال شعبة لم يكن في الدنيا أحب إليّ من رجل يقدم فاسأله عن أبي الزبير، فقدمت مكة فسمعت منه فبينا أنا جالس عنده إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة فرد عليه فافترى عليه فقال له: يا أبا الزبير تفتري على رجل مسلم، قال: إنه أغضبني قلت: ومن يغضبك تفتري عليه؟ لا رويت عنك شيئاً...»[٢٦٤].

«وأما أبو محمد بن حزم فإنه يرد من حديثه ما يقول فيه: «عن» جابر ونحوه، لأنه عندهم ممن يدلس؛ فإذا قال: سمعت، وأخبرنا احتج به. ويحتج به ابن حزم إذا قال: «عن» مما رواه عنه الليث بن سعد خاصة...»[٢٦٥].

(٢٦٤) تهذيب التهذيب ت: ٦٥٨٠، ج ٩/ ص ٣٨٠ ـ ٣٨٢.

(٢٦٥) ميزان الاعتدال، ت: ٨١٦٩، ج ٤/ ص ٣٧.

وقال الذهبي: «وفي صحيح مسلم عدة أحاديث مما لم يوضح فيها أبو الزبير السماع عن جابر، وهي عن غير طريق الليث عنه، ففي القلب منها شيء»[٢٦٦].

وأنت ترى أيها القارئ أن أبا الزبير لم يصرح في هذه الرواية بالسماع من جابر بل عنعن فيها عنه وهذا يكفي لإسقاط الاحتجاج بها، كذلك كون هذه الرواية لم تحدد قوماً بذاتهم فمن القول بلا دليل حمل مدلولها على أهل النهروان.

(ج)

وجاءت هذه الرواية التي ذُكر فيها (ذو الخويصرة) بسند ضعيف عند الإمام الطبري[٢٦٧] من طريق محمد بن حميد الرازي. قال الإمام الذهبي: «محمد بن حميد الرازي... ضعيف... وقال البخاري: فيه نظر، وقال أبو زرعة: يكذب، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال صالح جزرة: ما رأيت أحذق بالكذب منه ومن ابن الشاذكوني»[٢٦٨].

(٢٦٦) ميزان الاعتدال، ت: ٨١٦٩، ج ٤/ ص ٣٩.

(٢٦٧) قال الإمام الطبري: «حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني أبو عبيدة بن محمد، عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلقا نعليه بيده، فقلنا له: هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التميمي يوم حنين؟، قال: نعم، أقبل رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة، فوقف على رسول الله ﷺ وهو يعطي الناس، فقال: يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم! فقال رسول الله: أجل، فكيف رأيت؟ قال: لم ارك عدلت! فغضب رسول الله ﷺ ...».
وقال الإمام الطبري أيضاً: «حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي مثل ذلك، وسماه ذا الخويصرة التميمي». (تاريخ الطبري، ج ٢/ ص ١٧٦).

(٢٦٨) المغني في الضعفاء، ت: ٥٤٤٩، ج ٢/ ص ٥٧٣.

فإن قيل: إن هذه الرواية التي جاءت في تاريخ الإمام الطبري هنا قد جاءت أيضاً عند ابن أبي عاصم في كتاب (السنة) من طريق محمد بن إسحاق بن يسار، قلنا: إن تلك الرواية لا حجة فيها لأحد لكون محمد بن إسحاق قد اضطرب في روايتها؛ فمرة يرويها بالعنعنة ومرة يرويها بصيغة التحديث.

١ ـ قال ابن أبي عاصم: «حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي، ثنا أبي، حدثنا **محمد بن إسحاق، عن** أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن مقسم أبي القاسم، عن عبد الله بن عمرو، وعن محمد بن علي بن حسين، وعن عبد الله بن أبي نجيح، أنه قال: تكلم يومئذ رجل لم يسمه إلا محمد بن علي، قال: هو ذو الخويصرة، رجل من بني تميم، فقال: يا محمد فقد رأيت ما صنعت في هذا اليوم. فقال رسول الله ﷺ: «أجل فكيف رأيت؟» فقال: لم أرك عدلت. فغضب رسول الله ﷺ فقال: «ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من؟» فقال المسلمون: يا رسول الله أفلا نقتله؟ فقال رسول الله ﷺ: «دعوه، فإنه سيكون له شيعة يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يجد شيئا، ثم ينظر في القدح فلا يوجد شيء، ثم ينظر في الفوق فلا يوجد شيء، سبق الفرث والدم»[٢٦٩].

٢ ـ قال ابن أبي عاصم: «حدثنا محمد بن منصور، ثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا أبي، عن **ابن إسحاق، حدثني** أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال:...»[٢٧٠]، ثم ذكر الرواية.

---

(٢٦٩) السنة لابن أبي عاصم، الرواية: ٩٦٢، ج ٢/ ص ٦٤٤.

(٢٧٠) السنة لابن أبي عاصم، الرواية: ٩٦٣، ج ٢/ ص ٦٤٥. وجاءت هذه الرواية بهذا السند أيضاً في مسند الإمام أحمد، «حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن مقسم أبي القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال:...» (مسند الإمام أحمد، الرواية: ٧٠٣٨، ص ٥٣٤).

وقد عد أحمد عمر بازمول في كتاب (المقترب في بيان المضطرب) محمدَ بن إسحاق بن يسار ضمن الموصوفين بالاضطراب بقيد[٢٧١].

وعده ابن حجر ضمن المرتبة الرابعة من المدلسين[٢٧٢] الذين وصفهم بقوله: «من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل»[٢٧٣].

فكما نرى من هاتين الطريقين، فإن محمد بن إسحاق بن دينار ينقلهما بالعنعنة عن شيخه كما في الطريق الأولى، وبالتحديث عن نفس الشيخ كما في الطريق الثانية. وبما أن الرواة الذين نقلوا كلتا الطريقين عن ابن إسحاق تقبل رواياتهم، فإنه يصعب الترجيح بين هاتين الطريقين، فهنا يحكم على سند هذه الرواية الذي يدور حول ابن إسحاق بالاضطراب[٢٧٤]، لكون ابن إسحاق المدلس، الذي لا تقبل عنعنته، قد اضطرب في أدائها؛ فتارة يرويها بالعنعنة، وتارة يرويها بالتحديث.

---

(٢٧١) المقترب في بيان المضطرب، ت: ٢٠٣/٣٨، ص ٤١٤.

(٢٧٢) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ت: ١٢٥، ص ٥١، قال ابن حجر: «محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني صاحب المغازي صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم، وصفه بذلك أحمد والدارقطني وغيرهما».

(٢٧٣) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ص ١٤.

(٢٧٤) قال ابن الصلاح: «المضطرب من الحديث هو الذي تختلف الرواية فيه فيرويه بعضهم على وجه وبعضهم على وجه آخر مخالف له وإنما نسميه مضطرباً إذا تساوت الروايتان. إذا ترجحت إحداهما بحيث لا تقاومها الأخرى بأن يكون راويها أحفظ أو أكثر صحبة للمروي عنه أو غير ذلك من وجوه الترجيحات المعتمدة فالحكم للراجحة ولا يطلق عليه حينئذ وصف المضطرب ولا له حكمه. ثم قد يقع الاضطراب في متن الحديث. وقد يقع في الإسناد وقد يقع ذلك من راو واحد. وقد يقع من رواة له جماعة. والاضطراب موجب ضعف الحديث لإشعاره بأنه لم يضبط والله أعلم» (التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، ص ١٢٤).

من كل ما سبق أعلاه، يتبين لنا أن كل الروايات التي جاء فيها ذكر (ذي الخويصرة) لا أساس لها من الصحة، ولا قيمة لها في ميزان الأمة، وهذا حكم نطق به منهج الإسلام الذي ينبغي للجميع الإذعان له. فهل سيستفيد الدكتور أحمد عوض من علم علماء الأمة أم أنه سيواصل الافتراء على أهل الحق والاستقامة؟

ولقد سبق لنا أن تحدثنا عن شخصية (ذي الثدية) في كتابنا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**)، فأدعو القارئ الكريم مراجعة القسم الأول من الفصل الخامس من الكتاب الذكور.

فحينما ندرس أي رواية فلا بد لنا أن نعرض متنها على الأسس والمبادئ التي نادى بها الإسلام، ومما تعارف عليه علماء الحديث هو أن صحة الإسناد ليس وحده المرجح للرواية والداعي لقبولها، بل لا بد من النظر في المتن، وعرض الرواية على ما ثبت من الأدلة.

قال العلامة ابن تيمية: «كم من حديث صحيح الاتصال ثم يقع في أثنائه الزيادة والنقصان، فرب زيادة لفظة تحيل المعنى ونقص أخرى كذلك، ومن مارس هذا الفن لم يكن يخفى عليه مواقع ذلك، ولتصحيح الحديث وتضعيفه أبواب تدخل وطرق تسلك ومسالك تطرق»[٢٧٥].

وقال الإمام ابن كثير: «والحكم بالصحة أو الحسن على الإسناد لا يلزم منه الحكم بذلك على المتن، إذ قد يكون شاذاً أو معللاً»[٢٧٦].

ومما رسخ في عقول المسلمين أن ميزان التقرب إلى الله تعالى هو الإيمان الصادق والعمل الصالح. وجاءت العقيدة الإسلامية لتعمق في قلوب

(٢٧٥) علم الحديث لابن تيمية، ص٣٩.

(٢٧٦) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ص٣٧.

النـــاس أن «كل خلق الله حســـن»[٢٧٧]، وأن الله تعالى لا ينظر إلى الأشـــكال والألوان ولكنه ينظر إلى الأعمال الصالحة والقلوب الطاهرة.

وجاء عند أبي داود الطيالســـي رواية صحيحة تعمق هـــذا الفكر في عقول المسلمين وتستأصل الشعور بالفوارق الجسدية التي تظهر على أفراد جنس البشر.

قال الطيالسي[٢٧٨]: «حدثنا شعبة[٢٧٩] عن أبي عمران[٢٨٠] سمع عبد الله بن الصامت[٢٨١] عن أبي ذر قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أسمع وأطيع ولو لعبد حبشي مخدج الأطراف».

فالرسول الكريم ﷺ حســـب رواية الطيالســـي لم يحذر أبا ذر رضي الله عنه من مخـــدج الأطراف بل أمره بالســـمع والطاعـــة له في حدود شـــرع الله، وهذه النصيحة النبوية كان لها الأثر العميق في حياة ذلك الجيل الطاهر الزكي الذي شـــرفه الله تعالى بأن جعله قدوة حسنة لأجيال المســـلمين المتعاقبة إلى يوم الدين. فوجود مخدج الأطراف من بين بعض الناس ليس فيه دليل على فساد

(٢٧٧) هذا جزء من حديث أخرجه الطبراني فـــي المعجم الكبير (الروايـــة: ٧٢٤٠ و٧٢٤١، ج ٧/ ص ٣١٥ ـ ٣١٦) والحميدي في المسند (الرواية: ٨١٠، ج ٢/ ص ٣٥٤).

(٢٧٨) مسند أبي داود الطيالسي، الرواية: ٤٥٣، ج ١/ ص ٣٦١.

(٢٧٩) «**شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم أبو بسطام الواسطي ثم البصري**، ثقة، حافظ متقن، كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال، وذب عن السنة، وكان عابداً، من الســـابعة». (تقريب التهذيب، ت: ٢٧٩٨، ج ١/ ص ٤١٨).

(٢٨٠) «**عبد الملك بن حبيـــب أبو عمران الجونـــي**... عن يحيى بن معين أنه قـــال: أبو عمران الجوني ثقة نا عبد الرحمن قال سألت أبى عن أبي عمران الجوني فقال: صالح». (كتاب الجرح والتعديل، ت: ١٦٣٦، ج ٥/ ص ٣٤٦).

(٢٨١) «**عبد الله بن الصامت الغفاري البصري** ثقة من الثالثة». (تقريب التهذيب، ت: ٣٤٠٢، ج ١/ ص ٥٠٢).

مسلكهم، لأن هذا مخالف تمام المخالفة لروح الإسلام ومعارض لما أرشدت إليه رواية الطيالسي الصحيحة السابقة.

كل ما سبق حول روايات (ذي الخويصرة) و(ذي الثدية) يُلخص في الآتي:

أولاً: كل الروايات التي حملتها جعبة الدكتور أحمد عوض وغيره لا تربطها بالإسلام أي رابطة؛ فهي باطلة سنداً ومتناً بشهادة علم الجرح والتعديل، كما تبين أعلاه.

ثانياً: التفاضل بين الناس في الإسلام مبني على التقوى والعمل الصالح، وليس على صور الأجساد وهيئة الخلقة، (فكل خلق الله حسن)، وما عرضته هذه الروايات من أقوال حول (ذي الثدية) لا يربطها بمبادئ الإسلام أي رابطة[٢٨٢].

والذي نريد أن نؤكده هنا هو أن الكُتَّاب، الذين تحاملوا على أهل النهروان، حينما عجزوا عن إثبات المخالفات الشرعية المنسوبة ظلماً وزوراً إلى ساحة أهل النهروان الكرام أخذوا بسبك أفكار لا صلة لها بالإسلام، وجعلوها دليلهم وحجتهم في النيل من أهل النهروان.

ونريد أن نؤكد أيضاً أنه من الواجب على كل مسلم أن يضع مبادئ الإسلام هي الدليل والحجة عند تقييم العاملين في هذه الدنيا، لا أن تُتخذ صور مخلوقات الله تعالى الدليل عند الحكم على البشر. فوجود شخص له أطراف غير مكتملة النمو في أوساط البشر، في الماضي والحاضر والمستقبل، ليس بمقياس عادل في الحكم على معتقدات الشعوب والأمم

(٢٨٢) فليس من محاور هذا البحث ذكر رحمة الإسلام بأصحاب العاهات الذين خلقهم الله تعالى حسب مشيئته ﷻ، فهذا مجال واسع، وقد أسهب كثير من الكُتَّاب في الحديث عنه.

وسلوكها، وليست صور مخلوقات الله تعالى مقياساً يحدد للبشرية قواعد اشتباكهم وأسباب شجارهم.

وبهذا يتبين لكل من طبق علوم الأمة الإسلامية التي سطرها علماء الإسلام في كتبهم أن روايات (ذي الخويصرة) وروايات (ذي الثدية)، الضعيفة سنداً ومتناً، لا قيمة لها في ساحات الفكر الإسلامي ووقائع التاريخ، وذلك لمخالفتها للمقاييس التي أتى بها شرع الله في تقييم الناس ومعرفة قربهم وبعدهم من تعاليم الإسلام.

وحينما غاب التطبيق العملي لعلم الجرح والتعديل، تسابق الكُتَّاب في نسبة (ذي الخويصرة) إلى أهل النهروان واستخرجوا من تلك الروايات الضعيفة أوصافاً باطلة ولمزوا بها الأبرياء، فها هو الدكتور أحمد معيطة ينقل لنا ما استخرجه الكُتَّاب من روايات (ذي الخويصرة) الضعيفة، حيث قال: «نسوق هذه الروايات لأن بعض الباحثين المحدثين اعتبر أن هذا الرجل الذي اعترض على النبي (قد مثل باعتراضه التشدد والتعصب اللذين كانا من أهم مميزات الخوارج أول ظهورهم، وهذا الخروج على الإمام اعتراضاً على سياسته يشابه في كثير خروج الخوارج على علي لسخطهم على سياسته) وعلى الرغم من هذا التشابه بين شخصية هذا الرجل وشخصية الخوارج فيما بعد، فإن سهير القلماوي لا تعتبره خارجياً وكل ما يمكن قوله إنه (كان متشبعاً بذلك الروح الذي دفع إلى تكوين الحزب الخارجي)»[٢٨٣].

ونحن المتبعون لمناهج الأمة نقول لهؤلاء الكُتَّاب الذين أشار إليهم الكاتب: أن ما بُني على باطل فهو باطل، وما شُيد على أسس ضعيفة ينهار فوق بانيه. والحمد لله رب العالمين.

(٢٨٣) الإسلام الخوارجي قراءة في الفكر والفن ونصوص مختارة، ص١٤.



٧ الدكتور هاني سليمان الطعيمات وخرافة ابن سبأ اليهودي

وفي نهاية كلامه الذي وجهه للإباضية قال الدكتور هاني سليمان الطعيمات ما نصه: «إن من الواجب على كل الكُتَّاب الإسلاميين وعلى اختلاف مذاهبهم التحرر من عقدة الشعور بالأفضلية، وإعطاء كل ذي حق حقه وفق موازين منطقية علمية بعيدة عن تكرار أقوال المتعصبين من القدامى الذين عاشوا أجواء مشحونة بصراعات مذهبية وخلافات فلسفية»[٢٨٤].

فالذي وجدناه في كتاب الدكتور هاني سليمان الطعيمات من أقوال وأحكام يناقض هذا القول الذي سطره هنا؛ فهو لم يتحرر من عقدة الشعور بالأفضلية، إذ عزز شعوره بأقوال باطلة متهافتة نطقت بها أفواه الكذابين والضعفاء من المؤرخين والرواة.

وقد استنتج الدكتور هاني سليمان الطعيمات استنتاجات باطلة من خلال قراءات سطحية في بعض الكتب الإباضية من غير ربط لها بالأسس الثابتة التي عليها الفكر الإباضي، والتي سجلها علماء الإباضية في واقع التاريخ قولاً وعملاً، لهذا فهو قد ابتعد كل البعد عن الموازين العلمية، وكرر «أقوال المتعصبين من القدامى» وجاء بنظريات فلسفية تمجها قواعد العلم عند المسلمين.

(٢٨٤) الإباضية مذهب لا دين، ص١٨٦.

ولقد برر الدكتور هاني سليمان الطعيمات استنتاجاته وأقواله عن الإباضية، بذكر تصوراته حول المنهج الذي اتبعه عند الكتابة، فمما قاله حول منهجه وتصوراته: «ودعوى نفي صلته بالخوارج، تحمل في طياتها التشكيك في هذه الكتب، والتشكيك فيها يعنى هدم علم الجرح والتعديل من أساسه»[٢٨٥].

فهذا الكاتب يحاول قلب الأمور رأساً على عقب؛ فهو بفلسفته يرى أن هدم علم الجرح والتعديل يتحقق بالشك في ما كُتب في كتب التاريخ، فلهذا يعلن للجميع وكأنه يقول لهم: إن الشك في ما كتب على أهل النهروان والإباضية «يعني هدم علم الجرح والتعديل من أساسه»!!!. وبهذا المنطق التخويفي ينطلق المغرضون وأصحاب الأهواء في مخاطبة الجماهير التي تنقاد بكل سهولة بمثل هذه العواطف الجوفاء الخالية من أدلة علمية وحجج عقلية.

فعلى الدكتور هاني سليمان الطعيمات أن يعلم أن علم الجرح والتعديل هو أحد تلك العلوم التي قضت على الدعوى الجائرة التي نسبت أهل النهروان والإباضية إلى الخوارج، فهو السلاح الذي أجهد علماء الإسلام أنفسهم في شحذه، واستلمه المخلصون من أبناء الإسلام للدفاع عن قيم الإسلام ومبادئه وإظهار الحق ولو كره الكذابون وأذنابهم.

فعلم الجرح والتعديل، هو القاضي على كل الشكوك، إذا استلمته أيد أمينة قوية تعرف كيف تضع المقصل على المفصل، لا أن تهدم أسسه بشكوك يثيرها المبطلون كما يدعي هذا الدكتور.

فعلى الدكتور هاني سليمان الطعيمات أن يدرك أن أقواله لا وزن لها مع حضور علم الجرح والتعديل، لأنهما ضدان، وما نادى به هنا لا يقره

(٢٨٥) الإباضية مذهب لا دين، ص١١٩.

منصف يُجِّلُ علوم الأمة ويقدر شـأنها وهيمنتها علـى مناهج الكتابة في ميادين المعرفة.

ومما قاله الدكتور هاني سـليمان الطعيمات للذين طبقـوا علوم الأمة، وخاصة علم الحديث، عند دراستهم لما نسب إلى أهل النهروان والإباضية: «هذا وإنني أشـفق على هؤلاء الباحثين وأمثالهم لإضاعتهم جهدهم العلمي في محاولة قلب الحقائق التاريخية بالتشـكيك في رواياتها تارة، وبتفسيرها بما يتفق وأهدافهم تارة أخرى، وفي محاولة إخفاء بعض الأمور التي تنقض ما يريدون إثباته»[٢٨٦].

هنا يظهر الدكتور شفقته على الإباضية لأنهم حسب فهمه الفاسد يقلبون الحقائق التاريخية، ويشـكون فـي رواة تلـك الروايات التي نسـبتهم إلى الخوارج، وأن أهداف الإباضية هي التي تقودهم إلى التفسير، وإخفاء الأمور التي تناقض ما يريدون إثباته...

نقول لهذا الدكتور: بل أشفق على نفسك؛ فقد جنيت عليها بالافتراء على المسلمين وبلمزهم بما هم منه براء.

ونقول لهذا الدكتور: لقد تجنيتَ على مناهج البحث عند المسلمين كافة، فنجدك تجعل أقوال الكذابين والضعفاء والمجهولين هي الأصل، وأن محاولة ردها بعلم الجرح والتعديل تعده تشكيكاً ويراد منها قلب الحقائق العلمية!!!.

وهذا القول الذي قاله الدكتور هاني سليمان الطعيمات لا يربطه بمناهج البحث عند المسـلمين أي رابط، فكان ينبغي له أن يحث المسـلمين على دراسة الروايات دراسة علمية، وأن يظهر لهم الاحترام والتقدير على جهودهم، لا أن يتهمهم بقلب الحقائق والتشكيك في الروايات.

(٢٨٦) الإباضية مذهب لا دين، ص١١٩.

ولقد ركز الدكتور هاني سليمان الطعيمات كثيراً على الأحداث التاريخية التي شهدتها الساحة الإسلامية في عهد الصحابة الكرام ﷺ من غير دراسة لتلك الروايات التي حدثته بما تفوه به.

ومما قاله الدكتور هاني سليمان الطعيمات: «أغفل الإباضية القدامى منهم والمحدثون على حد سواء، ذكر الرواية التاريخية **التي تثبت** دور ابن سبأ اليهودي في الفتنة التي حصلت، بتنقله في بلدان المسلمين وتأليبه الناس على عثمان (رضي الله عنه)، فقد جاء في تاريخ الطبري في أحداث سنة خمس وثلاثين... فيما كتب به إليّ السّري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء...»[٢٨٧].

لو فكر هذا الدكتور قليلاً في هذا السند الذي عرضه هنا لما تفوه بما تفوه به، ولما تجرأ على إثبات «دور ابن سبأ» بتلك الروايات الباطلة التي أوردها الإمام الطبري في تاريخه. فها هو الدكتور هاني سليمان الطعيمات يقول لنا أنه استقى معلوماته عن (ابن سبأ) من الرواية التي ذكرها «السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي»، ويا ليته علم منزلة سيف بن عمر وشعيب بن إبراهيم، ويزيد الفقعسي عند علماء الجرح والتعديل قبل أن يخط قلمه هذا الكلام الذي لا وزن له في علوم الأمة.

فسيف بن عمر التميمي السدي «يروي عن هشام بن عروة... وخلق كثير من المجهولين... قال عباس، عن يحيى: ضعيف. قال أبو داود: ليس بشي. قال أبو حاتم: متروك. قال ابن حبان: اتهم بالزندقة. قال ابن عدي: عامة حديثه منكر»[٢٨٨]. وهو «يروي الموضوعات عن الأثبات... وكان سيف

(٢٨٧) الإباضية مذهب لا دين، ص ٣٨.

(٢٨٨) ميزان الاعتدال ت: ٣٦٣٧ ج ٢/ ص ٢٥٥.

يضع الحديث...»[٢٨٩]. وقال ابن أبـــي حاتم الرازي «...حدثنا عبد الرحمن قال سئل أبي عن سيف بن عمر الضبي فقال: متروك الحديث، يشبه حديثه حديث الواقدي»[٢٩٠].

وقال ابـــن حجر: «قال ابـــن معين: ضعيـــف الحديث... وقال النســـائي والدارقطني: ضعيف... وقال البرقاني، عن الدارقطني: متروك. وقال الحاكم: اتهم بالزندقة، وهو في الرواية ساقط»[٢٩١].

من أقوال علماء الجـــرح والتعديل يتبين لنا أن ســـيف بن عمر يعد من الكذابين والوضاعين للحديث على رســـول الله ﷺ. وكفى بهذا سبباً لرفض كل مروياته التي تناقلتهـا كتـب الحديث والتاريخ. فمـن لـم يخف مـن نـار جهنـــم التـي جعـــل اللـه ﷻ فيهـــا مقاعد لـــكل من كذب على رســـوله الكريم ﷺ فلن يمتنع عن الافتراء والكذب على من دون النبي عليه السلام من البشر.

فهل يفهم الدكتور هاني سليمان الطعيمات هذا الكلام الذي قاله جهابذة علماء الجرح والتعديل؟، أم أنه سيبقى ســـادراً في غيه، وشامخاً بغلوائه في عالم الكبر؟

وأما الراوي الذي نقل عن سيف بن عمر فهو شعيب بن إبراهيم الكوفي الذي لا قيمة لما يرويه، فقد قال علماء الجرح والتعديل ما نصه: «راويةُ كُتُبِ ســـيف عنه، فيه جهالة، ذكره ابن عدي وقال: ليس بالمعروف، وله أحاديث وأخبار، وفيه بعض النكرة، وفيها ما فيه تحامل على السلف»[٢٩٢].

---

(٢٨٩) كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ج١/ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

(٢٩٠) كتاب الجرح والتعديل ت: ١١٩٨ ج ٤/ ص ٢٧٨.

(٢٩١) تهذيب التهذيب ت: ٢٨١٩، ج ٤/ ص ٢٦٨.

(٢٩٢) لسان الميزان، ت: ٤١٠٠/٤٦، ج ٣/ ص ١٧٦.

وأما يزيد الفقعسي فلم أجد له ترجمة في كتب الرجال التي بين يدي، فهو مجهول، وقد ذكر جهالته أيضاً ناصر بن علي عائض، حيث قال: «لم أعثر له على ترجمة»[٢٩٣]، وذكر جهالته أيضاً أكرم بن محمد زيادة الفالوجي، حيث قال: «لم أعرفه، ولم أجد له ترجمة»[٢٩٤].

فنقول للدكتور هاني سليمان الطعيمات: إن علم الجرح والتعديل هو الذي أبطل الروايات[٢٩٥] التي استندتَ عليها في إثبات شخصية (ابن سبأ) ودوره المزعوم في أحداث يوم الدار وما تلاها من أحداث إلى نهاية يوم الجمل. فكفاك تجاهلاً يا دكتور لهذا الواقع الذي يصدقه العلم الشريف، وكفاك صلفاً وتبجحاً وظلماً وعدواناً حينما اتهمت الإباضية الكرام بقلب الحقائق التي أخذوها بقوة وصدق من كتب علماء الإسلام قاطبة.

ولقد كانت لنا دراسة لتلك الروايات التي أشار إليها الدكتور هاني سليمان الطعيمات في كتابه، وأخرجنا تلك الدراسة في كتاب لنا أسميناه (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**)، وعندما عرضنا كل الروايات التي نسبت الفتنة أيام الإمام عثمان إلى (ابن سبأ) وجدنا تلك الروايات باطلة لا تقرها مناهج الإسلام البتة، ومن التعدي على علوم الأمة نسبة الأباطيل إلى تاريخها، فليراجع الجميع ذلك الكتاب، وأرجو من كل قارئ أن يجعل غيرته على مناهج الأمة فوق الزعازع النفسية.

---

(٢٩٣) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي، ج ٣/ ص ١٠٧٧، هامش ٤.

(٢٩٤) المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، ت: ٥١٥٩، ج ٢/ ص ٦٥٨.

(٢٩٥) لقد ذكرنا في كتابنا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**) أقوال علماء الجرح والتعديل في رجال الروايات التي روجت لخرافة ابن سبأ اليهودي، انظر الفصل الثالث، ص ٩٠ وما بعدها من الكتاب المذكور.

وبعد عَرْضِنا للروايات، التي نسبت الفتنة إلى الصحابة أنفسهم، على علم الجرح والتعديل وجدنا تلك الروايات أرقى سنداً من الروايات التي ذُكر فيها (ابن سبأ). فلهذا نادينا، وبأعلى صوت، وما زلنا نكرر نفس النداء، أن علينا جميعاً طي صفحات تلك الفتنة لأنه لا فائدة لنا من ذكرها، فعلى القارئ أن يراجع كتابنا المذكور وخاصة الفصل الثالث منه.

وأستسمح القارئ هنا في نقل عبارات مما قلتُه في كتابي (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**): «بعد عرضنا لتلك الروايات الفاسدة التي اعتمد عليها كثير من الكُتَّاب في التشنيع على بعض الصحابة، رضوان الله عليهم، أضع بين يديك أخي القارئ هذه الروايات بأسانيدها وستعجب من انجراف كثير من الكُتَّاب خلف روايات سيف بن عمر الوضاع والواقدي الكذاب وتركهم لروايات أخرى أرقى منها سنداً. فقد نقل الطبري وغيره روايات ـ من غير طريق سيف بن عمر والواقدي ـ تذكر جانباً من جوانب الفتنة التي حدثت في السنوات الأخيرة من خلافة الإمام عثمان وما تلتها من أحداث.

فقصدي من ذكر هذه الروايات هو إثبات أن تلك الفتنة كانت بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، وأنه من الأسلم لنا عدم ذكر أي منهم بسوء. وكذلك إقامة الحجة على الذين يحتجون بروايات الكذابين والوضاعين. فأقول لهم: إن كان ولا بد لكم من الخوض في ذكر تلك الفتن فعليكم ترك الأخبار الموضوعة والمكذوبة والأخذ بما هو أفضل حالاً»[٢٩٦].

ثم ذكرت في ذلك الكتاب خمسة عشرة رواية من مصادر مختلفة، ولم يذكر فيها ابن سبأ اليهودي الذي روجت له روايات الكذابين والوضاعين. ومن الروايات التي ذكرتها:

(٢٩٦) الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات، ص١٠٦ ـ ١٠٧.

• أورد الإمام الطبري في تاريخه ما نصه: «يعقوب بن إبراهيم[٢٩٧]، قال: حدثنا معتمر بن سليمان التيمي[٢٩٨]، قال: حدثنا أبي[٢٩٩]، قال حدثنا أبو نضرة[٣٠٠]، عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري[٣٠١]. قال: سمع عثمان أن وفد أهل مصر قد أقبلوا، قال: فاستقبلهم، وكان في قرية له خارجة من المدينة... فقالوا له افتح التاسعة ـ وكانوا يسمون سورة يونس التاسعة ـ قال: فقرأها حتى أتى على هذه الآية ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس: ٥٩][٣٠٢]. قال: قالوا له: قف، فقالوا له أرأيت ما حميتَ من الحمى؟ آلله أذن لك أم على الله تفتري! قال: فقال: امضه؛ نزلت في كذا وكذا. قال: وأما الحِمَى فإن عمر حَمَى الحمى قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى لما زاد في

---

(٢٩٧) **يعقوب بن إبراهيم بن كثير... أبو يوسف الدورقيٌّ الحافظ البغدادي** «قال أبو حاتم صدوق. وقال النسائي ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال الخطيب كان ثقة متقناً، صنف المسند... قلت [ابن حجر]: قال مسلمة: كان كثير الحديث ثقة» (تهذيب التهذيب، ت: ٨١٣٣، ج ١١/ ص ٣٣٢).

(٢٩٨) **معتمر بن سليمان التيمي أبو محمد البصري** يلقب بالطفيل، ثقة، من كبار التاسعة، مات سنة مائة وسبع وثمانين وقد جاوز الثمانين (تقريب التهذيب، ت: ٦٨٠٩، ج ٢/ ص ١٩٩).

(٢٩٩) **سليمان بن طرخان التيمي أبو المعتمر البصري** نزل في التيم فنسب إليهم ثقة عابد من الرابعة مات سنة مائة وثلاث وأربعين وهو ابن سبع وتسعين (تقريب التهذيب، ت: ٢٥٨٣، ج ١/ ص ٣٨٧).

(٣٠٠) **المنذر بن مالك بن قطعة العبدي العوقي البصري أبو نضرة** مشهور بكنيته ثقة من الثالثة مات سنة ثمان أو تسع ومائة (تقريب التهذيب، ت: ٦٩١٥، ج ٢/ ص ٢١٣).

(٣٠١) **أبو سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري** «... ذكره ابن منده في الصحابة ولم يذكر ما يدل على صحبته، لكن ثبت أنه أدرك أبا بكر الصديق رضي الله عنه فيكون من أهل هذا القسم، قال ابن منده روى عنه أبو نضرة العبدي قصة مقتل عثمان **بطولها وهو كما قال وقد رويناها من هذا الوجه** وليس فيها ما يدل على صحبته». (الإصابة في تمييز الصحابة، ت: ٥٨٨، م ٤ ج ٧/ ص ٩٥) وكذلك انظر (أسد الغابة، ت: ٥٩٥١، ج ٦/ ص ١٤١).

(٣٠٢) سورة يونس: ٥٩.

إبل الصدقة، امضه. قال: فجعلوا يأخذونه بالآية، فيقول امضه، نزلت في كذا وكذا... ثم أخذوه بأشياء لم يكن عنده منها مخرج. قال: فعرفها، فقال أستغفر الله وأتوب إليه. قال: فقال لهم: ما تريدون؟ قال: فأخذوا ميثاقه... وأخذ عليهم ألا يشقوا عصاً، ولا يفارقوا جماعة ما قام لهم بشرطهم... فقال لهم: ما تريدون؟ قالوا نريد ألا يأخذ أهل المدينة عطاء، فإنما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله ﷺ. قال: فرضوا بذلك، وأقبلوا معه إلى المدينة راضين. قال: فقام فخطب فقال: إني ما رأيت والله وفداً في الأرض هم **خير لحوباتي**[٣٠٣] **من هذا الوفد الذين قدموا عليَّ...**»[٣٠٤].

• أورد ابن شبة في تاريخ المدينة[٣٠٥]: «حدثنا محمد بن سنان[٣٠٦] قال، حدثنا أبو عوانة[٣٠٧] قال، قال حصين[٣٠٨]: قلت لعمرو بن جاوان[٣٠٩]: لِم اعتزل الأحنف؟ قال، قال الأحنف: انطلقنا حجاجاً فمررنا بالمدينة، فبينما نحن بمنزلنا إذ جاءنا آت فقال: إن الناس قد فزعوا إلى المسجد. فانطلقت أنا وصاحبي، فإذا

(٣٠٣) لم يصف الإمام عثمان أولئك الناس الذين قدموا عليه من مصر بما وصفهم به الكذابون وأذنابهم.

(٣٠٤) تاريخ الطبري ج ٢/ ص ٦٥٥.

(٣٠٥) تاريخ المدينة المنورة، ج ٣/ ص ١١١٢ ـ ١١١٣.

(٣٠٦) **محمد بن سنان الباهلي أبو بكر البصري العوقي** ثقة ثبت من كبار العاشرة مات سنة مائتين وثلاث وعشرين (تقريب التهذيب، ت: ٥٩٥٤ ج ٢/ ص ٨٣).

(٣٠٧) **الوضاح بن عبد الله اليشكري مولى يزيد بن عطاء أبو عوانة الواسطي البزاز...** مشهور بكنيته ثقة ثبت من السابعة مات سنة مائة وخمس أو ست وسبعين (تقريب التهذيب، ت: ٧٤٣٤، ج ٢/ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

(٣٠٨) **حصين بن عبد الرحمن السلمي أبو الهذيل الكوفي** ثقة تغير حفظه في الآخر من الخامسة مات سنة مائة وست وثلاثين وله ثلاث وتسعون (تقريب التهذيب، ت: ١٣٧٥، ج ١/ ص ٢٢٢).

(٣٠٩) **عمرو بن جاوان التميمي البصري ويقال عمر** مقبول من السادسة (تقريب التهذيب، ت: ٥٠١٤، ج ١/ ص ٧٣٠).

الناس مجتمعون على نفر وسط المسجد، فتخللتهم حتى قمت عليهم فإذا علي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص قعود، فلم يك ذاك بأسرع أن جاء عثمان ﷺ يمشي في المسجد عليه مُلَاءَةٌ له صفراء قد رفعها على رأسه، قال: فقلت لصاحبي: كما أنت حتى ننظر ما جاء به. فلما دنا منهم قالوا: هذا ابن عفان. قال: أهاهنا علي؟ قالوا: نعم. قال: أهاهنا الزبير؟ قالوا: نعم. قال: أهاهنا طلحة؟ قالوا: نعم. قال: أهاهنا سعد؟ قالوا نعم. قال: أُنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال من يبتاع مربد بني فلان غفر الله له. قال فابتعته بعشرين ـ أو بخمسة وعشرين ـ ألفاً، فأتيت النبي ﷺ فقلت له: إني قد ابتعت مربد بني فلان. قال: اجعله في المسجد وأجره لك؟ قالوا: نعم، **ولكنك بدلت**. قال: أُنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من يبتاع بئر رومة غفر الله له فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني قد ابتعت بئر رومة. فقال: اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك؟ قالوا: نعم، **ولكنك بدلت**. قال: أُنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال: من يجهز هؤلاء غفر الله له. فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً؟ قالوا: نعم، **ولكنك بدلت**. قال: اللهم اشهد ـ ثلاث مرات، ثلاث مرات ـ ثم انصرف».

• وأورد البلاذري: «حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي[٣١٠]، حدثنا أبو النضر[٣١١]، حدثنا إسحاق بن سعيد[٣١٢]، عن عمرو بن

(٣١٠) **أحمد بن إبراهيم بن كثير بن زيد الدورقي النكري** ثقة حافظ، من العاشرة (تقريب التهذيب، ت: ٣، ج١/ ص٢٩).

(٣١١) **هاشم بن القاسم بن مسلم، الليثي مولاهم، البغدادي، أبو النضر**، «مشهور بكنيته، ولقبه قيصر، ثقة ثبت، من التاسعة» (تقريب التهذيب، ت: ٧٢٨٢، ج٢/ ص٢٦١).

(٣١٢) **إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص الأموي، السعيدي الكوفي**، ثقة من السابعة (تقريب التهذيب، ت: ٣٥٦، ج١/ ص٨١) و(تهذيب التهذيب، ت: ٣٨٩، ج١/ ص٢١١ ـ ٢١٢).

سعيد[٣١٣] حدثني سعيد بن عمرو[٣١٤]: عن ابن حاطب[٣١٥] قال: أقبلت مع علي يوم الجمل إلى الهودج وكأنه شوك قنفذ من النبل، فضرب الهودج، ثم قال: إن حميراء إرم هذه أرادت أن تقتلني **كما قتلت عثمان بن عفان**. فقال لها أخوها محمد: هل أصابك شيء؟ فقالت: مشقص في عضدي. فأدخل رأسه ثم جرها إليه فأخرجه»[٣١٦].

• ونقل البلاذري: «عبد الله بن محمد بن أبي شيبة أبو بكر[٣١٧]، ثنا وكيع[٣١٨] عن إسماعيل بن أبي خالد[٣١٩]عن قيس بن أبي حازم[٣٢٠] قال: قال مروان بن الحكم يوم الجمل: لا أطلب أحداً بثأري في عثمان بعد اليوم، فرمى طلحة بسهم فأصاب ركبته فكان الدم يسيل، فإذا أمسكوا

(٣١٣) **عمرو بن سعيد القرشي، أو الثقفي مولاهم، أبو سعيد البصري**، ثقة من الخامسة (تقريب التهذيب، ت: ٥٠٥١، ج١/ ص٧٣٥).

(٣١٤) **سعيد بن عمرو بن سعيد بن أبي العاص الأموي، المدني، ثم الدمشقي، ثم الكوفي**، ثقة، من صغار الثالثة (تقريب التهذيب، ت: ٢٣٧٧، ج١/ ص٣٦١).

(٣١٥) **محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر الجمحي، الكوفي**، مختلف في كنيته، صحابي صغير، مات سنة أربع وسبعين (تقريب التهذيب، ت: ٥٨١٨، ج٢/ ص٦٥).

(٣١٦) أنساب الأشراف، ج٣/ ص٤٦.

(٣١٧) **عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الواسطي الأصل أبو بكر بن أبي شيبة الكوفي** ثقة حافظ صاحب تصانيف من العاشرة (تقريب التهذيب، ت: ٣٥٨٦، ج١/ ص٥٢٨).

(٣١٨) **وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي أبو سفيان الكوفي** ثقة حافظ عابد من كبار التاسعة» (تقريب التهذيب، ت: ٧٤٤١، ج٢/ ص٢٨٣ ـ ٢٨٤).

(٣١٩) **إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي مولاهم البجلي** ثقة ثبت من الرابعة (تقريب التهذيب، ت: ٤٣٩ ج١/ ص٩٣).

(٣٢٠) **قيس بن أبي حازم البجلي أبو عبد الله الكوفي** ثقة من الثانية مخضرم ويقال له رؤية وهو الذي يقال إنه اجتمع له أن يروي عن العشرة مات بعد التسعين أو قبلها وقد جاوز المائة وتغير (تقريب التهذيب، ت: ٥٥٨٣، ج٢/ ص٣٢).

ركبته انتفخت، فقال: دعوه فإنما هو سهم أرسله الله، اللهم خذ لعثمان مني حتى يرضى»[٣٢١].

• أورد خليفة خياط في تاريخه: «وحدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة عن الجارود بن أبي سبرة قال: نظر مروان بن الحكم إلى طلحة بن عبيد الله يوم الجمل فقال: لا أطلب بثأري بعد اليوم، فرماه بسهم فقتله»[٣٢٢].

• أورد خليفة خياط في تاريخه: «قال وحدثني جويرية بن أسماء عن يحيى بن سعيد عن عمه قال: رمى مروان طلحةَ بن عبيد الله بسهم، ثم التفت إلى أبان بن عثمان فقال: **قد كفيناك بعض قتلة أبيك**»[٣٢٣].

• أورد الإمام الطبري في تاريخه: «أحمد بن زهير[٣٢٤]، قال: حدثنا أبي أبو خيثمة[٣٢٥]، قال: حدثنا وهب بن جرير بن حازم[٣٢٦]، قال: سمعت أبي[٣٢٧]

(٣٢١) أنساب الأشراف، ج ١٠/ ص ١٢٦.

(٣٢٢) تاريخ خليفة خياط، ص ١٣٥.

(٣٢٣) تاريخ خليفة خياط، ص ١٣٩.

(٣٢٤) أحمد بن زهير بن حرب بن شداد النسائي الأصل البغدادي أبو بكر بن أبي خيثمة الحافظ الكبير ابن الحافظ... سمع أباه وأبا نعيم... قال الخطيب: كان ثقة عالما متقنا حافظا بصيرا بأيام الناس...» (لسان الميزان، ت: ٥٧٧، ج ١/ ص ١٨٤).

(٣٢٥) «زُهَيْر بن حَرْب بن شَدَّاد الحرشي، أبو خَيْثَمة النَّسائي... عن يحيى بن معين: ثقةٌ... وقال أبو حاتم: صدوق... وقال النَّسائي: ثقةٌ مأمونٌ. (تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت: ١٩٩٥، ج ٣/ ص ٣٤ ـ ٣٥).

(٣٢٦) **وهب بن جرير بن حازم ابن زيد أبو عبد الله الأزدي البصري** «ثقة من التاسعة» (تقريب التهذيب، ت: ٧٤٩٩، ج ٢/ ص ٢٩١).

(٣٢٧) **جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله الأزدي أبو النضر البصري** «ثقة لكن في حديثه عن قتادة ضعف وله أوهام إذا حدث من حفظه... اختلط لكن لم يحدث في حال اختلاطه» (تقريب التهذيب، ت: ٩١٣، ج ١/ ص ١٥٨).

قال: سمعت يونس بن يزيد الأيلي[٣٢٨]، عن الزهري... فلما تواقفوا خرج عليّ على فرسه، فدعا الزبير، فتواقفا، فقال علي للزبير: ما جاء بك؟ قال: أنت، ولا أراك لهذا الأمر أهلا، ولا أولى به منّا؛ فقال علي: لستَ له أهلا بعد عثمان!... وعظّم عليه أشياء، فذكر أن النبي ﷺ مرّ عليهما فقال لعلي: (ما يقول ابن عمتك؟ ليقاتِلنك وهو لك ظالم). فانصرف عنه الزبير، وقال: فإني لا أقاتلك. فرجع إلى ابنه عبد الله فقال: مالي في هذه الحرب بصيرة، فقال له ابنه: إنك قد خرجت على بصيرة، ولكنك رأيتَ رايات ابن أبي طالب، وعرفت أن تحتها الموت، فجبُنت. فأحفَظَه حتى أُرعد وغضب، وقال ويحك! إني قد حلفت له ألا أقاتله، فقال له ابنه: كفِّر عن يمينك بعتق غلامك سرجس، فأعتقه، وقام في الصف معهم، **وكان علي قال للزبير أتطلب مني دمَ عثمان وأنت قتلتَه**... فقال علي لأصحابه: أيكم يعرض عليهم هذا المصحف وما فيه، فإذا قطعت يده أخذه بيده الأخرى، وإن قطعت أخذه بأسنانه؟ قال فتىً شابٌ: أنا... فقال عليٌّ: اعرض عليهم هذا، وقل: هو بيننا وبينكم من أوله إلى آخره، والله في دمائنا ودمائكم. فحمل على الفتى وفي يده المصحف، فقطعت يداه، فأخذه بأسنانه حتى قتل، فقال علي: قد طاب لكم الضراب فقاتلوهم...»[٣٢٩].

هذه الرواية ـ وإن كانت من مراسيل الزهري[٣٣٠] ـ فهي أفضل حالًا من مجموع الروايات التي يتراقص حولها الدكتور هاني سليمان الطعيمات

---

(٣٢٨) **يونس بن يزيد ابن أبي النجاد الأيلي**، قال فيه علماء الجرح أقوالًا متضاربة وقد اختصرها الحافظ ابن حجر بقوله: «ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهما قليلا وفي غير الزهري خطأ» (تقريب التهذيب، ت: ٧٩٤٨، ج ٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥١).

(٣٢٩) تاريخ الطبري، ج ٣/ ص ٤٠ ـ ٤١.

(٣٣٠) «... قال صاحب التنقيح: مراسيل الزهري ضعيفة، كان يحيى القطان لا يرى إرسال الزهري وقتادة شيئا ويقال هي بمنزلة الريح...» (نصب الراية تخريج أحاديث الهداية، ج ٣/ ص ٦٣٩).

وغيره من أذناب الكذابين الذين عششت في أدمغتهم خرافة «ابن سبأ». وعلى الذين يرضون بذكر تلك الفتن أن يأخذوا بالأفضل حالاً من الروايات، وإلا فمن الأفضل لنا جميعاً عدم الخوض في ذكر تلك الأحداث التي سلم الله منها أسنتنا.

• وأورد الإمام الطبري: «حدثني جعفر بن عبد الله المحمدي، قال: حدثنا عمرو، عن محمد بن إسحاق ابن يسار المدني عن عمه عبد الرحمن ابن يسار، أنه قال: لّما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبي ﷺ إلى مَن بالآفاق منهم ـ وكانوا قد تفرقوا في الثغور: إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله ﷻ، تطلبون دين محمد ﷺ؛ فإن دين محمد قد أفسد من خلفكم وتُرِك، فهلموا فأقيموا دين محمد ﷺ فأقبلوا من كل أفق حتى قتلوه. وكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامله على مصر ـ حين تراجع الناس عنه، وزعم أنه تائب ـ بكتاب في الذين شخصوا من مصر، وكانوا أشد أهل الأمصار عليه: أما بعد فانظر فلاناً وفلاناً فاضرب أعناقهم إذا قدموا عليك، فانظر فلاناً وفلاناً فعاقبهم بكذا وكذا ـ منهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، ومنهم قوم من التابعين ـ فكان رسوله في ذلك أبو الأعور بن سفيان السُّلمي، حمله عثمان على جمل له... فسألوه أين يريد؟... فوجدوا معه كتاباً في إداوة يابسة... فلما رأوا ذلك رجعوا إلى المدينة، فبلغ الناس رجوعُهم، والذي كان من أمرهم فتراجعوا من الآفاق كلها، وثار أهل المدينة»[٣٣١].

(٣٣١) تاريخ الطبري، ج ٢/ ص ٦٦٢، وجاءت رواية أخرى عند الطبري من طريق جعفر بن عبد الله المحمدي المجهول ومتنها قريب من متن هذه الرواية (تاريخ الطبري، ج ٢/ ص ٦٦٣).

فكما أن الدكتور هاني سليمان الطعيمات «أثبت» شخصية ابن سبأ برواية «يزيد الفقعسي» المجهول، وبروايات غيره من الضعفاء والمتروكين، فلا أخاله يرفض هذه الرواية التي جاء بها «جعفر بن عبد الله المحمدي» المجهول[٣٣٢].

ومما قلتُه في كتاب (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**): «نحن لسنا هنا في محضر تحقيق لأجل إثبات مَن قتل مَن، وكل غايتي من ذكر هذه الروايات هو إبطال خرافة «ابن سبأ» ولفت أنظار الكُتَّاب الذين تستهويهم أقوال الكذابين إلى ما هو أحسن حالاً.

لهذا أقول لجميع أفراد هذه الأمة أنه لن تكون لنا يقظة إلا إذا أخذنا بما اتفق عليه ذلك الجيل الطاهر من الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ من إخلاص في العقيدة وصدق في القول والعمل، ولن تكون لنا وحدة إلا إذا تركنا ما شجر بينهم وربينا أبناءنا على ما رباهم عليه الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ»[٣٣٣].

ومن تلفيقات الدكتور هاني سليمان الطعيمات حول كتابة التاريخ هو قوله: «... ولكن نحن المعاصرين، ولم نكن في قلب الأحداث، إنما نحكم عليها من خلال رواياتها التاريخية، وأنتم معشر أنصار القوم والمدافعين عنهم لم تذكروا في مصادركم التاريخية هذه الحوادث لا بنفي أو إثبات، وقد جاء في مصادرنا ما يثبتها، ولم يأت ما ينفيها. **فيغلب على الظن صدقها**. ثم

(٣٣٢) لم أجد له ترجمة في كتب الرجال التي بين يدي، وقد صرح بجهالته أيضاً محمد بن طاهر البرزنجي حيث قال في تعليقه على إحدى روايات تاريخ الطبري: «في إسناده جعفر بن عبد الله المحمدي مجهول الحال إن لم يكن مجهول العين» (صحيح وضعيف تاريخ الطبري، ج ٨/ ص ٥٤٠).

(٣٣٣) الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات، ص ١١٨.

ما بالكم تثقــون بمصادرنــا التاريخية فيمــا يوافق ما عندكم مــن روايات، وتشككون فيها فيما عدا ذلك؟»[٣٣٤].

فالروايات التاريخية، عند الدكتور هاني سليمان الطعيمات، أهلٌ للحكم على الناس، وأنه يغلب عليها الصدق لمجرد ذكرها في المصادر!!!

ألا يعلم هذا الدكتور أن الروايــات المبثوثة في مصادرها لا قيمة لها في موازين الأمة إلا إذا أثبتها المنهج العادل؟

ألا يعلم هذا الدكتور أنه ليس في أصول المنهج العادل، الذي يُرجع إليه في دراســة الروايات، صبغة طائفية ضيقة؟؛ فهو لكل المســلمين، وصاحب الحجة هو من استفاد من المنهج لا من ادعاه.

قال الدكتور محمد بن موسى الشريف وهو يبين جانباً من جوانب المنهج المتبع في دراسة أحداث التاريخ: «لا غنى لمريد التخصص في علم التاريخ من معرفة طرائق الجرح والتعديل عنــد المحدثين، ـ بدون تفصيل إنما ذلك للمختصين ـ وفهم أقســام الأحاديــث والآثار من حيــث الصحة والضعف والوضع، وفهم قواعد التخريج والتحقيق، لأن ذلك كله يحتاجه المؤرخ الذي ينقب في بطون الكتب القديمة ويستخرج منها ما يريد، والمطلوب هو الفهم العام لتلك القواعد على وجه يضبط بها المؤرخ قراءته وبحثه...»[٣٣٥].

وقال أيضاً: «مــا كان فيها من أخبــار تتعلق بالعقائــد، أو الفتن، أو الحكم على الأشــخاص بالنفاق أو الكفر، أو الإخبــار بالمغيبات فهذا لا بد من أن يثبت بســند صحيح أو حســن لذاته أو لغيره، على حسب

(٣٣٤) الإباضية مذهب لا دين، ص ٤٣.
(٣٣٥) إعداد المؤرخ الثقة، ص ٢٦.

التفصيل الوارد في كتب دراسة الأسانيد الحديثية، ولا يُقبل في هذا القسم الأخبار الضعيفة»[٣٣٦].

فهذا الكلام الموزون، الدقيق، الصائب الذي قاله الدكتور الشريف، لا أثر له في كتابات الدكتور هاني سليمان الطعيمات، لهذا جاءت كتاباته عن أهل النهروان والإباضية متهافتة ومنحرفة عن خط الاستقامة والعدل.

❋ ❋ ❋

(٣٣٦) إعداد المؤرخ الثقة، ص٦٨.



الروايات التي ذكر فيها استعراض الناس ومقتل عبد الله بن خباب

قلتُ في كتابي (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**) ما نصه: «لقد طفحت كتب التاريخ والمقالات وبعض كتب الحديث بروايات ضعيفة تنسب لأهل النهروان استحلالهم لدماء الأبرياء وأموال المسلمين. وبسبب تلك الروايات الضعيفة ومع عدم وجود التحقيق ترسبت في أذهان الناس صورة شائنة عن أهل النهروان مما جعل التاريخ يظلمهم وينال من حقوقهم. وفي المقابل نجد روايات أحسن منها حالاً تنسب قتل الأبرياء إلى غير أهل النهروان ولكن لعدم تكررها على ألسنة الناس وعدم تناقل الكُتَّاب لها جعل التاريخ من أولئك القتلة عظماء وأبطالاً».

ثم ذكرت الروايات التي اعتد بها الكُتَّاب الذين تحاملوا على أهل النهروان وبينت بقواعد علوم الأمة ضعف تلك الروايات، فأدعوك أخي القارئ الكريم لقراءة القسم الثالث من الفصل الخامس من الكتاب المذكور.

وتلك الروايات التي ذُكر فيها الحوار بين عبد الله بن خباب والذين نُسب إليهم قتله قد ذكرها ابن الأثير أيضاً في كامله حيث قال: «... قالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها؟ قال إنه كان محقا في أولها

وفي آخرها. قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنه أعلم بالله منكم وأشد توقيا على دينه وأنفذ بصيرة. فقالوا: إنك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً...»[٣٣٧].

ونقل ابن الأثير أيضاً: «... فأرسل علي إلى أهل النهر: أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم أقتلهم بهم ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل المغرب فلعل الله يُقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم»[٣٣٨].

فهذه الرواية التي نقلها ابن الأثير واعتمد عليها الجم الغفير من الكُتَّاب الذين تخبطوا (في ظلماء الليالي) وجمعوا (الحصباء) والأفاعي ضعيفة باطلة لا قيمة لها في ميزان الحق، ولا تُثبت حجة على أحد أبداً.

فإن كان عذر الإمام الطبري في تسطيرها في تاريخه مقبولاً، لأنه ألقى بعهدة الروايات إلى ناقليها إليه ونبه القراء إلى اعتماد منهج التثبت قبل تصديقها والأخذ بها، فلا عذر لابن الأثير في تسطيرها في تاريخه وهو القائل: «... على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة، **والكتب المشهورة، ممن يُعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحة ما دوّنوه، ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي، ولا كمن يجمع الحصباء واللآلي**»[٣٣٩]؟.

وقد جاءت هذه الرواية من طرق عدة وكلها ضعيفة:

(٣٣٧) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٣٤١ ـ ٣٤٢.
(٣٣٨) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٣٤٣.
(٣٣٩) الكامل في التاريخ، ج ١/ ص ٣ ـ ٤.

• فقد جاءت عند الإمام الطبري[٣٤٠]، والإمام أحمد[٣٤١]، والطبراني[٣٤٢]، وأبي يعلى[٣٤٣]، وابن سعد[٣٤٤]، وابن أبي عاصم الشيباني[٣٤٥]، وابن أبي شيبة[٣٤٦]، والبلاذري[٣٤٧] من طريق حميد بن هلال **عن رجل مجهول من عبد القيس**، وهي ضعيفة لوجود هذه الجهالة بسندها.

• وجاءت هذه الرواية التي ذكر فيها قتل عبد الله بن خباب وقتل امرأته عند الطبري[٣٤٨] من طريق **أبي مخنف لوط بن يحيى الضعيف**.

---

(٣٤٠) تاريخ الطبري ج ٣/ ص ١١٨ ـ ١١٩. وانظر كذلك (مقالات الإسلاميين) ص ١٢٩. قال الإمام الطبري: «حدثني يعقوب، قال حدثني إسماعيل، قال: أخبرنا أيوب، عن حميد بن هلال، **عن رجل من عبد القيس كان من الخوارج ثم فارقهم**، قال: دخلوا قريةً، فخرج عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ذَعِراً يجرّ رداءه، فقالوا: لَمْ تُرَعْ؟ فقال: والله لقد ذعرتموني! قالوا: أأنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: فهل سمعتَ من أبيك حديثاً يحدِّث به عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنةً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي؟ قال: فإن أدركتم ذلك فكن يا عبد الله المقتول ـ قال أيوب: ولا أعلمه إلا قال: (ولا تكن يا عبد الله القاتل) ـ قال: نعم، قال: فقدموه على ضفة النهر، فضربوا عنقه، فسال دمه كأنه شراك نعل، وبقروا بطن أم ولده عما في بطنها».

(٣٤١) مسند الإمام أحمد، الرواية: ٢١٣٧٨، ص ١٥٤٣.

(٣٤٢) المعجم الكبير، الرواية: ٣٦٢٩ و٣٦٣٠، ج ٤/ ص ٥٩ ـ ٦٠.

(٣٤٣) مسند أبي يعلى، الرواية: ٧٢١٥، ج ٩/ ص ٦٠١.

(٣٤٤) الطبقات الكبرى، ت: ٧٨٣، ج ٥/ ص ١٩٠.

(٣٤٥) الآحاد والمثاني، ص ٤٩.

(٣٤٦) مصنف ابن أبي شيبة، الرواية: ٣٧٨٩٦، ج ٧/ ص ٥٥٥.

(٣٤٧) أنساب الأشراف، ج ٣/ ص ١٤٣.

(٣٤٨) نقل الإمام الطبري: «قال **أبو مخنف** عن عبد الملك بن أبي حرة: ... وأما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل، وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي، فعلم بهم ابن عباس، فأتبعهم أبا الأسود الدّؤلي، فلحقهم بالجسر الأكبر، فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل، وأدلج مسعر بأصحابه، وأقبل يعترض الناس وعلى مقدّمته الأشرس بن عوف الشيباني، وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر... وكتبوا [يقصد أهل النهروان] إليه: =

= أما بعد، فإنك لم تغضب لربك، إنما غضبتَ لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواءٍ إن الله لا يحب الخائنين. فلما قرأ كتابهم آيس منهم، فرأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم» (تاريخ الطبري ج ٣/ ص ١١٥ ـ ١١٧).

«قال **أبو مخنف** عن عطاء بن عجلان، عن حميد بن هلال: إن الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من إخوانها بالنهر، فخرجت عصابة منهم، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار، فعبروا إليه، فدعوه فتهددوه وأفزعوه، وقالوا له: مَن أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ، ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض ـ وكان سقط عنه لما أفزعوه ـ فقالوا له: أفزعناك؟ قال: نعم؛ قالوا له: لا رَوْع عليك فحدثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبي ﷺ، لعل الله ينفعنا به! قال: حدثني أبي، عن رسول الله ﷺ: (أن فتنة تكون، يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه، يمسي فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً، ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً)، فقالوا: لهذا الحديث سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيراً، قالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها؟ قال: إنه كان محقاً في أولها وفي آخرها؛ قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنه أعلم بالله منكم، وأشد توقياً على دينه، وأنفذ بصيرة. فقالوا: إنك تتبع الهوى، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً، فأخذوه فكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى مُتِمٌّ حتى نزلوا تحت نخل مواقر فسقطت منه رطبة، فأخذها أحدهم فقذف بها في فمه، فقال أحدهم: بغير حِلِّها، وبغير ثمن! فلفظها وألقاها من فمه، ثم أخذ سيفه فأخذ بيمينه، فمر به خنزير لأهل الذمة فضربه بسيفه، فقالوا: هذا فسادٌ في الأرض، فأتى صاحبَ الخنزير فأرضاه في خنزيره، فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليَّ منكم بأس، إني لَمُسلم؛ ما أحدثتُ في الإسلام حدثاً، ولقد أمنتموني، قلتم: لا روع عليك! فجاؤوا به فأضجعوه فذبحوه، وسال دمه في الماء، وأقبلوا إلى المرأة، فقالت: إني إنما أنا امرأة، ألا تتقون الله! فبقروا بطنها،! وقتلوا ثلاث نسوة من طيّئ، وقتلوا أمَّ سنان الصيداوية، فبلغ ذلك علياً ومن معه من المسلمين مِن قتلهم عبد الله بن خباب، واعتراضهم الناس، فبعث إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه، ولا يكتمه. فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسائلهم، فخرج القوم اليه فقتلوه، وأتى الخبرُ أمير المؤمنين والناس، فقام إليه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين، عَلام تدَع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا! سِرْ بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام... =

• وجاءت رواية أخرى مرسلة من طريق أبي مجلز أخرجها ابن أبي شيبة[٣٤٩]، والدارقطني[٣٥٠]، والبيهقي[٣٥١]، والبلاذري[٣٥٢]. **فتلك الرواية من مراسيل أبي مجلز**، فليس فيها حجة لأحد على أهل النهروان؛ وقد صحح

= «... وخرج فعبر الجسر فصلى ركعتين بالقنطرة... فلقيه في مسيره ذلك منجم، أشار عليه [أن] يسير وقت من النهار، وقال له: إن سرت في غير ذلك الوقت لقيت أنت وأصحابك ضراً شديداً. فخالفه، وسار في الوقت الذي نهاه عن السير فيه، فلما فرغ من النهر حمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون: سار في الساعة التي أمره بها المنجم فظفر» (تاريخ الطبري، ج ٣/ ص ١١٩ ـ ١٢٠).

(٣٤٩) مصنف ابن أبي شيبة، الرواية: ٣٧٨٩٣، ج ٧/ ص ٥٥٤ ـ ٥٥٥. **قال ابن أبي شيبة**: «حدثنا يزيد بن هارون الواسطي قال حدثنا سليمان التيمي **عن أبي مجلز قال**: نهى علي أصحابه أن يسطوا على الخوارج حتى يحدثوا حدثاً، فمروا بعبد الله بن خباب فأخذوه، فمر بعضهم على تمرة ساقطة من نخلة فاخذها فألقاها في فيه؛ فقال بعضهم: تمرة معاهد، فبم استحللتها؟ فألقاها من فيه، ثم مروا على خنزير فنفحه بعضهم بسيفه فقال بعضهم: خنزير معاهد فبم استحللته؟ فقال عبد الله: ألا أدلكم على ما هو أعظم عليكم حرمة من هذا؟ قالوا: نعم، قال أنا، فقدموه فضربوا عنقه، فأرسل إليهم علي أن أقيدونا بعبد الله بن خباب، فأرسلوا إليه: وكيف نقيدك وكلنا قتله، قال أوكلكم قتله؟ قالوا نعم، فقال الله أكبر ثم أمر أصحابه أن يسطوا عليهم، قال: والله لا يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة، قال: فقتلوهم فقال: اطلبوا فيهم ذا الثدية فطلبوه فأتي به، فقال: من يعرفه، فلم يجدوا أحدا يعرفه إلا رجلاً، قال: أنا رأيته بالحيوة، فقلت له أين تريد؟ قال: هذه، وأشار إلى الكوفة، ومالي بها معرفة، قال: فقال علي: صدق هو من الجان».

وقد أورد ابن أبي شيبة رواية أخرى شبيهة بهذه الرواية: «ابن علية عن التيمي عن أبي مجلز...» ثم نقل الرواية السابقة إلى قوله: «... قالوا: كيف نقيدك به وكلنا قد شرك في دمه، فاستحل قتالهم» انظر (مصنف ابن أبي شيبة، الرواية: ٣٧٩٢٣، ج ٧/ ص ٥٦٠). وجاء في تاريخ الطبري من طريق **أبي مخنف التالف**: «... وبعث [يقصد الإمام علياً] إلى أهل النهر: ادفعوا إلينا قَتَلة إخواننا منكم نقتلهم بهم، ثم أنا تاركم وكافٌّ عنكم... فبعثوا إليه، فقالوا: كلنا قتلتهم، وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم.» انظر (تاريخ الطبري ج ٣/ ص ١٢٠).

(٣٥٠) سنن الدارقطني، الرواية: ٣٢٥٠، ج ٤/ ص ١٥١.

(٣٥١) سنن الكبرى للبيهقي، الرواية: ١٦٧٦٧، ج ٨/ ص ٣٢٠.

(٣٥٢) أنساب الأشراف، ج ٣/ ص ١٤١.

الدارقطني الحكم عليها بالإرسال حيث قال: «وسئل عن حديث قيس بن عباد عن علي في قصة أهل النهروان وقتلهم لعبد الله بن خباب فقال: حدث به عمر بن شبة عن يحيى القطان عن التيمي عن أبي مجلز **مرسلا وهو أصح**»[٣٥٣].

وقال ابن الصلاح في مقدمته: «ثم اعلم أن حكم **المرسل** حكم الحديث الضعيف، إلا أن يصح مخرجه بمجيئه من وجه آخر، كما سبق بيانه في نوع الحسن... وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو المذهب الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث ونقاد الأثر، وقد تداولوه في تصانيفهم»[٣٥٤]

• وذكر الدارقطني[٣٥٥]، والخطيب البغدادي[٣٥٦] نحو هذه الرواية التي ذكر فيها قتل عبد الله بن خباب **بسند آخر ضعيف**.

---

(٣٥٣) العلل الواردة في الأحاديث النبوية، ج ٤/ ص ١٠٢.

(٣٥٤) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، ص ٧٣.

(٣٥٥) سنن الدارقطني، الرواية: ٣٢٥١، ج ٤/ ص ١٥٣. «نا عبيد الله بن عبد الصمد بن المهتدي نا أحمد بن محمد بن رشدين نا زكريا ابن يحيى الحميري نا الحكم بن عبدة عن أيوب السختياني عن حميد بن هلال العدوى عن أبي الأحوص قال...». في سند هذه الرواية **أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين** «قال بن عدي كذبوه وأنكرت عليه أشياء»(الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، ص ٥٨. والكامل في ضعفاء الرجال، ت: ٤٢، ج ١/ ص ٣٢٦. ولسان الميزان، ت: ٨٠٥، ج ١/ ص ٢٨٠). وكذلك **الحكم بن عبدة الشيباني البصري** فقد قال ابن حجر عنه في التهذيب: «... قال الآجري عن أبي داود... ما عندي من علمه شيء وقال أبو فتح الأزدي ضعيف» (تهذيب التهذيب، ت: ١٥٢٧، ج ٢/ ص ٣٨٨).

(٣٥٦) تاريخ بغداد، الرواية: ٤١٦٨، ج ١٤/ ص ٢٣١ وكذلك انظر الرواية: ١٢٩، ج ١/ ص ٥٧١ حيث جاءت رواية أخرى من طريق الحكم بن عبدة.

• وجاء في مصنف **عبد الرزاق**[٣٥٧] «عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن حميد بن هلال العدوي قال: لم يستحل علي قتال الحروراء حتى قتلوا ابن خباب». هذه الرواية منقطعة الإسناد حيث أن حميد بن هلال لم يشهد تلك الأحداث، ومع هذا فإن **معمراً** لم يسلم من التجريح[٣٥٨].

• **ونقل الطبري**[٣٥٩] **من طريق أبي مخنف التالف:** «قال **أبو مخنف**: فحدثني أبو الصلت الأعور التيمي، عن أبي سعيد العقيلي، عن عبد الله بن وأل التيمي قال: ... وإن رجلاً من دهاقين أسفل الفرات قد صلى يقال له، زاذان فرّوخ، أقبل من قِبَل أخواله بناحية نِفّر، فعرضوا له، فقالوا: أمسلم أنت أم كافر؟ فقال: بل أنا مسلم، قالوا فما قولك في علي؟ قال أقول فيه خيراً،

(٣٥٧) مصنف عبد الرزاق، الرواية: ١٨٥٧٧، ج ١٠/ ص ٥٣. وجاء نحو هذه الرواية عند عبد الرزاق في عدة مواضع وهي واهية ضعيفة:
• «عبد الرزاق عن معمر قال أخبرني غير واحد من عبد القيس عن حميد بن هلال عن أبيه...». (مصنف عبد الرزاق الرواية: ١٨٥٧٨، ج ١٠/ ص ٥٣)..
• «عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال: سأله رجل أحسبه من أهل اليمامة ـ قال: أتينا الحرورية زمان كذا وكذا، لا يسألونا عن شيء، غير أنهم يقتلون من لقوا...». (مصنف عبد الرزاق، الرواية: ١٨٥٧٩، ج ١٠/ ص ٥٣).

(٣٥٨) قال ابن حجر: «... قال ابن سعد... كان معمر رجلًا له قدر ونبل في نفسه ولما خرج إلى اليمن شيعه أيوب... وقال ابن أبي خيثمة سمعت يحيى ابن معين يقول: إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالفه إلا عن الزهري وابن طاوس فإن حديثه عنهما مستقيم فأما أهل الكوفة وأهل البصرة فلا وما عمل في حديث الأعمش شيئاً. قال يحيى وحديث معمر عن ثابت وعاصم بن أبي النجود وهشام بن عروة وهذا الضرب مضطرب كثير الأوهام» (تهذيب التهذيب ت: ٧١٢٦، ج ١٠/ ص ٢٢١).
وشيخ معمر في هذه الرواية هو أيوب بن أبي تميمة من أهل البصرة (تهذيب التهذيب ت: ٦٥٤ ج ١/ ص ٣٦١)، فعلى قول ابن معين فلا يؤخذ بهذه الرواية ويجب مخالفتها.

(٣٥٩) تاريخ الطبري ج ٣/ ص ١٣٩.

أقول: إنه أمير المؤمنين، وسيد البَشر، فقالوا له: كفرت يا عدو الله! ثم حملت عليه عصابة منهم فقطعوه، ووجدوا معه رجلاً من أهل الذمّة، فقالوا ما أنت؟ قال: رجل من أهل الذمة، قالوا: أما هذا فلا سبيل عليه، **فأقبل إلينا ذلك الذمي فأخبرنا هذا الخبر...**».

كم وكم تناقل هذه الرواية من الكتاب، ويا ليتهم علموا مصدرها قبل أن يثيروها حرباً عاصفة على الأبرياء البررة. فأنت ترى يا أخي القارئ الكريم أن هذه الرواية أخبر بها **ذمي** ما آمن برسالة المصطفى ﷺ ونقلها ذلك الراوي التالف. فهل يَقبل من هذين الشخصين طالب حق ومتبع هدى؟

• **وجاء في التاريخ الصغير للإمام البخاري**[٣٦٠]: «حدثني إسحاق الواسطي ثنا خالد عن داود عن عامر أتى الخوارج عبد الله بن خباب في قرية له فضربوا عنقه».

فعامر الشعبي راوي هذه الحادثة لم يشاهد وقائع جريمة القتل التي تحدثت عنها هذه الرواية. ومع هذا فإن كلمة الخوارج كان لها في عهد الصحابة رضي الله عنهم معنى يختلف كل الاختلاف عن المعنى الذي تعارف عليه الناس في هذا العصر. **فقد روى الحاكم**[٣٦١] **ما نصه**: «حدثنا أبو أحمد الحسين بن علي التميمي[٣٦٢]، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد

(٣٦٠) التاريخ الصغير (الأوسط)، ج١/ ص٤٩.

(٣٦١) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٢٦٥٣، ج٢/ ص١٦٢ ـ ١٦٣.

(٣٦٢) **الحافظ الإمام النبيل أبو أحمد الحسين بن علي بن محمد بن يحيى التميمي النيسابوري**... من كبار أهل خراسان... قال الخطيب كان ثقة حجة وقال الحاكم الغالب على سماعه الصدق... فما رأيته ترك قيام الليل من نحو ثلاثين سنة...». (تذكرة الحفاظ، ت: ٩٠٩، ج٣/ ص٩٦٨).

البغوي[٣٦٣]، حدثنا أبو كامل الجحدري[٣٦٤]، حدثنا عبد العزيز بن المختار[٣٦٥]، حدثنا خالد الحذاء[٣٦٦]، عن عكرمة[٣٦٧]، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنه قال له ولابنه علي: **انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا منه حديثه في شأن الخوارج** فانطلقا فإذا هو في حائط له يصلح فلما رآنا أخذ رداءه ثم احتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى علا ذكره في المسجد فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين لبنتين فرآه النبي ﷺ فجعل ينفض التراب عن رأسه ويقول: (يا عمار ألا تحمل لبنة لبنة كما يحمل أصحابك؟) قال: إني أريد الأجر عند الله. قال: فجعل ينفض ويقول: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية) قال ويقول عمار: أعوذ بالله من الفتن. هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه بهذه السياقة».

---

(٣٦٣) «**البغوي الحافظ الثقة الكبير مسند العالم أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان البغوي**... قال ابن أبي حاتم: أبو القاسم البغوي يدخل في الصحيح... قلت [الذهبي]: وقد احتج به عامة من خرج الصحيح كالإسماعيلي والدارقطني والبرقاني... قال الخطيب أبو بكر: كان ثقة ثبتا فهما عارفا. وقال السلمي سألت الدارقطني عن البغوي فقال: ثقة جبل إمام أقل المشايخ خطأ وقال أبو يعلى الخليلي: البغوي... حافظ عارف صنف مسند عمه...». (تذكرة الحفاظ، ت: ٧٣٨، ج ٢/ ص ٧٣٧ ـ ٧٤٠).

(٣٦٤) «**فضيل بن حسين بن طلحة الجحدري أبو كامل** ثقة حافظ من العاشرة...» (تقريب التهذيب، ت: ٥٤٤٣، ج ٢/ ص ١٤).

(٣٦٥) «**عبد العزيز بن المختار الدباغ البصري** مولى حفصة بنت سيرين ثقة من السابعة» (تقريب التهذيب، ت: ٤١٣٤، ج ١/ ص ٦٠٧).

(٣٦٦) «**خالد بن مهران الحذاء أبو المنازل البصري**... قال الأثرم عن أحمد: ثبت. وقال إسحاق بن منصور، عن ابن معين: ثقة وكذا قال النسائي... وقال فهد بن حيان: ... كان خالد ثقة مهيبا كثير الحديث... وذكره ابن حبان في الثقات... وقال العجلي بصري ثقة...». (تهذيب التهذيب، ت: ١٧٥٦، ج ٣/ ص ١١٠ ـ ١١١).

(٣٦٧) **عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس أصله بربري**... ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة من الثالثة...». (تقريب التهذيب، ت: ٤٦٨٩، ج ١/ ص ٦٨٥).

من هذه الرواية تدرك أيها القارئ أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه فسر «الخوارج» بالفئة الباغية صاحبة الفتنة والتي قتلت الصحابي الجليل عمار بن ياسر. ومن المعلوم أن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قتل في حرب صفين.

فلسنا هنا نشير بأصبع الاتهام على أحد في قتل عبد الله بن خباب لأن ذلك ليس من وظائفنا وخارج عن مجال بحثنا، والذي نريد أن نبينه هنا هو أنه ليس في رواية الإمام البخاري هذه ولا في غيرها دليل على أن قتلة عبد الله بن خباب هم أهل النهروان.

• **ومن الروايات التي أوجدها الضعفاء لترسيخ تهمهم الباطلة لأهل النهروان باستعراض الناس هي هذه التي جاءت في تاريخ الإمام الطبري.**

قال الإمام الطبري[٣٦٨]: «ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني النضر بن صالح بن حبيب، عن جرير بن مالك بن زهير بن جذيمة العبسي، عن أبي بن عمارة العبسي، أن حيان بن ظبيان السلمي كان يرى رأي الخوارج، وكان ممن ارتث يوم النهروان، فعفا عنه علي عليه السلام في الأربعمائة الذين كان عفا عنهم من المرتثين يوم النهر... وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضا، ويتذاكرون مكان إخوانهم بالنهروان ويرون أن في الإقامة الغبن والوكف، **وأن في جهاد أهل القبلة الفضل والأجر**».

ومما نقله ابن الأثير من هذه الرواية هو: «... وكان سبب خروجهم أن **حيان بن ظبيان السلمي** كان خارجيا وكان قد ارتث يوم النهر، فلما برأ لحق بالري في رجال معه، فأقاموا بها حتى بلغهم مقتل علي، فدعا أصحابه، وكانوا بضعة عشر أحدهم سالم بن ربيعة العبسي فأعلمهم بقتل علي، فقال سالم: لا شلت يمين علت قذالهُ بالسيف! وحمدوا الله على قتله، رضي الله

(٣٦٨) تاريخ الطبري، ج ٣/ ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

عنه ولا رضي عنهم. ثم أن سالما رجع عن رأي الخوارج بعد ذلك وصلح، **ودعاهم حيان إلى الخروج ومقاتلة أهل القبلة**»[٣٦٩].

فهذه الرواية من صنع الضعفاء والمجهولين، وهي كسابقاتها باطلة لا تمت إلى أهل النهروان بصلة، والحمد لله رب العالمين.

فقد جاءت هذه الرواية الباطلة من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي الذي ليس له وزن عند أئمة الجرح والتعديل، فقد «قال أحمد بن حنبل: ... ما ظننت أن أحداً يحدث عنه. وقال الدارقطني وغيره: متروك. وقال ابن عساكر: رافضي، ليس بثقة»[٣٧٠].

وقد مر بك أعلاه قول علماء الجرح والتعديل في أبي مخنف التالف.

وأما النضر بن صالح بن حبيب العبسي فهو مجهول[٣٧١].

وأما جرير بن مالك بن زهير بن جذيمة العبسي لم أجد له ترجمة في كتب الرجال التي بين يدي.

فيتبين لكل بصير بعد دراسة سند هذه الرواية أن نسبة «**الخروج ومقاتلة أهل القبلة**» إلى حيان بن ظبيان السلمي باطل.

تلكم هي الروايات التي تراقص حولها وتغنى بها كثير من الكتاب، ولو عملوا بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، لَمَا حكموا بتلك الأحكام الجائرة في حق أهل النهروان والإباضية. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(٣٦٩) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٤٢٠ ـ ٤٢١.

(٣٧٠) ميزان الاعتدال، ت: ٩٢٣٧، ج ٤/ ص ٣٠٤.

(٣٧١) قال ابن أبي حاتم الرازي «يروي عن سنان بن مالك، روى عنه أبو مخنف، قال أبو حاتم: النضر وسنان مجهولان». (كتاب الجرح والتعديل، ت: ٢١٨٦، ج ٨/ ص ٤٧٧).



٩ وقفات مع كُتَّاب التاريخ حول تهمة «الاستعراض»

«الاستعراض؛ أي القتل بلا وجه شرعي يبيحه»[٣٧٢] لم يثبت عن أهل النهروان الكرام أبداً وكل الروايات التي نسبت إليهم هذه الفعلة الشنعاء باطلة، ومن الحمق بمكان جعلها حجة على الأبرياء، ومن الاعتداء الصارخ على مناهج الأمة الإسلامية الطاهرة جعل أقاويل الضعفاء فوق أصوات الصادقين الثقاة، ومن الإفساد للعقول المسلمة حشوها بأباطيل الأقوال وترهات الأفكار وخزعبلات الروايات.

فأي خير يجره الدكتور هاني سليمان الطعيمات، والدكتور أحمد عوض، والدكتور محمد حسن مهدي، والدكتور ناصر العقل وغيرهم من الكُتَّاب لهذه الأمة وهم يغرسون كل متساقط من الأقوال في أذهان المسلمين؟، وصدق رسول الله ﷺ حينما قال: (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)[٣٧٣]. فهؤلاء القوم فقدوا الحياء الذي يوجبه العلم، لهذا نراهم يرقصون على أحابيل الأهواء ولا يعقل عقولَهم علم ولا مبدأ، **فلله الأمر من قبل ومن بعد.**

فالروايات التي ذُكرت هنا فاضحة لمخترعيها وللمحتجين بها، ولا تضر أهل النهروان الكرام بشيء وذلك بسبب ضعف أسانيدها وبطلان متونها[٣٧٤].

---

(٣٧٢) الخوارج والحقيقة الغائبة، ص ١٢٤.

(٣٧٣) سنن ابن ماجة، الرواية: ٤١٨٣، ص ٦٧٩.

(٣٧٤) لقد ناقش الدكتور الشيخ ناصر السابعي ما حوته هذه الروايات من أقوال في كتابه الفذ (الخوارج والحقيقة الغائبة، ص ١٢٤ ـ ١٣٥).

ولكي يدرك الكُتَّاب الذين اعتمدوا على هذه الروايات في نسبة الاستعراض إلى أهل النهروان، فإننا سنقف معهم ونبين لهم، ومن خلال قراءات ما في سطور هذه الروايات، أن المعاني التي جاءت بها هذه الروايات أشد التصاقاً بالجانب الذي قاومه الإباضية عبر التاريخ، وأن الذين تداعوا إلى «**مقاتلة أهل القبلة**» ليسوا أتباعاً لأهل النهروان[٣٧٥] البتة.

فهذه الروايات تدور حول المعاني التالية:

ـ مطالبة الإمام علي أهل النهروان بتسليم قتلة عبد الله بن خباب.

ـ نسبة أفعال حرمها الإسلام إلى أشخاص مجهولين ولا تربطهم بأهل النهروان أي رابطة.

ـ ذكر جانب من أفعال الخوارج.

ـ قضية الاستجواب وسؤال الناس عن آرائهم، وقتل الأبرياء على الهوية التي ينتسبون إليها.

(٣٧٥) قد يقول قائل: إن الأزارقة والنجدات يدعون إتباع أهل النهروان. ولكن نحن نقول: إن الأزارقة خالفوا المبدأ الذي عليه أهل النهروان وسار عليه الإباضية عبر التاريخ. قال الشيخ أحمد بن سعود السيابي ـ حفظه الله تعالى ـ في إحدى تعليقاته على كتاب (دراسة في الفكر الإباضي) للدكتور عمر با: «يرى الإباضية أن الخوارج هم الأزارقة والنجدية والصفرية الذين انشقوا عن المحكمة وخرجوا بآراء تخالف مبادئ المحكمة. فالخوارج (الأزارقة والنجدات والصفرية) قالوا بتشريك مخالفيهم من المسلمين وأحلوا سفك دمائهم وغنيمة أموالهم وسبي ذريتهم إلى غير ذلك من مبادئهم وهذه الآراء تتنافى مع مبادئ وآراء المحكمة التي لم تشذ قيد شعرة عن تعاليم الإسلام الحنيف» (دراسة في الفكر الإباضي، هامش ٥٥، ص١٠٣ ـ ١٠٤).

(أ)

الروايات تدعي مطالبة الإمام علي أهل النهروان بتسليم قتلة ابن خباب

جاء في إحدى تلك الروايات الباطلة: «فأرسل إليهم علي أن أقيدونا بعبد الله بن خباب، فأرسلوا إليه: وكيف نقيدك وكلنا قتله، قال أوكلكم قتله؟ قالوا نعم، فقال الله أكبر ثم أمر أصحابه أن يسطوا عليهم».

فهذه الرواية التي اخترعها المخترعون، وروج لها المروجون، تحمل في طياتها الطعن في الإمام علي كرم الله وجهه من حيث يدرون أو لا يدرون؛ حيث صورت الإمام علي في أذهان الناس رجلاً متناقضاً في أفكاره، إذ كيف له أن يطالب أهل النهروان بتسليم قتلة عبد الله بن خباب، وهو في نفس الوقت يمتنع عن تسليم قتلة الإمام عثمان بن عفان إلى معاوية بن أبي سفيان؟!

وهذه الروايات الضعيفة ما نطق بها المؤرخون إلا للتقليل من شأن الإمام علي ومن كان يناصره في جميع المواطن والمواقع التي نزلها إلى أن قَبِل ـ كرم الله وجهه ـ بمبدأ التحكيم[٣٧٦]. فالإمام علي ومن كان معه قبل التحكيم بقوا جميعاً، وإن لم تجمعهم راية واحدة بعد التحكيم، هدفاً لسهام بني أمية وبني العباس ودعاياتهم، لهذا كثرت الدعايات الباطلة عليهم؛ فأنتجت الروايات وسيرت الجيوش، وما زال الكُتَّاب يتوارثون تلك الأقلام من غير وعي ولا دراية.

---

(٣٧٦) انظر كتابنا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**)، القسم الأول من الفصل الخامس، ص١٧١ ـ ١٩٤.

(ب)
استجواب الناس حسب الانتماءات

ومن الأفكار التي أخذها الكُتَّاب من هذه الروايات هي فكرة «استجواب الناس» والحكم عليهم حسب انتماءاتهم السياسية والتي تطورت فيما بعد لتشمل الانتماءات إلى المذاهب.

وقد جاء في إحدى الروايات السابقة ما نصه: «... قالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها؟ قال إنه كان محقا في أولها وفي آخرها. قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنه أعلم بالله منكم وأشد توقيا على دينه وأنفذ بصيرة. فقالوا: إنك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً...».

هذه الرواية كما رأينا أعلاه قالها أناس لا منزلة لهم عند علماء الأمة، فهي باطلة قد صنعتها أقلام أرادت الشر لأهل النهروان فرد الله كيدهم في نحورهم.

فليس هناك أي دليل على أن تلك الفئة من الناس التي نُسب إليها القتل بعد الاستجواب منطلقة من فكر أهل النهروان. ففكر أهل النهروان والإباضية هو فكر الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جميع مناشط الحياة؛ من عقيدة وفقه وأخلاق. وكان خلافهم مع الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ فقط حول التحكيم الذي نزع من أصبعه الكريم خاتم الخلافة العامة[٣٧٧].

فقصة عبد الله بن خباب مع الذين اعترضوا طريقه، وقصة استجوابهم له حول رأيه في الإمامين والخليفتين عثمان وعلي هي التي لا يتناساها الكُتَّاب

(٣٧٧) أرجو مراجعة هذه الحيثية في كتابنا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**)، ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

الذين تحاملوا على أهل النهـــروان والإباضية عبر القرون الماضية، ويا ليتهم تخلقوا بآداب الإسلام وتأدبوا بأوامر القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ قبل أن يظهروا عداءهم الفاضح لأهل الحق والاستقامة.

وبما أن الإنصاف ليس من ســجايا الذين نسبوا أهل النهروان والإباضية إلى الخوارج، فقد أظهروا لكل بصير حيف موازينهم التي يُقَيِّمون بها البشر، وأبانوا لكل سميع تناقض أفكارهم، وأكدوا بلا خجل أنهم سدنة للهوى الذي يصم ويعمي؛ فما صــادف أهواهم أتوا به وتواصوا بحملــه جيلا بعد جيل، وما كان ســائراً على غير هواهم لا يلتفتون إليه وإن وجد في نفس المصادر التي ينقلون منها.

فكل الأفكار التي سُــجلت في قصة عبد الله بن خباب ونسبت إلى أهل النهروان لم تثبت عنهم، ولم تكن في يوم من الأيام مجال اهتمام[٣٧٨] أتباعهم الإباضية عبر التاريخ، والذي وجدناه أن تلك المحاجة التي ســجلتها الرواية التي ذُكر فيها عبد الله بن خباب تتكرر على ألسنة أناس وقف الفكر الإباضي أمام سياســاتهم الجائرة عبر بالتاريخ. قال الدكتور الشــيخ ناصر الســابعي: «حصر فكرة الاســتعراض والتقتيل ـ على فرض ثبوتها ـ في التيار المعارض للتحكيم أمر مناف للوقائع التاريخية، فإن نســبة مثل هذا الفعل إلى غيرهم تردده المصادر بكثرة. وإذا كانــت حادثة مقتل عبد الله بن خباب مرآة لمنطق

(٣٧٨) قال ابن الوزير: «... فوجب أن يعدل إلى أمر عدل بين الجميع فنترك كل عبارة مبتدعة من عبارات فرق الإسلام كلها ســواء علمنا بالعقل أنها حق أو باطل لأنه لا يجب الاشتغال بكل حق فقد نعلــم من أمور الدنيــا ما لا يحصى ولا تجب علينا معرفتــه وتعريفه مثل ما اشتملت عليه التواريخ من حوادث الزمان وعجائب أخبار البلدان بل ما تضمن المفاسد من الحق حرم فلذلك قد يكون من الحق ما هو حرام بالإجماع والنص كالغيبة والنميمة متى أردنا بالحق مجرد الصدق والمطابقة فلذلك لا ينبغي الاشتغال ببعض العلوم وغيرها لمجرد كونها حقاً حتى يرد الشرع بالأمر بذلك...» (إيثار الحق، ص١٣٦).

السيف الذي نسب إلى أهل النهروان، فإن ثمة من الحوادث المروعة المنسوبة إلى غيرهم ما تتضاءل أمام شناعتها حادثة مقتل ابن خباب...»[٣٧٩].

ونحن إذ ننقل هنا روايات نسبت استجواب الناس وقتلهم إلى أناس آخرين لا نريد من هذا الصنيع التشنيع على أحد، فذلك ليس من اهتماماتنا، ولا فائدة لنا من ذكرها والحديث عنها، وإنما نريد أن نقول لأمة الإسلام أن الكُتَّاب الذين تحاملوا على أهل النهروان والإباضية ليسوا بأمناء على تاريخ الإسلام إذ أثبتوا من خلال كتاباتهم أنهم تبعة لكل ناعق وأنهم «يحتطبون الأخبار بأهوائهم»، وأنهم «كالخابط في ظلماء الليالي» وأن ما سجلوه على أهل النهروان والإباضية إنما هو «عمل غير علمي ولا دقيق، بل عمل حاطب ليل وسائس خيل لا عمل أساتذة التاريخ المحققين»[٣٨٠].

فما الذي صرف أعين الكتاب، الذين تلقفوا الأخبار الضعيفة ونسبوها إلى أهل النهروان، عن هذه الروايات المنسوبة إلى الحجاج وغيره وقد جاءت هذه الروايات في نفس المصادر التي أساءت إلى أهل النهروان والإباضية؟

---

(٣٧٩) الخوارج والحقيقة الغائبة، ص ١٢٥.

(٣٨٠) جاءت هذه العبارة على لسان الدكتور محمد بن موسى الشريف الذي قال: «ولقد عني المستشرقون بالكتاب [يقصد تاريخ الطبري] فخدموه وطبعوه مبكراً لينالوا بُغيتهم من الطعن في دين الإسلام، فإذا خافوا ملامة أو عتاباً أحالوا على تاريخ الطبري وظنوا أنهم بهذا قد برئت ذمتهم من التشويه المتعمد ـ في أكثر الأحيان ـ لتاريخنا، ولقد تبعهم طائفة من الأساتذة من بني جلدتنا فأوردوا المستشنع المستغرب من الأخبار ثم أحالوها على تاريخ الطبري، وهذا عمل غير علمي ولا دقيق، بل هو عمل حاطب ليل وسائس خيل لا عمل أساتذة التاريخ المحققين» (تعريف موجز بأشهر كتب التاريخ، ص ٢١).
هذا القول الذي قاله الدكتور الشريف في وصف حال المستشرقين ومن سار على نهجهم من بني جلدتنا، ينطبق تمام الانطباق على الكُتَّاب الذين تجرأوا على الإباضية وأسلافهم أهل النهروان.

فقد أورد ابن الأثير ما نصه:

ـ «وأخذ الحجاج يبايع الناس، وكان لا يبايع أحداً إلا قال له: اشهد أنك كفرتَ، فإن قال: نعم، بايعه، وإلا قتله»[٣٨١].

ـ «فلما فرغوا من طواف الزيارة نادى منادي الحجاج: انصرفوا إلى بلادكم فإنا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد»[٣٨٢].

ـ «ثم إنه خطب يوماً فقال: إن الزيادة التي زادكم إياها ابن الزبير إنما هي زيادة مخسرة باطلة [من] ملحد فاسق منافق ولسنا نجيزها! وكان مصعب قد زاد الناس في العطاء مائة مائة»[٣٨٣].

ـ «وقام روح بن زنباع الجذامي فقال: أيها الناس إنكم تذكرون... ابن الزبير... ولكنه منافق قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية وسفك الدماء وشق عصا المسلمين، وليس المنافق بصاحب أمة محمد»[٣٨٤].

ـ «... فخرج أبو مسلم لبعض حاجته، فعمد بعض المُجّان فقطع ذنب حماره، فلما عاد قال لصاحب الخان: من فعل هذا بحماري؟ قال: لا أدري! قال: ما اسم هذه المحلة؟ قال بوناباذ. قال: إن لم أصيّرها كنداباذ فلست بأبي مسلم فلما ولي خراسان أخربها»[٣٨٥]. فأين أحكام ابن الأثير على هذا الإفساد

(٣٨١) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٤٨١.

(٣٨٢) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٣٥٠ ـ ٣٥١، ونقل ابن الأثير الحوار الذي دار بين الحجاج الثقفي وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: «قال لها: كيف رأيتني صنعتُ بعبد الله؟ قالت: رأيتك أفسدتَ على ابني دنياه وأفسد عليك آخرتك، فإن رسول الله، ﷺ، حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً، فأما الكذاب فقد رأيناه، تعني المختار، وأما المبير فأنت هو. **وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه**». (الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٣٦١).

(٣٨٣) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٣٨١.

(٣٨٤) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ١٤٨.

(٣٨٥) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٢٥٨.

في الأرض الذي نقله لنا هنا؟، ألأجل ذنب حمار تخرب أملاك الناس؟، فما دامت الأمة لا تقول لظلمة التاريخ يا ظلمة، وما دامت تتمادى في وصف الصالحين بالخارجية فلن تقوم لها قائمة، وستهلك أمام كل الفتن التي تموج بها من كل صوب. نسأل الله تعالى السلامة.

ـ وخاطب الحجاج أهل الكوفة: «وقد بلغني رفضكم المهلب وإقبالكم على مصركم عاصين مخالفين، وإنّي أُقسم بالله لا أجد أحداً من عسكره بعد ثلاثة إلا ضربتُ عنقه وأنهبتُ داره»[٣٨٦].

ـ وخاطب عبد الملك بن مروان أهل المدينة وقال لهم: «والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربتُ عنقه»[٣٨٧]. فما هو عذر ابن الأثير ومن سار على نهجه في عدم ذكر عبد الملك بن مروان في قائمة الخوارج؟.

ـ ونقل ابن الأثير: «وكان [يقصد مروان بن الحكم] قد جعل لابن زياد ما غلب عليه وأمره أن ينهب الكوفة ثلاثا»[٣٨٨].

ـ وقال ابن الأثير: «وسبب ذلك أن عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد بن العاص، كما تقدم ذكره، وضع السيف فقتل من خالفه، فصفا له الشام»[٣٨٩].

ونحن لا نريد أن يكون لنا رأي في هذه الروايات وأشباهها ولو جاءت من مصادر موثوقة صادقة. وكل الذي نسعى إليه بنقلها ونقل غيرها من الأخبار، في هذا البحث، هو لأجل إقامة الحجة على الكُتَّاب الذين يحلبون

(٣٨٦) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٣٧٦.
(٣٨٧) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٣٩٢.
(٣٨٨) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٢٢٨.
(٣٨٩) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٣٢٣.

الروايات الباطلة، ونلزمهم أن يقـروا بها، من «باب إلزام الخصم ما يلتزمه»، لأنهم أقدموا على أمثالها عند حكمهم الجائر على أهل النهروان والإباضية.

ومما جاء عند ابن الأثير:

«وكان أول قتيـل قتله زيـاد بالكوفة أوفى بن الحصـن، وكان بلغه عنه شـيء، فطلبه فهرب، فعـرض الناسَ [زيـادٌ]، فمر به فقال: مـن هذا؟ قال: أوفى بن حصن. فقال زياد: أتتك بحائن رجلاه. **وقال له: ما رأيك في عثمان؟** قال: ختن رسول الله، ﷺ، على ابنتيه. قال: **فما تقول في معاوية؟** قال: جواد حليم. قال: فما تقول فيّ؟ قال: بلغني أنك قلتَ بالبصرة والله لآخذن البريء بالسقيم، والمُقبل بالمدبر. قال: قد قلتُ ذاك. قال: خبطتها خبط عشواء! فقال زياد: ليس النفاخ بشرّ الزَّمَرَة! فقتله»[٣٩٠].

فهذا هو زياد بن أبيه، أحد سدنة الإرهاب الأموي، تنسب إليه هذه الرواية القتل للأبرياء بعد اسـتجوابهم، فلماذا صُرفت أبصار الكُتَّاب الذين تحاملوا ظلماً وعدواناً على الإباضية عن هذه الرواية؟.

وذكر ابن الأثير أيضاً، حـواراً بين زياد بن أبيـه وصيفي أحد رجالات حجر بن عدي:

«... فقال له زياد: ... عليّ بالعصا، فأتي بها، فقال: ما تقول في عليّ؟ قال: أحسـن قول. قال: اضربوه، حتى لصق بالأرض، ثم قال: أقلعوا عنه، ما قولك في علـيّ؟ قال: والله لو شـرَّحتني بالمواسـي ما قلـتُ فيه إلا ما سـمعتَ مني. قال لتلعننّـه أو لأضربن عنقك! قـال: لا أفعل. فأوثقوه حديداً وحبسوه»[٣٩١].

(٣٩٠) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٤٦٢.

(٣٩١) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٤٧٧ ـ ٤٧٨.

وها هو عبيد الله بن زياد يمشي على خطى أبيه، فيستجوب الناس ويقتلهم إذا ذكروا السبطين الكريمين وأباهما بخير، فقد قال ابن الأثير: «فلما بلغ الحسينُ الحاجرَ كتب إلى أهل الكوفة مع قيس بن مسهر الصيداوي يعرفهم قدومَه ويأمرهم بالجد في أمرهم، فلما انتهي قيسٌ إلى القادسية أخذه الحصين فبعث به إلى ابن زياد، فقال له ابن زياد: اصعد القصر فسبّ الكذّابَ ابنَ الكذاب الحسين بن علي. فصعد قيسٌ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا الحسين بن علي خيرُ خلقِ الله، ابن فاطمة بنت رسول الله، ﷺ، أنا رسوله إليكم وقد فارقته بالحاجر فأجيبوه؛ ثم لعن ابنَ زياد وأباه واستغفر لعلي. فأمر به ابن زياد فرُمي من أعلى القصر فتقطع فمات»[٣٩٢].

وذكر ابن الأثير الحوار التي دار بين ابن زياد ومسلم بن عقيل:

«فقال له ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يُقتلها أحدٌ في الإسلام! قال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المُثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة ولا أحد من الناس أحق بها منك. فشتمه ابن زياد وشتم الحسين وعلياً وعقيلاً، فلم يكلمه مسلم، ثم أمر به فأصعد فوق القصر لتضرب رقبته ويتبعوا رأسه جسده»[٣٩٣].

وهذه حادثة أخرى ينقلها ابن الأثير في تاريخه، حيث قال: «... فصعد المنبر [يقصد عبيد الله بن زياد] فخطبهم وقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته.

(٣٩٢) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٤١.
(٣٩٣) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٣٥.

فوثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الوالبي... فلما سمع مقالة ابن زياد قال: يا ابن مرجانة! إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه! يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين؟ فقال: عليّ به... فأرسل إليه من أتاه به فقتله وأمر بصلبه في المسجد، فصُلب، رَحِمَهُ اللهُ.

وأمر ابن زياد برأس الحسين فطيف به في الكوفة، وكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام على خشبة في قول، والصحيح أن أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق»[٣٩٤].

فزياد بن أبيه، وابنه عبيد الله، والحجاج تحوطهم الحصانة الأموية لهذا تعامت أبصار الكُتَّاب عن أفعالهم الشنعاء، ولم يحكموا عليهم بما هم له أهل من جور وظلم وتعسف في القول والفعل. فأين الإنصاف؟، وأين أداء الواجب الذي يتحمل أمانته كل كاتب؟

وقال ابن الأثير أيضاً:

«ودعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم خول له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم من شاء، فمن امتنع من ذلك قتله... فقال القرشيان: نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله. فضرب أعناقهما... وأتى بيزيد بن وهب، فقال له: بايع. قال: أبايعك على الكتاب والسنة. قال اقتلوه»[٣٩٥].

هذا الذي نُسب إلى قائد الجحافل الأموية مع سكان مدينة رسول الله ﷺ لم يهز للكُتَّاب شعرة.

(٣٩٤) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٨٢ ـ ٨٣.

(٣٩٥) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ١١٨ ـ ١١٩.

فنقول للكُتّاب: هذه رواية جاءت حسب موازينكم، فما لكم تعاميتم عنها؟، ولم لا تبنون عليها أحكامكم كما فعلتم عند حديثكم عن أهل النهروان والإباضية؟.

صحيح أنكم أيها الكُتّاب أتباع هوى، وحطاب ليل، فلا منهج للحق اتبعتم، ولا لعقولكم ومناهجكم المعوجة احترمتم.

وقال ابن الأثير أيضاً:

«... فقام إليه حجر بن عدي في قيوده فقال له: أبلغ معاوية أن دماءنا عليه حرام، وأخبره أنّا قد أُومنّا وصالحناه وصالحنا، وأنّا لم نقتل أحداً من أهل القبلة فيحل له دماؤنا...

فبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعي، والحصين بن عبد الله الكلابي، وأبا شريف البدي إلى حجر وأصحابه ليقتلوا من أُمروا بقتله منهم...

وقالوا لهم قبل القتل: إنا قد أُمرنا أن **نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له**، فإن فعلتم تركناكم وأن أبيتم قتلناكم. فقالوا: لسنا فاعلي ذلك. فأمر فحُفرت القبور وأحضرت الأكفان وقام حجر وأصحابه يصلون عامة الليل...

... قال الخثعمي: الله الله يا معاوية! فإنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ثم مسؤول عما أردت بسفك دماءنا! **فقال له: ما تقول في علي**؟ قال: أقول فيه قولك. قال أتبرأ من دين علي الذي يدين الله به؟ فسكت... ثم قال لعبد الرحمن بن حسان يا أخا ربيعة **ما تقول في علي**؟ قال: دعني ولا تسألني فهو خير لك. قال: والله لا أدعك. قال: أشهد أنه كان من الذاكرين الله تعالى كثيراً، من الآمرين بالحق والقائمين بالقسط والعافين عن الناس. قال: **فما قولك في عثمان**؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم، وأغلق

أبواب الحق. قال: قتلتَ نفسك! قال: بل إياك قتلتُ؛ ولا ربيعة بالوادي، يعني ليشفعوا فيه، فرده معاوية إلى زياد وأمره أن يقتله شر قتلة، فدفنه حيا»[٣٩٦].

القارئ لهذه الرواية يرى وكأن أحداث محاكم التفتيش التي تعرض لها المسلمون في الأندلس نسخة مطورة من محاكم التفتيش الأموية، ومع هذا فهي لا تهز للكُتَّاب أي شعرة.

ومما ذكره ابن الأثير:

«وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم»[٣٩٧]. وعند ذكره ليعقوب بن إسحاق النحوي المعروف بابن السكيت، قال ابن الأثير: «... وكان سبب موته أنه اتصل بالمتوكل، فقال له: أيّما أحب إليك المعتز والمؤيد، أو الحسن والحسين؟ فتنقص ابنيه، وذكر الحسن والحسين عليهما السلام، بما هما أهل له، فأمر الأتراك فداسوا بطنه، فحُمل إلى داره فمات.»[٣٩٨].

ومما نقله ابن الأثير أيضاً:

«وفيها عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس، وهو كتاب طويل قد أحسن كتابته، إلا أنه قد استُدل فيه بأحاديث كثيرة على وجوب لعنه عن النبي، صلى الله عليه وآله، لا تصح... فقال عبيد الله للقاضي يوسف بن يعقوب ليحتال في منعه عن ذلك، فكلم يوسف المعتضدَ، وحذره اضطراب العامة، فلم يلتفت، فقال: يا أمير المؤمنين! فما

(٣٩٦) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٤٨٤ ـ ٤٨٦.
(٣٩٧) الكامل في التاريخ، ج ٧/ ص ٥٥.
(٣٩٨) الكامل في التاريخ، ج ٧/ ص ٩١.

نصنع بالطالبيين الذين يخرجون من كل ناحيــة، ويميل إليهم خلق كثير من الناس لقرابتهم من رســول الله، ﷺ؟ فإذا سمع الناس ما في هذا الكتاب من إطرائهم كانوا إليهم أمْيل، وكانوا هم أبســط ألسِــنةً وأظهر حجة فيهم اليوم. فأمســك المعتضد، ولم يأمر في الكتاب بعد ذلك بشيء، وكان عبيد الله من المنحرفة عن علي عليه السلام»[٣٩٩].

فهؤلاء الذين يلعنون الناس، ويتخذون المنابر وســيلتهم في ذلك لا هم لهم سوى تفكيك المجتمع المسلم، وجعله شيعاً ولا يلتفتون إلى ما تحدثه قراراتهم المتهورة من مساوئ في المجتمع المسلم.

ولم يكن الدين الحنيف هو المانع للمعتضد عن تطبيق ما عزم عليه من لعن، ولكن حينما أشــير إليه بأن الآخرين قد يركبون المــوج «ويميل إليهم خلق كثير من الناس» مما يعرضه للخسارة، توقف عن إتمام ما أمر به.

فاســتعراض الناس واســتجوابهم فــي الطرقات وفي مجالــس الحكام وسؤالهم عن علي، وعثمان، ومعاوية، وعبد الله بن الزبير، وعن أناس آخرين، إنما هو ديدن أمراء بني أمية وبني العباس ومن سار على نهجهم عبر التاريخ الذي وجدناه في تاريخ ابن الأثير[٤٠٠] وغيره من الكتب.

هذه الروايات، التي نقلناها أعلاه، لا يهمنا منها شيء لأن كل ما فيها من أحداث لا علاقة له بمهمتنا في هذا الوجود، فالله تعالى حسيب كل فرد، ولن يسأل الله أحداً عما اقترفته أيدي الآخرين، فمن التضييع للأوقات البحث عن

---

(٣٩٩) الكامل في التاريخ، ج ٧/ ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦.

(٤٠٠) انظر روايات أخرى ذكرها ابن الأثير وفيها أخبار عن اســتجواب الناس منسوبة إلى أقوام وقف الإباضية ضد أفكارهــم. (الكامل في التاريــخ، ج ٤/ ص ١٩٣، ج ٨/ ص ٢٧٣، ج ٦/ ص ٤٠٦، ج ٥/ ص ٢٢٤، ج ٥/ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠، ج ٣/ ص ٤٧٢، ج ٥/ ص ٥٤٠ ـ ٥٤١، ج ٨/ ص ٥٤٢ ـ ٥٤٣، ج ٣/ ص ٤١٤، ج ٣/ ص ٣٣٣، ج ٣/ ص ٤١٣ ـ ٤١٤، ج ٣/ ص ٤٠٥).

صدق هذه الروايات أو كذبها إن كان القصد هو إثبات ما لا فائدة من إثباته، أو نفي ما لا جدوى من نفيه.

ونقول للكُتَّاب: إن كانت قد استهوتكم تلك الروايات الباطلة التي ذكر فيها عبد الله بن خباب، لحاجة في نفوسكم، فإنه من الأولى أن تستهويكم هذه الروايات، إذا رأيتم في ذلك منفعة لكم، لأن فيها من الوقائع ما هو شبيه بما في تلك الروايات الضعيفة التي تراقصتم حولها.

فقد جاء عند الإمام الطبري[٤٠١]: «حدثني عمر[٤٠٢]، قال حدثني موسى بن إسماعيل[٤٠٣]، قال حدثني سليمان بن مسلم العجلي[٤٠٤] قال سمعت أبي[٤٠٥] يقول: مررت بالمسجد، فجاء رجل إلى سمرة[٤٠٦] فأدى زكاة

---

(٤٠١) تاريخ الطبري، ج ٣/ ص ٢٤٠.

(٤٠٢) **عمر بن شبة بن عبيدة بن زيد بن رائطة النميري** «قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبي وهو صدوق... قال الدارقطني: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: مستقيم الحديث... وقال الخطيب: كان ثقة عالما بالسير وأيام الناس وله تصانيف كثيرة...
قلت [ابن حجر]: وقال المرزباني في معجم الشعراء عمر بن شبة أديب فقيه واسع الرواية صدوق ثقة. وقال مسلمة: ثقة أنبأ عنه المهرواني، وقال محمد بن سهل راويته: كان أكثر الناس حديثا وخبرا وكان صدوقا ذكيا نزل بغداد عند خراب البصرة...». (تهذيب التهذيب، ت: ٥١٠٣، ج ٧/ ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠).

(٤٠٣) «**موسى بن إسماعيل المنقري... أبو سلمة التبوذكي**... ثقة ثبت...». (تقريب التهذيب، ت: ٦٩٦٩، ج ٢/ ص ٢٢٠).

(٤٠٤) **سليمان بن مسلم أبو المعلى العجلي** ذكره البخاري في التاريخ الكبير (ت: ١٨٨٤، ج ٤/ ص ٣٧) وابن حبان في الثقات (ج ٦/ ص ٣٩٣) يروى عن الشعبي وأبيه روى عنه التبوذكي.

(٤٠٥) **مسلم العجلي** ذكره البخاري في التاريخ الكبير (ت: ١١٣٨، ج ٧/ ص ٢٦٩) وابن حبان في الثقات (ج ٥/ ص ٣٩٨) يروى عن سمرة بن جندب روى عنه ابنه سليمان بن مسلم.

(٤٠٦) **سمرة بن جندب بن هلال بن حريج** بن مرة بن حزن بن عمرو بن جابر بن خشين بن لأي بن عصيم ابن شمخ بن فزارة صحب النبي ﷺ وغزا معه ولـه حلف في الأنصار، =

ماله، ثم دخل فجعل يصلي في المسجد، فجاء رجل فضرب عنقه، فإذا رأسه في المسجد، وبدنه ناحية، فمر أبو بكرة، فقال: يقول الله سبحانه ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ قال أبي: فشهدت ذاك، فما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير، فمات شر ميتة، قال: وشهدته وأُتيَ بناسٍ كثير وأناس بين يديه فيقول للرجل: ما دينك؟ فيقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله وأني بريء من الحرورية، فيقدم فيضرب عنقه حتى مرّ بضعة وعشرون».

ونقل الطبري أيضاً[٤٠٧]: «حدثني عمر قال: حدثني موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا نوح بن قيس[٤٠٨]، عن أشعث الحداني[٤٠٩]، عن أبي سوار

= وكانت أمه عند مري بن سنان عم أبي سعيد الخدري فيرون أن سمرة فيمن شهد أحدا ونزل البصرة بعد ذلك فاختط بها ثم أتى الكوفة فأشترى بها دورا في بني أسد بالكناسة فبناها فنزلها ومات بها، وله بقية وعقب، وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة وكان زياد يستعمله على البصرة إذا خرج إلى الكوفة.

... لما مرض سمرة بن جندب مرضه الذي مات فيه أصابه برد شديد فأوقدت له نار فجعل كانوا بين يديه وكانوا خلفه وكانوا عن يمينه وكانوا عن يساره... فجعل لا ينتفع بذلك ويقول كيف أصنع بما في جوفي فلم يزل كذلك حتى مات» (الطبقات الكبرى، ت: ٢٨٨٧، ج ٧/ ص ٣٥).

(٤٠٧) تاريخ الطبري، ج ٣/ ص ٢٠٨.

(٤٠٨) **نوح بن قيس الحداني الطاحى وهو ابن قيس بن رباح** روى عن تميم بن حويص وأشعث الحداني... نا عبد الرحمن أنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل فيما كتب إلي قال قال أبي: نوح بن قيس ثقة ذكره أبي، عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين انه قال نوح بن قيس صالح. نا عبد الرحمن أنا يعقوب بن إسحاق فيما كتب إلي قال نا عثمان بن سعيد قال سألت يحيى بن معين عن نوح بن قيس فقال: ثقة (كتاب الجرح والتعديل، ت: ٢٢٠٩، ج ٨/ ص ٤٨٣).

(٤٠٩) «**أشعث بن عبد الله بن جابر الحداني**... أنا بن أبي خيثمة فيما كتب إلي قال سمعت يحيى بن معين يقول: أشعث بن جابر الحداني ثقة بصير. حدثنا عبد الرحمن أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل فيما كتب إلي قال أبي: أشعث بن جابر الحداني لا بأس به. =

العدوي[٤١٠]، قال: قتل سمرة من قومي في غداةٍ سبعة وأربعين رجلًا قد جمع القرآن».

وقال ابن سعد[٤١١]: «أخبرنا وهب بن جرير بن حازم[٤١٢] قال حدثني أبي[٤١٣] قال سمعت الفضل بن سويد[٤١٤] يحدث وكان في حجر الحجاج وكان أبوه أوصى إلى الحجاج قال بعثني الحجاج في حاجة فقيل قد جيء بسعيد بن جبير فرجعت لأنظر ما يصنع به فقمت على رأس الحجاج فقال له الحجاج يا سعيد ألم أستعملك ألم أشركك في أمانتي؟ قال بلى قال حتى

= سألت أبي عن أشعث الحداني فقال شيخ». (كتاب الجرح والتعديل، ت: ٩٨٤، ج ٢/ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤). وقال ابن حجر: «صدوق» (تقريب التهذيب، ت: ٥٢٨، ج ١/ ص ١٠٥ ـ ١٠٦).

(٤١٠) «**أبو السوار العدوي البصري قيل اسمه حسان بن حريث وقيل حريث بن حسان**... قال محمد بن سعد أبو السوار العدوي من بني عدي بن زيد مناة بن طابخة بن إلياس بن مضر وكان ثقة وقال أبو عبيد الآجري سئل أبو داود عن أبي السوار العدوي فقال من ثقات الناس روى له البخاري ومسلم والنسائي» (تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت: ٨٠١٤، ج ٨/ ص ٣٣٠).

(٤١١) الطبقات الكبرى، ج ٦/ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥. وأيضاً تاريخ الطبري ج ٤/ ص ٢٤.

(٤١٢) **وهب بن جرير بن حازم بن زيد أبو عبد الله الأزدي البصري** ثقة من التاسعة مات سنة ست ومائتين (تقريب التهذيب، ت: ٧٤٩٩، ج ٢/ ص ٢٩١).

(٤١٣) **جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله الأزدي أبو النضر البصري** والد وهب ثقة لكن في حديثه عن قتادة ضعف وله أوهام إذا حدث من حفظه وهو من السادسة مات سنة سبعين بعد ما اختلط لكن لم يحدث في حال اختلاطه (تقريب التهذيب، ت: ٩١٣، ج ١/ ص ١٥٨). ونقل ابن حجر في التهذيب: «... عن ابن مهدي: جرير بن حازم اختلط، وكان له أولاد أصحاب حديث، فلما أحسُّوا ذلك منه حجبوه، فلم يسمع أحد منه في حال اختلاطه شيئاً». (تهذيب التهذيب، ت: ٩٦٥، ج ٢/ ص ٦٤).

(٤١٤) «**الفضل بن سويد** روى عن سعيد بن جبير... قال أبو حاتم ليس بالمشهور ولا أرى بحديثه بأسا وذكره ابن حبان في كتاب الثقات روى له أبو داود في كتاب القدر حديثا واحدا». (تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت: ٥٣٢٤، ج ٦/ ص ٣٧).

ظننا أنه سيخلي سبيله قال فما حملك على أن خرجت علي قال عزم علي قال فطار الحجاج شقتين غضبا قال هيه أفرأيت لعزيمة عدو الرحمن عليك حقا ولم تر لله ولا لأمير المؤمنين عليك حقا اضربا عنقه فضربت عنقه».

فأين الدكتور أحمد عوض عن هذه الروايات المنسوبة إلى سمرة بن جندب والحجاج الثقفي وهي أرقى من تلك الروايات الباطلة المتهافتة المنسوبة إلى أهل النهروان الكرام؟، والتي اعتمد عليها ليقول: «لا يكاد الباحث يجد سبباً حقيقياً جديراً بأن يدفع الخوارج[٤١٥] إلى إراقة الدماء التي أراقوها، وإزهاق الأرواح التي أزهقوها، وإلى سلب أموال المسلمين وقتل نسائهم وأطفالهم...»[٤١٦].

فنقول للدكتور كان ينبغي لك أن تثبت التهمة أولاً ثم بعد ذلك أقبل بكلامك هذا، فهذا الكلام أحق به جنود بني أمية وليس أهل النهروان الكرام. وكان ينبغي لك أن تقول: «لا يكاد الباحث يجد سبباً حقيقياً جديراً بأن يدفع» جنود بني أمية «إلى إراقة الدماء التي أراقوها، وإزهاق الأرواح التي أزهقوها، وإلى سلب أموال المسلمين وقتل نسائهم وأطفالهم...».

أما كان من الأجدر بالدكتور أحمد عوض أن يسأل عن الأسباب التي دعت جنود بني أمية إلى سفك الدماء وسلب الأموال؟

من الروايات التي ذكرت أعلاه يتبين لكل منصف أن الذين اتُهموا باستجواب عبد الله بن خباب وقتله هم أناس ليس لهم صلة بفكر أهل النهروان، بل هم قوم قد طردهم[٤١٧] أهل النهروان من صفوفهم بسبب

(٤١٥) كما هو واضح من سياق الكلام في كتاب الدكتور أحمد عوض فإنه يقصد بـ(الخوارج) هنا أهل النهروان الكرام.

(٤١٦) الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص٤٥.

(٤١٧) أثبتنا طرد أهل النهروان للقوم الذي استعرضوا الناس في الطرقات في كتابنا (**الإباضية** =

أعمالهم الشنيعة المنكرة، وبهذا فلا حجة للكُتَّاب في اتهامهم لأهل النهروان باستجواب الناس على الهوية وقتلهم في الطرقات.

ويتبين لنا جميعاً، من خلال الروايات السابقة، أن الذين لهم القدح المعلى، والسهم الفائز، والحظ الأوفر في استجواب الناس وقتلهم على انتماءاتهم السياسية هم قادة وساسة وكبار المسؤولين من الجبابرة في دولة بني أمية وبني العباس.

وقد سجل الكُتَّاب دورَ أصحاب السياسة في تأليب العامة على من عاداهم ووقف ضد سياساتهم، خدمة لمآربهم الذاتية وتعزيزاً لصولات جحافلهم، فقد جاء في كتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) ما نصه: «بعث هشام بن عبد الملك إلى الأعمش أن اكتب لي مناقب عثمان **ومساوي علي**، فأخذ القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكتها وقال لرسوله: قل له هذا جوابك، فقال له الرسول: إنه قد آلى أن يقتلني إن لم آته بجوابك، وتحمّل عليه بإخوانه، فقالوا: يا أبا محمد خلّصه من القتل، فلما ألحوا عليه، كتب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير المؤمنين، فلو كانت لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعتك، ولو كانت لعلي مساوي أهل الأرض ما ضرّتك، فعليك بخويصة نفسك»[٤١٨].

= **ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**)، انظر القسم الأول من الفصل الخامس من الكتاب المذكور.

وقال الدكتور الشيخ السابعي: «وبهذا يتبين أنه حتى الجماعة التي أقبلت من البصرة لم يرتضِ أكثرها عمل مسعر، وعليه فإن الاستعراض الذي نتج عنه مقتل ابن خباب وزوجته وبعض النسوة ورسول علي كان من عمل مسعر ولا علاقة لأهل النهروان به، خاصة بعد أن طردوه وبعد أن استأمن إلى علي فأمنه لأنه كان (يقطع الطريق وسيتحل الفروج)» (الخوارج والحقيقة الغائبة، ص١٣٢).

(٤١٨) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٥/ص٦٤٨، وانظر كذلك (وفيات الأعيان، ج٢/ص٤٠٢).

من هذا النص، وغيره من النصوص التي ذكرناها أعلاه، يتبين دور الساسة في تأليب الجماهير على الأبرياء، ومحاولتهم الدؤوبة لتجنيد الأقلام والأفواه في بث الدعايات الباطلة في أوساط المجتمعات المسلمة.

فهل سينتبه الدكتور هاني سليمان الطعيمات وغيره لهذه الحقائق، أم أنه سيبقى عالة على الضعفاء من الرواة ولسان دعاية لأهل الجور والجبروت؟

(ج)

كُتَّاب التاريخ ينسبون مجاهيل من الناس إلى أهل النهروان

والمتصفح لكتب التاريخ يجدها محشوة بأسماء رجال لا تعرف أصولهم الفكرية، ولم ينسب الكُتَّاب لكثير منهم أية حادثة تبرر وسمهم بالخروج على تعاليم الإسلام.

والروايات المنسوبة إلى الخوارج جاء فيها أسماء رجال مجهولين؛ لا ذكر لهم إلا في تلك الروايات. والكُتَّاب على مدى القرون الماضية وإلى هذا الوقت، جعلوا أولئك المجاهيل ممن وصفوهم بالخوارج خلفاً لأهل النهروان!!

وما محاولة إلصاق المجهولين بأهل النهروان ونسبة المخالفات الشرعية إليهم، إلا إشاعة أريد منها بث الوهن والتشكيك في مواقفهم، والتقليل من شأنهم في أوساط من رأى سلامة مواقفهم. ولقد ثبت لدى كل عاقل أن «الإشاعة لا تثبت أي شيء، بل تؤدي عملها فقط إذا استطاعت أن تخلق جواً

من عدم الثقة»[٤١٩]. والمتتبع لما نسب إلى أهل النهروان من أباطيل يجدها ضمن «حرب هجومية يخوضها جيش بأسلحة فكرية وعاطفية»[٤٢٠].

فها هو ابن الأثير يذكر في موسوعته التاريخية أسماء رجال وعَدَّهم من الخوارج ولم ينسب لكثير منهم أي عمل استحقوا به صفة الخارجية.

فممن ذكرهم ابن الأثير في كامله: بلال الغساني[٤٢١]، وحمزة بن مالك الخزاعي[٤٢٢]، وعمرو اليشكري[٤٢٣]، والبختري صاحب الأشهب[٤٢٤]، وأبان بن قحطبة الخارجي[٤٢٥]، وأبو عمرو الشاري[٤٢٦]، ويوسف البرم[٤٢٧]، وعبد السلام الخارجي[٤٢٨]، ومحمد بن عمرو[٤٢٩]، ومساور بن عبد الحميد الموصلي الخارجي[٤٣٠]، وحلي بن يحيى الخارجي[٤٣١]، وهارون الخارجي[٤٣٢]، وابن مطر ومحمد بن صالح[٤٣٣]، وشوذب الخارجي[٤٣٤]،

(٤١٩) محددات الإشاعة في السلم والحرب، ص١٣٦، نقلًا عن معتز سيد عبد الله: الحرب النفسية والشائعات، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٧م، ١٩٢).

(٤٢٠) محددات الإشاعة في السلم والحرب، ص١١٥ نقلًا عن أحمد بدر، الإعلام الدولي دراسات في الاتصال والدعاية الدولية، مكتبة غريب، القاهرة، ص٢٩٢).

(٤٢١) الكامل في التاريخ، ج٦/ ص٤١٥.

(٤٢٢) الكامل في التاريخ، ج٦/ ص٩٥.

(٤٢٣) الكامل في التاريخ، ج٥/ ص٢١٢.

(٤٢٤) الكامل في التاريخ، ج٥/ ص٢١٢.

(٤٢٥) الكامل في التاريخ، ج٦/ ص١٦٨.

(٤٢٦) الكامل في التاريخ، ج٦/ ص١٦٦.

(٤٢٧) الكامل في التاريخ، ج٦/ ص٤٣.

(٤٢٨) الكامل في التاريخ، ج٦/ ص٤٨.

(٤٢٩) الكامل في التاريخ، ج٧/ ص١٢٠.

(٤٣٠) الكامل في التاريخ، ج٧/ ص١٧٩.

(٤٣١) الكامل في التاريخ، ج٧/ ٢٩٨.

(٤٣٢) الكامل في التاريخ، ج٧/ ص٤١٩.

(٤٣٣) الكامل في التاريخ، ج٨/ ص٢١٤.

(٤٣٤) الكامل في التاريخ، ج٥/ ص٦٨.

وزياد بن خراش العجلي[٤٣٥]، وشبيب الخارجي[٤٣٦]، ومعين الخارجي[٤٣٧]، وأبا مريم[٤٣٨]، وأشرس بن عوف الشيباني[٤٣٩]، وهلال بن علقمة[٤٤٠]، والأشهب بن بشر[٤٤١]، وسعيد بن قفل التيمي[٤٤٢]، وأبا مريم السعدي التميمي[٤٤٣]، وياسين من بني تميم[٤٤٤]، وثروان بن سيف[٤٤٥]، وسيف بن بكير[٤٤٦]، وصالح بن مسرح الخارجي[٤٤٧]، والصحصح الخارجي[٤٤٨]، والفضل بن سعيد الحروري[٤٤٩]، وحصين الخارجي[٤٥٠]، وحمزة بن اترك السجستاني[٤٥١]، والموفق الخارجي[٤٥٢]، وأبا النداء[٤٥٣]، وخارجي من بجيلة اسمه صالح بن محمود[٤٥٤]، وإنسان من الخوارج اسمه عبيدة من بني

(٤٣٥) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٤٩١.
(٤٣٦) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٣٩٦.
(٤٣٧) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٤١٢.
(٤٣٨) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٤١٢.
(٤٣٩) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٣٧٢.
(٤٤٠) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٣٧٢.
(٤٤١) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٣٧٢.
(٤٤٢) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٣٧٣.
(٤٤٣) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٥١٦.
(٤٤٤) الكامل في التاريخ، ج ٦/ ص ٧٨.
(٤٤٥) الكامل في التاريخ، ج ٦/ ص ٢٠٥.
(٤٤٦) الكامل في التاريخ، ج ٦/ ص ١٩٧.
(٤٤٧) الكامل في التاريخ، ج ٦/ ص ٧٨.
(٤٤٨) الكامل في التاريخ، ج ٦/ ص ١١٢.
(٤٤٩) الكامل في التاريخ، ج ٦/ ص ١١٥.
(٤٥٠) الكامل في التاريخ، ج ٦/ ص ١٢٤.
(٤٥١) الكامل في التاريخ، ج ٦/ ص ١٤٧.
(٤٥٢) الكامل في التاريخ، ج ٧/ ص ١٦٣.
(٤٥٣) الكامل في التاريخ، ج ٦/ ص ٢٠٥.
(٤٥٤) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٢٢٠.

العمـــروي[٤٥٥]. وغيرهم الكثيـــر الكثير مـــن الذين لا يعرفـــون، ولم تعرف مبادئهم، هذا إن كان لهم وجود في هذه الدنيا.

ولم يقف الكُتَّاب عند ذكر أسماء مجهولة، بل تعدى بهم الحال إلى أن ذكروا أناساً ووصفوهم بالخوارج، ولم يذكروا لهم اسماً ولا نسباً، فقد قال ابن الأثير:

ـ «وفيها ظهر بسجستان **خارجي**، وسار في جمع إلى بلاد فارس يريد التغلب عليها، فقتله أصحابه قبل الوصول إليها، وتفرقوا»[٤٥٦]. فمن هو هذا الخارجي؟

ـ «وفيها حَكَّـــم رجل من **الخوارج** بمنى وســـل ســـيفه، وكانوا جماعة، فأمسك الله أيديهم فقُتل ذلك الرجل عند الجمرة»[٤٥٧]. ومن هو هذا الخارجي الذي سل سيفه بمنى؟

ـ «وفيها ورد الخبر إلى بغداد، ورســـول من عامل برقة... بخبر **خارجي خرج عليهم**، وأنهم ظفروا به وبعسكره، وقتلوا منهم خلقا كثيرا...»[٤٥٨].

ـ «... وأوقع **الخوارج** بخراسان بأهل قرية الحمراء من نيسابور، **فأكثروا فيهم القتل**»[٤٥٩]. فمن هم هؤلاء الخوارج؟.

ـ «فتعاقد سبعة عشـــر رجلاً من بني عوف على الطلب بدم بُكَيْر، فخرج فتى منهم يُقال له شـــمردل من البادية حتى قدم خراســـان فرأى بَحيراً واقفا فحمل عليه، فطعنه فصرعه وظن أنه قد قتله **فقال الناس: خارجي**، وراكضهم، فعثر به فرسُه فسقط عنه فقُتل»[٤٦٠]، حتى المجاهيل نسبوهم إلى الخوارج!!.

---

(٤٥٥) الكامل في التاريخ، ج ٧/ ٢٢٦.
(٤٥٦) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ١٩٨.
(٤٥٧) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥.
(٤٥٨) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٧٤.
(٤٥٩) الكامل في التاريخ، ج ٦/ ص ٤١٤.
(٤٦٠) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٤٥٨.

ـ «وفي هذه السنة **خرج خارجي من البربر** بناحية مورور، من الأندلس، ومعه جماعة»[٤٦١]. من هو هذا الخارجي؟.

ولم يقتصر الكُتَّاب على ذكر رجال مجهولين في المحيط الإسلامي، بل أضافوا إلى قائمة الخوارج رجالاً ظهرت جرائمهم في ساحات الملل الكافرة، فقد نقل ابن الأثير:

ـ «ثم إن كيكاووس بعد هـذه الحادثة تمزق ملكه وكثرت **الخوارج** عليه فصاروا يغزونه، فيظفر مرة ويظفرون أخرى»[٤٦٢].

ـ «... فخرج اسم قسطنطين، فملّكوه... فخرج عليه فيها **خارجيٌّ** من الروم اسمه أرميناس... فأهم قسطنطين أمره، وسيَّره إليه جيشاً كثيفاً، فظفروا **بالخارجي** وقتلوه، وحملوا رأسه إلى القسطنطينية...»[٤٦٣].

ـ «ظهر ببلاد الصين **إنسان لا يُعرف**، فجمع جمعاً كثيراً من أهل الفساد والعامة... فأغار على البلاد وأخربها، ونزل على مدينة خانقوا... وبذل السيف، فقتل منهم ما لا يحصى كثرة... ثم انهزم الملك، وتبعه **الخارجي**... واستولى **الخارجي** على أكثر البلاد والخزائن،... فأخرب البلاد، ونهب الأموال، وسفك الدماء...»[٤٦٤].

فهؤلاء الذين وصفوا بالخوارج هنا ـ سواء من ذكر اسمه أو لم يذكر اسمه ـ لا علاقة لهم بفكر أهل النهروان الكرام البتة؛ فأهل النهروان ومن سار على نهجهم عبر التاريخ لم تزايل أقدامهم خطى الرسول ﷺ وخطى الصحابة الكرام.

(٤٦١) الكامل في التاريخ، ج٦/ ص٣١٨.
(٤٦٢) الكامل في التاريخ، ج١/ ص٢٤٧.
(٤٦٣) الكامل في التاريخ، ج٩/ ص٥٠٠.
(٤٦٤) الكامل في التاريخ، ج٧/ ص٣١٩.

ولقد ناقش كثير من الكُتَّاب المدلول الاصطلاحي لكلمة (الخوارج) حسب ورودها في كتب التاريخ والحديث وأشعار الناس، وبين كل كاتب ما يراه المعنى المناسب لهذا الاصطلاح، ولمزيد من الإيضاح حول دلالة كلمة (الخوارج) عليك أيها القارئ الكريم بكتاب (**الخوارج والحقيقة الغائبة**)[٤٦٥] للدكتور الشيخ ناصر السابعي.

ومهما يكن من تعدد في مدلولات هذه الكلمة، فإن مدلول (الخوارج) الذي يسعى به جميع الكُتَّاب، الذين تطاولوا على أهل النهروان والإباضية، ينطبق على من يعيث في الأرض[٤٦٦] فساداً، ومن يحرق وينهب ويقتل الأطفال ويأخذ النساء[٤٦٧]، ومن يقتل ويمثل وينهب ليرعب قلوب الناس[٤٦٨]، ومن يقتل الرجال ويسبي النساء ويشق فروج النساء ويبقر بطونهن[٤٦٩]، ومن

---

(٤٦٥) الخوارج والحقيقة الغائبة، ص١٤٤ ـ ١٦١، حيث ناقش الدكتور الشيخ ناصر السابعي مصطلح (الخوارج) من ناحية النشأة التاريخية، ومن جانب النواحي الصرفية، واللغوية، والاصطلاحية.

(٤٦٦) قال ابن الأثير: «خرج الوليد بن طريف التغلبي بالجزيرة... ثم سار إلى أذربيجان، ثم إلى حلوان وأرض السواد، ثم عبر إلى غرب دجلة، وقصد مدينة بَلَدَ، فافتدوا منه بمائة ألف **وعاث في أرض الجزيرة**» (الكامل في التاريخ، ج٦/ ص١٤١).

(٤٦٧) قال ابن الأثير: «... ودخل أبو يزيد باجة **فأحرقها ونهبها، وقتلوا الأطفال، وأخذوا النساء...**» (الكامل في التاريخ، ج٨/ ص٤٢٣).

(٤٦٨) قال ابن الأثير: «... وبلغ الخبر إلى أبي يزيد، فسير إليهم طائفة من عسكره، **وأمر مقدمهم أن يقتل، ويمثل، وينهب، ليرعب قلوب الناس، ففعل ذلك...**» (الكامل في التاريخ، ج٨/ ص٤٢٤)، وقال أيضاً: «... وكان البربر يأتون إلى أبي يزيد من كل ناحية، **وينهبون، ويقتلون، ويرجعون إلى منازلهم...**» (الكامل في التاريخ، ج٨/ ص٤٢٩).

(٤٦٩) قال ابن الأثير: «... وأرسل سرية إلى سُوسة ففتحوها بالسيف، **وقتلوا الرجال، وسبوا النساء، وأحرقوها، وشقوا فروج النساء، وبقروا البطون**، حتى لم يبق في أفريقية موضع معمور ولا سقف مرفوع، ومضى جميع من بقي إلى القيروان حفاة عراة، ومن تخلص من السبي مات جوعاً وعطشاً. وفي آخر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة أمر =

يقطع الطرق ويفسد في الأرض[٤٧٠]، ومن يقتل ويجمع الأموال[٤٧١]، ومن يأخذ الأبكار ويفتضهن في المساجد[٤٧٢].

ويلخص الدكتور محمد بن موسى الشريف صنائع الخوارج بقوله: «كان الخوارج يقدمون على سفك الدماء على وجه عجيب لا يراعون فيه حرمة

= القائم بحفر الخنادق حول أرباض المهدية، وكتب زيري بن مناد، سيد صنهاجة، وإلى سادات كتامة والقبائل يحثهم على الاجتماع بالمهدية **وقتال النكار** فتأهبوا للمسير إلى القائم» (الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٤٢٦). وقال أيضاً: «... فلما اجتمعت عساكر أبي يزيد أرسل الجيوش... إلى تونس، فدخلوها بالسيف في العشرين من صفر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة **فنهبوا جميع ما فيها، وسبوا النساء والأطفال، وقتلوا الرجال، وهدموا المساجد**، ونجا كثير من الناس إلى البحر فغرق» (الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٤٣١). ونقل ابن كثير أيضاً ما نصه: «وفيها خرجت الخوارج من الصفرية وغيرهم ببلاد إفريقية... فقاتلوا نائب إفريقية فهزموا جيشه وقتلوه... وأكثرت الخوارج الفساد في البلاد، وقتلوا الحريم والأولاد» (البداية والنهاية، م٥، ج ١٠/ ص ١١٣).

(٤٧٠) قال ابن الأثير: «... وخرج أيضا فضل بن أبي يزيد، **وأفسد وقطع الطريق**، فغدر به بعض أصحابه وقتله...» (الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٤٤١) ونقل ابن الأثير أيضاً: «فشنوا الغارة على أهل المدائن **يقتلون الرجال والنساء والولدان ويشقون أجواف الحبالى... وأفسد الخوارج في الأرض**. (الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٢٨٣)، وقال أيضاً: «وقُتل من الخوارج إنسان اسمه جعفر، وهو من أعيان أصحاب هارون، فعظم عليه قتله، **وأمر أصحابه بالإفساد في البلاد** (الكامل في التاريخ، ج ٧/ ص ٤٧٠).

(٤٧١) قال ابن الأثير: «وخلت خراسان لحمزة الخارجي، حتى دخلها، **وصار يقتل، ويجمع الأموال**، ويحملها إليها عُمّال هَراة وسجستان» (الكامل في التاريخ، ج ٦/ ص ٢٠٩). وقال أيضاً: «خرج بأرض الموصل خارجيٌ اسمه الأغر بن مطر التغلبي... وقصد كفرتوثا وقد اجتمع معه نحو ألفي رجل، **فدخلها ونهبها وقتل فيها**» (الكامل في التاريخ، ج ٨/ ٢٢١).

(٤٧٢) قال ابن الأثير: «وفيها خرج علي بن مساور الخارجي... فسار إلى أذرمة، فحاربه أهلها، فظفر بهم، **فدخلها بالسيف، وأخذ جارية بكراً فجعلها فيئاً واقتضها في المسجد...**» (الكامل في التاريخ، ج ٧/ ص ٢٤٩).

سابقة لأحد، ونتج عن صنيعهم هذا مقتل عشرات الآلاف من المسلمين على مدار تاريخهم منهم سادة كرام نجباء...»[٤٧٣].

هذه هي جملة مما نُعت به (الخوارج)، وهي صفات برئت منها ساحة أهل النهروان، ولم يقم دليل صادق واحد يرتضيه منهج الإسلام ويثبت نسبة هذه القضايا إلى أهل النهروان، أصحاب عبد الله بن وهب الراسبي. وما نسب إلى أصحاب عبد الله بن وهب الراسبي من أفعال تستنكرها الشرائع السماوية، وترفضها الفطر السليمة من قتل ومثلة إنما هي أكاذيب لا أصل لها، وكل الروايات التي جاءت بها ضعيفة في ميزان الإسلام، والذين نشروها واحتجوا بها إنما هم «يحتطبون الأخبار بأهوائهم»، وما قاموا به إنما هو «عمل غير علمي ولا دقيق، بل عمل حاطب ليل وسائس خيل لا عمل أساتذة التاريخ المحققين». وما سطرته أيديهم يبرهن بأصدق لسان أنهم «كالخابط في ظلماء الليالي».

فالعار يلحق من عرف منهج الإسلام في تقييم الأخبار، ثم هو لا يلتفت إلى المنهج السليم ويقبل بكل كيانه على روايات باطلة، ويتخذها وسيلته السهلة لكي يلصق مجرمي التاريخ وأعمالهم بأهل النهروان الطهر الميامين.

فأقول لهؤلاء الكُتَّاب: لقد تجاهلتم مناهج الإسلام في دراسة الأخبار فكانت نتيجة كتاباتكم نسبة الباطل إلى أهل النهروان والإباضية، ولو قَدَّرْتُم ما ينبغي لكم فعله حق قدره لما تلطخت ألسنتكم بذكر الأباطيل، ولأرحتم أنفسكم من تبعات الكذب في الدنيا والآخرة.

(٤٧٣) من مآسي الافتراق، ص٢٩.

(د)

كُتَّاب التاريخ والجرائم التي ارتكبها الذين حاربهم الفكر الإباضي

تلك الجرائم التي نسبها كُتَّاب التاريخ لمن قالوا عنهم خوارج، هم أنفسهم ـ أي الكُتَّاب ـ من سطر أشنع منها ونسبوها إلى أناس آخرين ولكنهم لم يحشروهم في زمرة الخوارج.

وأستسمحك أخي القارئ الكريم في عرض هذه الأحداث المؤلمة التي نقلها ابن الأثير وغيره، لأن من محاور هذا البحث هو بيان أن هناك خرقاً واضحاً للعدالة التي ينشدها الإسلام من قِبَل كُتَّاب التاريخ، وبيان أن هناك اعتداءً على مناهج الإسلام في كتابة التاريخ من قِبَل كثير من الكُتَّاب.

ومن محاور هذا البحث أيضاً مطالبة كل فرد تعرض للحديث عن تاريخ أمة الإسلام العدالة في الحكم، وعدم بخس الناس أشياءهم، وأن يضع الرجال في المنازل التي وضعهم الإسلام فيها.

وأنا حينما أضع هذه الأحداث أمام ناظريك فإني أرجو منك أخذ الملاحظات الآتية بعين الاعتبار:

١ ـ لن تنفع من غبر من البشر مدائح الحاضرين إذا كانت سيرهم لا تقربهم إلى الله، ولن يضر من مضى من الناس شتائم الحاضرين إن كانوا أقدموا على الله بقلوب طاهرة وأعمال زاكية.

٢ ـ قضيتنا في هذا البحث ليس لها علاقة بالرجال الذين نُسبت إليهم أو عليهم تلك الأحداث، فذكر أسمائهم جاء عرضاً في وسط سطور الأخبار، لهذا فإني أدعو القارئ إلى النظر في الأحداث التي أمامه وألا يحمل تبعات

تلك الأحداث إلى من نُسبت إليهم؛ فلا تهمنا تفاصيل أحداث وقعت قبلنا بقرون، ولن نسأل نحن عنها ولو عرفنا تفاصيلها.

٣ ـ حسبي من هذه النقولات إقامة الحجة على الكُتَّاب الذين ينقلون الأخبار الباطلة وينسبونها إلى الأبرياء، في وقت لا نسمع لهؤلاء الكُتَّاب همسا حينما تُنسب نفس الأعمال، أو أفظع منها، إلى جنود بني أمية وبني العباس وغيرهم.

وإليكم هذه الأحداث وفيها الدلالة الواضحة أن الذين وقفوا موقف العداء للإباضية لم يتبعوا منهاج الإسلام في تقييم الرجال.

١ ـ جرائم الجيش الأموي في مدينة رسول الله ﷺ:

قال ابن الأثير:

«وأباح مسلم المدينة ثلاثا[٤٧٤] يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال، فأفزع ذلك من بها من الصحابة... ودعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم خول له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم من شاء، فمَن امتنع من ذلك قتله...»[٤٧٥].

«فلما قدم المدينة أقام بها شهراً أو شهرين **فأساء إلى أهلها** واستخف بهم وقال: أنتم قتلة أمير المؤمنين عثمان، وختم أيدي جماعة من الصحابة

(٤٧٤) وذكر ابن الأثير وصية يزيد بن معاوية لقائده مسلم بن عقبة المري حينما وجهه لحرب أهل مدينة رسول الله ﷺ: «وسار الجيش وعليهم مسلم، فقال له يزيد: إن حدث بك حدث فاستخلف الحصين بن نمير السكوني، وقال له: ادع القوم ثلاثا، فإن أجابوك وإلا فقاتلهم، **فإذا ظهرتَ عليهم فانهبها ثلاثا**، فكل ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس». (الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ١١٢ ـ ١١٣).

(٤٧٥) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ١١٧ ـ ١١٨.

بالرصاص استخفافا بهم كما يُفعل بأهل الذمة، منهم جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وسهل بن سعد...»[٤٧٦].

أخي القارئ الكريم:

أتدري أي جيش هذا الذي استباح مدينة رسول الله ﷺ فقتل الناس ونهب الأموال وأفزع الصحابة؟

أتدري أي جيش هذا الذي أساء إلى أهل المدينة وختم على أيدي الصحابة بالرصاص؟

إنه جيش بني أمية ـ حسب ما تناقلته كتب التاريخ ـ الذي كان عليه مسلم بن عقبة المري.

هذه الجرائم وغيرها التي سجلها الكُتَّاب لذلك الجيش العربيد لم تصل بمرتكبيها في أنظار كُتَّاب التاريخ إلى حضيض الخوارج وإن أتوا بأعمال التتار التي ارتكبوها في ديار الإسلام.

فسؤالنا للكُتَّاب: لماذا لا نجد أفراد هذا الجيش في قائمتكم التي سجلتم فيها أسماء من قلتم إنهم خوارج؟ أليس استحلال مدينة رسول الله ﷺ كبيرة من كبائر جرائم الحروب؟ إنها الأهواء حينما تخالط قلوب الناس، فتنقلب الموازين وتتعطل الأحكام في حق من يستحقها.

لقد عُرِّفَت جرائم الحرب بأنها: «مخالفة الشرع وما يتفق معه من قوانين وأعراف الحرب وتقاليدها التي تشمل كل الأفعال المحرمة من القتل والتعذيب والإكراه وسوء المعاملة والاعتقال في المعسكرات والأعمال الشاقة، التي تنال من السكان المدنيين التابعين لدولة الأعداء أو المقيمين

(٤٧٦) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

فيها، وأفعال القتل أو الإساءة والتعذيب لأسرى الحرب وقتل الرهائن وسلب الممتلكات الخاصة أو العامة، وتدمير المدن والقرى وتخريبها أو كل أفعال التدمير والتخريب الذي لا تبرره الضرورة العسكرية»[٤٧٧].

فكل جرائم الحرب التي تحاربها الشرائع السماوية قد فعلها جيش يزيد بن معاوية في مدينة رسول الله ﷺ، ومع هذا لم يجرؤ ابن الأثير ومن سار على نهجه من الكُتَّاب على وصف يزيد وجنوده بالخوارج!!!.

وتلك المشاهد المؤلمة من قتل ونهب وهتك أعراض والتي كانت مدينة رسول الله ﷺ ساحتها، لم نشاهد مثلها ولا نصيفها إلا حينما استحل الكفار ديار المسلمين، فقد جاء في كتاب (الدين والدم) ما يلي: «تعرض المورسكيون[٤٧٨] لأهوال كثيرة حتى قبل أن يغادروا بيوتهم، فكان النصارى يهجمون عليهم في بيوتهم لسرقة ممتلكاتهم وقتلهم في حالات كثيرة. وفي أثناء الترحيل إلى الموانئ تعرضوا إلى السرقة والاختطاف، حتى من جانب الجنود المرافقين لهم. وكانت المآسي الأكبر في انتظارهم على السفن التي تآمر عليهم بحارتها في حالات كثيرة، فسرقوا ممتلكاتهم واغتصبوا نساءهم، وألقوا بهم في البحر أو باعوهم عبيداً أو ألقوا بهم على شواطئ معزولة وحتى المورسكيون الذين هاجروا براً عن طريق فرنسا، لم تخلُ رحلتهم من السرقة والابتزاز والقتل في بعض الأحيان. ومن المورسكيين أيضاً من رفض

(٤٧٧) المسئولية الجنائية للقادة العسكريين في الحروب شرعاً ونظاماً، ص١٥٨.

(٤٧٨) قال مترجم كتاب (الدين والدم): «المورسكيون Moriscos كلمة إسبانية معناها (الأندلسيين الصغار) أو (أنصاف الأندلسيين)، استخدمها الأوروبيون، خاصة في شبه جزيرة أيبيريا، للإشارة إلى المسلمين الذين نُصّروا قسراً في إسبانيا والبرتغال بعد سقوط ممالك المسلمين في الأندلس، ومع الوقت أصبحت الكلمة تستخدم بشكل ازدرائي للإشارة إلى الكاثوليك بالاسم فقط، الذين يُشتبه في أنهم يطبقون تعاليم الإسلام وطقوسه سراً» (الدين والدم إبادة شعب الأندلس، هامش ١، ص٤٣).

الطرد ولجأ إلى الثورة، وهؤلاء قمعتهم الجيوش النصرانية وباعتهم لتجار العبيد واقتادت بعضهم إلى السواحل لإبعادهم. وحتى بعد الوصول إلى شمال إفريقيا، تعرض بعضهم للقتل والسرقة والاغتصاب من القبائل البدوية الخارجة على القانون»[٤٧٩].

وجاء أيضاً في نفس الكتاب: «... غاصت خيول الفرسان النصارى حتى بطونها في الوحل والماء، ما فرض عليهم بعض الخسائر قبل اقتحام البلدة، وساعتها أعملوا السيف في السكان الذكور، في حين ذهبت النساء والأطفال إلى أسواق العبيد. وقعت حوادث مماثلة في أماكن أخرى... وبأوامر من دي ثافراء، ألقي مئتان من زعماء الثوار من فوق مئذنة أحد المساجد، واستعبدت النساء والأطفال. وفي بلدة أندرش Andarax، ذبح ثلاثة آلاف مسلم بأوامر من القائد الأسباني... منهم ستمائة امرأة وطفل فُجِروا داخل مسجد كانوا قد لجؤوا إليه...»[٤٨٠].

فتلك المذابح وذلك الاغتصاب الذي أوقعه الأسبان في حق المسلمين هو نفسه الذي ذكره ابن الأثير لجيش يزيد بن معاوية في المدينة المنورة الطاهرة.

هذه الجرائم التي ارتكبها جنود بني أمية يصدق على مرتكبيها قول الدكتور محمد بن موسى الشريف الذي وصف الخوارج بقوله: «كان الخوارج يقدمون على سفك الدماء على وجه عجيب لا يراعون فيه حرمة سابقة لأحد، ونتج عن صنيعهم هذا مقتل عشرات الآلاف من المسلمين على مدار تاريخهم منهم سادة كرام نجباء...»[٤٨١].

---

(٤٧٩) الدين والدم إبادة شعب الأندلس، ص ٢٩.

(٤٨٠) الدين والدم إبادة شعب الأندلس، ص ١٥٩.

(٤٨١) من مآسي الافتراق، ص ٢٩.

أليس هـذا الجيش الأموي قد سـفك الـدم الحرام، ولم يـراع لمدينة رسول الله ﷺ أي حرمة، وقتل من المسلمين ما قتل؟، فإذاً لماذا لا يذكر أفراد هذا الجيش وقادته في زمرة الخوارج؟

والذي سُجل في كتب التاريخ ونقله ابن الأثير والإمام ابن كثير ـ ضمن أحداث عام ٣٨٤ للهجرة ـ عن أعمال (العيارين) الذين أفسدوا في بغداد شبيه لما اقترفته أيدي جنود بني أمية الآثمة في مدينة رسول الله ﷺ، فقد قال ابن الأثير: «**ووقعت الفتنة والنهب والقتل ببغداد، وثار العيارون والسُّـفّل ينهبون الدور**»[٤٨٢]. وقال الإمام ابن كثير: «... فيها عظم الخطب بأمر العيارين، عاثوا ببغداد فسـاداً وأخذوا الأموال والعملات الثقال ليلاً ونهاراً، وحرقوا مواضع كثيرة، وأخذوا من الأسواق الجبايات...»[٤٨٣].

تلك المجازر التي ذكرها ابن الأثير وغيره لجنود بني أمية قد تلطخت أيدي مرتكبيها بالدم الحرام، لأن أولئك الرعاع والحثالـة من المنحطين أخلاقياً لم تكن لهم قيم سامية ولا مبادئ عالية سوى ممارسة غرائزهم في الحرق والقتل ونهب الأمـوال، وصدق ابن الأثيـر حينما وصف الذين يقدمـون على النهب والقتل والتحريق بـ«السـفل»، وهذا الوصف ليس حكـراً للـ«عيارين» الذين أفسـدوا في عاصمة بلاد الرافدين بل هو لكل من تجرأ علـى حدود الله فأثار الفتن وقتل ونهب وشرد وعاث في الأرض فساداً ولو حكم الدنيا بأقطارها.

فما الذي صرف قلم ابن الأثيـر وغيره من الكُتَّاب عن وصف جنود بني أمية، الذين أفسـدوا في مدينة رسـول الله ﷺ، بالخـوارج؟، ألم يأت ذلك الجيش بما أتى به كفار النصارى من قتل ونهب؟

(٤٨٢) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ١٦.
(٤٨٣) البداية والنهاية، م٦ ج ١١/ ص ٣٣٣.

٢ ـ جرائم الجيش الأموي في اليمن:

ونقل ابن الأثير:

«... بعث معاويةُ بُسْرَ بن أبي أرطاة... ثم سار إلى اليمن، وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملا لعليّ، فهرب منه إلى علي بالكوفة، واستخلف علي على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، فأتاه بُسر فقتله وقتل ابنه وأخذ ابنين لعبيد الله بن عباس صغيرين هما: عبد الرحمن وقُثَم فقتلهما... وقتل بسر في مسيره ذلك جماعة من شيعة علي باليمن...»[٤٨٤].

إنها جرائم يصدق على فاعليها قول الدكتور الشريف: «كان الخوارج يقدمون على سفك الدماء على وجه عجيب لا يراعون فيه حرمة سابقة لأحد، ونتج عن صنيعهم هذا مقتل عشرات الآلاف من المسلمين على مدار تاريخهم منهم سادة كرام نجباء...»[٤٨٥].

وعلى كثرة تكرار جرائم هذا الجيش على صفحات كتب التاريخ فإننا لم نجد من وصف ذلك الجيش بالخوارج.

فبأي حق تقتل الأطفال؟

وبأي مبرر تقتل الناس في الطرقات؟

فسؤالنا لأبن الأثير ومن سار على نهجه: لماذا تقاعستم عن كتابة اسم بسر بن أبي أرطأة وأفراد جيشه الذي أرسله معاوية في قائمة من قلتم إنهم خوارج؟

---

(٤٨٤) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤.

(٤٨٥) من مآسي الافتراق، ص ٢٩.

لماذا تسابقتم إلى كتابة أسماء أناس مجهولين في قائمتكم السوداء، وتركتم هؤلاء الأبطال!!!! يغدون ويروحون في دماء المسلمين الطاهرة الزكية؟.

ونسأل ابن الأثير عن سبب ذكره لحيان بن ظبيان السلمي، الذي دعا جماعته إلى حرب أهل القبلة حسب الرواية الضعيفة، في قائمة الخوارج؟ ولم يذكر اسم مصعب بن الزبير الذي نقل عنه أنه قتل «سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة»[٤٨٦].

ألم يُعَرِّف هؤلاء الكُتَّاب الخوارجَ بأنهم من «يقتل أهل القبلة»؟، فإذاً لماذا لم يسجلوا مصعب بن الزبير وبسر بن أبي أرطأة في القائمة التي أعدوها للخوارج وقد سجلوا عليهم قتل المسلمين في اليمن والعراق؟

٣ ـ جرائم الجيش الأموي في العراق:

ومما نقله ابن الأثير:

«... فلما استخلف زيادٌ سَمُرَةَ على البصرة أكثر القتل فيها، فقال ابن سيرين: قتل سمرة في غيبة زياد هذه ثمانية آلاف فقال له زياد: أتخاف أن تكون قتلتَ بريئا؟ فقال: لو قتلتُ معهم مثلهم ما خشيتُ. وقال أبو السوار العدوي: قتل سمرة من قومي في غداة واحدة سبعة وأربعين كلهم قد جمع القرآن....»[٤٨٧].

إنها جرائم يصدق على فاعليها قول الدكتور الشريف: «كان الخوارج يقدمون على سفك الدماء على وجه عجيب لا يراعون فيه حرمة سابقة لأحد،

(٤٨٦) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ٢٧٨.
(٤٨٧) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣.

ونتج عن صنيعهم هذا مقتل عشرات الآلاف من المسلمين على مدار تاريخهم منهم سادة كرام نجباء...»[٤٨٨].

ما الذي زحزح اسم سمرة بن جندب عن قائمة ابن الأثير التي عدها للخوارج، وهو قد قتل الآلاف من المسلمين وحفظة كتاب الله؟

ستلتقي الخلائق عند أحكم الحاكمين، وسيجزى كل فاعل ما اقترفت يداه، وليس من ديننا البحث لأجل معرفة من قتل من. فكل ما نسعى إليه هو تبيان منهاج الأمة في تقييم الأفراد والمجتمعات، وتبيان اضطراب الموازين عند كثير من الكُتَّاب.

فها هم الكُتَّاب لم ينبسوا ببنت شفة في وصف سمرة بن جنب وزياد بن أبيه بالخوارج مع أنهم قد نسبوا إليهما قتل الآلاف من المسلمين ومن حفظة كتاب الله تعالى، في وقت نجدهم ـ أي الكُتَّاب ـ يتسابقون في وصف الأبرياء والمجاهيل بالخوارج.

فأين العدالة التي يريدها الإسلام؟ وأين الصدق في القول من هؤلاء الكتاب؟.

٤ ـ جنود بني أمية ومقتل الحسين بن علي ﷺ وكرم وجه أبيه الكريم:

ونقل ابن الأثير:

«وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوقع، وقال لخولي بن يزيد الأصبحي: احتز رأسه، فأراد أن يفعل فضعف وأُرعد، فقال له سنان: فت الله عضدك! ونزل إليه فذبحه واحتز رأسه فدفعه إلى

(٤٨٨) من مآسي الافتراق، ص ٢٩.

خولي، وسُلب الحسين ما كان عليه، فأخذ سراويله بحرُ بن كعب وأخذ قيسُ بن الأشعث قطيفته، وهي من خز، فكان يسمي بعدُ قيس قطيفة، وأخذ نعليه الأسودُ الأودي، وأخذ سيفه رجل من دارم، ومال الناس على الورس والحلل والإبل فانتهبوها، ونهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء حتى إن كانت المرأة لتنزع ثوبها من ظهرها فيؤخذ منها»[٤٨٩].

فهذه الرواية لن تكون أضعف من تلك الروايات التي نُسبت إلى الخوارج أبداً، وإن هؤلاء الذين عملوا تلك الفعال الشنيعة في حق الحسين وأهله رضي الله عنهم، ينطبق عليهم وصف الدكتور الشريف للخوارج آنف الذكر.

فلماذا لم يسجل ابن الأثير أسماء هؤلاء القتلة في قائمته التي أعدها للخوارج؟

إن مما ابتليت به هذه الأمة، عبر تاريخها إلى يوم الناس هذا، هو وجود طائفة من الناس ممن ازدوجت في أذهانهم المقاييس، فأصبحوا يكيلون بمكاييل الهوى ولا يُحَكِّمون علوم الإسلام عند تقييمهم لأحداث التاريخ. **فلله الأمر من قبل ومن بعد.**

٥ ـ جرائم الحجاج بن يوسف في التاريخ:

ونقل ابن الأثير:

«وقتل الحجاج يوم الزاوية بعد الهزيمة **أحد عشر ألفا** خدعهم بالأمان وأمر مناديا فنادى: لا أمان لفلان بن فلان، فسمى رجالاً، فقال العامة: قد آمن الناس، فحضروا عنده فأمر بهم فقُتلوا»[٤٩٠].

(٤٨٩) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٧٨ ـ ٧٩.

(٤٩٠) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٤٦٩.

وقال ابن الأثير أيضاً: «وقيل: أحصي من قتله الحجاج صبراً فكانوا **مائة ألف وعشرين ألفا**»[٤٩١].

ونقل ابن الأثير: «قال الأوزاعي قال عمر بـــن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم»[٤٩٢].

ألا يســتحق الحجاج الثقفي أن يكون على رأس قائمة الخوارج بســبب جرائمه البشعة في حق أهل القبلة؟

وفي رده على الذين دافعوا عن الحجاج، قال الدكتور محمد بن موســى الشــريف: «وهذا دفاع أعمى عن رجل ظالم ولغ في الدماء ولوغاً بلغ مبلغ التواتر، وكان جباراً عســوفاً، يأخذ الناس بأدنى شــيء وأقله، بل في بعض الأحيان بدون سبب...»[٤٩٣].

وببلوغ الحجاج هذه المنزلة من الإفســاد في الأرض، فهو بحق يستحق هذا الوصف الذي قاله الدكتور محمد الشريف: «كان الخوارج يقدمون على ســفك الدماء على وجه عجيب لا يراعون فيه حرمة سابقة لأحد، ونتج عن صنيعهم هذا مقتل عشرات الآلاف من المســلمين على مدار تاريخهم منهم سادة كرام نجباء...»[٤٩٤].

فالحجاج الذي قتل الآلاف من خيار المسلمين لم تصل به جرائمه، عند ابن الأثير ومن ســار على نهجه، إلى حضيض الخوارج، لا لشــيء إلا لأنه جندي مطيع من جنود بني أمية.

---

(٤٩١) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٥٨٧.

(٤٩٢) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٥٨٦.

(٤٩٣) كيفية قراءة التاريخ وفهمه، ص ٧٦ ـ ٧٧، ثم نقل الدكتور الشريف كلام الإمام الذهبي في حق الحجاج (انظر سير أعلام النبلاء، ج ٤/ ص ٣٤٣).

(٤٩٤) من مآسي الافتراق، ص ٢٩.

وأما الإباضيون المدافعون عن حمى الإسلام والمنازلون لجبروت الطواغيت في ساحات الوغى، من أمثال الحجاج الثقفي، فلا منزلة لهم عند ابن الأثير وغيره من الكُتَّاب الذين ساروا على نهجه، إلا في صفوف الخوارج!!!!. **فلله الأمر من قبل ومن بعد.**

٦ ـ جرائم أموية في اليمن:

قال ابن الأثير:

«وحج بالناس الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي، وهو ابن أخي عبد الملك بن محمد الذي قتل أبا حمزة، وكان هو على الحجاز. ولما بلغ الوليدَ قتلُ عمه عبد الملك مضى إلى الذين قتلوه **فقتل منهم مقتلةً عظيمةً وبقر بطون نسائهم وقتلَ الصبيانَ وحرّق بالنار** مَنْ قدر عليه منهم»[٤٩٥].

وعلق الدكتور فاروق عمر فوزي على هذه الحادثة بقوله: «... ومع ذلك فإن مجموعة إباضية تصدت له (يقصد عبد الملك بن عطية السعدي) وهو في طريقه إلى مكة وقتلته. وكان رد الفعل الأموي عنيفاً، إذ أرسل عامل صنعاء الأموي جيشاً فتك بأهل حضرموت حيث (**قتل الرجال والصبيان وبقر بطون النساء وأخذ الأموال وخرب القرى...**)»[٤٩٦].

لقد «حرم الإسلام تحريماً قاطعاً التمثيل بالقتلى وإحراق جثث الأعداء بالنار، لأن النار لا يُعَذِبُ بها إلا الله، ولأن الإنسان له حقوق بعد موته وهي دفنه وترك الأمر لله ﷻ»[٤٩٧].

(٤٩٥) الكامل في التاريخ، ج٥/ص٤٠٢.
(٤٩٦) المثالية والواقعية في تاريخ الفكر السياسي عند المسلمين، ص٣٨٥.
(٤٩٧) أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية الشريفة، ص٥٦.

فأين هذه الجيش الأمــوي الرعديد من مبادئ الإســلام؟، وأين أولئك الكُتَّاب من قول الصدق في وصف هؤلاء الهمج من البشر؟.

هذا الذي فعله الجيــش الأموي؛ بقر لبطون النســاء، وقتــل للصبيان، وتحريق للمسلمين. ومع كل هذه الجرائم فالجيش الأموي قد أُلبس حصانة بحيث لا يحق للبشر أن يصفوهم بالخوارج.

فإذا لم يكن أفــراد هذا الجيــش العربيد من الخوارج، حســب تعريف الدكتور الشريف آنف الذكر، فمن يكن الخوارج إذن؟

قد يكون مــن بيننا قراء لا تحرك هذه الجرائم المنســوبة إلى جنود بني أمية فيهم نخوة الإســلام، ولكن عســى حالهم يصلح إذا عرفوا أن ما أوقعه جنود بني أمية بالمسلمين في بلاد اليمن هو نفس العمل الذي أوقعه النصارى في ساحات الأندلس. فقد قال ماثيو كار، صاحب كتاب (الدين والــدم) ما نصه: «فبعد هجــوم نصراني على موقع مورســكي محصن في قلعة واجرش أمر القائد العــام بذبح الباقين على قيد الحياة من المورسكين. وفي قرية جبيل قتل العشرات من الأسرى المورسكيين بدم بارد حين حاولــوا أن يمنعوا جنديــاً نصرانياً مــن اغتصاب امرأة مورسكية»[٤٩٨].

وقال ماثيو كار أيضاً: «وفضلت نســاء مورســكيات كثيــرات أن يلقين بأنفسهن من فوق الجبال على الأسر والعبودية... ولم يبد جنود دي بلش أي رحمة أمام التوســلات، فأعدموا مئات الرجال والنســاء والأطفــال فوراً أو رموهم في الوديان المحيطة، وقتلوا حتى الكلاب والقطط. (يا لها من وحشية نصرانية فظيعة لم تُعرف من قبل في الأمة الإسبانية! ما هذا الغضب الجهنمي

(٤٩٨) الدين والدم إبادة شعب الأندلس، ص٢٩٢.

الذي جعلكم تظهرون كل هذه الوحشية وانعدام الرحمة؟) هكذا تعجب خينيس بيريث دي هيتا، الذي قاتل في جيش دي بلش»[٤٩٩].

نعم، يا لها من وحشية نصرانية ومن قبلها من فظائع أموية في حق المسلمين الآمنين.

ويكفي الذين بقروا بطون المسلمات ممن ادعى الإسلام أن تكون قدوتهم في ذلك هند بنت عتبة ـ حينما كانت على كفرها ـ التي بقرت جسم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، فقد نقل ابن الأثير: «ووقعت هند وصواحباتها على القتلى يمثلن بهم، واتخذت هند من آذان الرجال وآنافهم خدماً وقلائد، وأعطت خدمها وقلائدها وحشيا، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها»[٥٠٠].

صحيح أن هند عملت ما عملت وهي كافرة، ولا عذر لها فيما عملت، ولكن فما عذر من عمل نفس الصنيع وهو يدعي الإسلام؟

أليس من حق من نسبت إليه أمثال هذه الفعال الشنيعة أن يسجل اسمه في قائمة الخوارج؟

ويكفي جنود بني أمية ـ الذين نسب إليهم ابن الأثير قتل المسلمين ونهب أموالهم وبقر بطون نسائهم ـ أن تكون أفعالهم النكراء هي مما ارتكبته جحافل التتار يوم وثبوا على حياض الإسلام.

قال ابن الأثير وهو يسطر أحداث التتار في ديار الإسلام: «لقد بقيتُ عدة سنين مُعرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدّم إليه [رجلاً] وأُؤخر أخرى، فمَن الذي يسهل عليه أن يكتب نعيّ الإسلام

(٤٩٩) الدين والدم إبادة شعب الأندلس، ص ٢٩٤.

(٥٠٠) الكامل في التاريخ، ج ٢/ ص ١٥٩.

والمسلمين، ومَن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مُت قبل حدوثها وكنتُ نَسياً مَنسيّاً... وهؤلاء لم يُبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...»[٥٠١].

وقال ابن الأثير: «في سنة سبع عشرة وستمائة وصل التتر، لعنهم الله، إلى الري... وقد انضاف إليهم كثير من عساكر المسلمين والكفار، وكذلك أيضاً من المفسدين من يريد النهب والشر، فوصلوا إلى الرَّي على حين غفلة من أهلها، فلم يشعروا بهم إلا وقد وصلوا إليها، وملكوها، ونهبوها، وسبوا الحريم، واسترقّوا الأطفال، وفعلوا الأفعال التي لم يُسمع بمثلها... فنهبوا في طريقهم كل مدينة وقرية مرّوا عليها، وفعلوا في الجميع اضعاف ما فعلوا في الرَّي، وأحرقوا، وخربوا ووضعوا السيف في الرجال والنساء والأطفال، فلم يُبقوا على شيء»[٥٠٢].

ويكفي جنود بني أمية أنهم، بأفعالهم النكراء، كانوا قدوة لمن جاء بعدهم من الإفرنج والروم الذين أفسدوا في ديار الإسلام.

فقد قال ابن الأثير: «... وقتل الفرنج، بالمسجد الأقصى، ما يزيد على سبعين ألفا، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم، وعبادهم، وزهادهم، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف...»[٥٠٣].

وقال ابن الأثير أيضاً: «فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج إلى سَروج، فحصروها وتسلّموها، وقتلوا كثيراً من أهلها وسَبَوا حريمهم، ونهبوا

(٥٠١) الكامل في التاريخ، ج١٢/ ص٣٥٨ ـ ٣٥٩.

(٥٠٢) الكامل في التاريخ، ج١٢/ ص٣٧٣. وانظر كذلك ما ذكره الإمام ابن كثير من مفاسد التتار في ديار الإسلام وخاصة ببغداد (البداية والنهاية، م ٧، ج١٣ ص٩٤ وما بعدها)، و(البداية والنهاية، م٧، ج١٣ ص٢١٦).

(٥٠٣) الكامل في التاريخ، ج١٠/ ص٢٨٣ ـ ٢٨٤.

أموالهم، ولم يسلم إلا من مضى منهزما... وفيها، في رجب، ملكوا مدينة قَيْسَاريّة بالسيف، وقتلوا أهلها، ونهبوا ما فيها»[٥٠٤].

ووصف لنا ابن الأثير واقعة أخرى بقوله: «أغار ملك الروم على الرُّها ونواحيها، وسار في ديار الجزيرة حتى بلغوا نصيبين، فغنموا، وسبوا، وأحرقوا وخرّبوا البلاد، وفعلوا مثل ذلك بديار بكر...»[٥٠٥].

أخي القارئ الكريم، لعلك أدركت الآن بشاعة ما قام به جنود بني أمية في مدينة رسول الله ﷺ وما ارتكبوه من جرائم في بلاد اليمن. وما نَقْلُنا لجرائم التتار والأسبان في بلاد الأندلس إلا لوضع المشهدين، مشهد جنود بني أمية وهم يشقون البطون ومشهد التتار والأسبان وهم يبقرون أرحام المسلمات، أمام ناظريك إلا لتدرك بعقلك بعد وزنك للأحداث بميزان الإسلام أن الذين ثار عليهم الإباضية هم مفسدون في الأرض، تشابهت أعمالهم مع أعمال أعداء الإسلام في الشرق والغرب وعلى امتداد الزمن.

فيا ليت ابن الأثير قال: «فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين» وهو ينقل لنا جرائم القائد الأموي في مدينة الرسول ﷺ، كما فعل حينما أورد لنا خبر التتار في ديار الإسلام.

ويا ليت ابن الأثير قال: «فيا ليت أمي لم تلدني ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا» حينما ذكر لنا فعائل بني أمية في بلاد اليمن.

فالتتار قتلوا النساء وبقروا بطونهن عن الأجنة الآمنة، وكذلك فعل جنود بني أمية. والتتار والصليبيون قتلوا الرجال والأطفال وكذلك وجد في كتب التاريخ من فعل فعلتهم ممن انتسب إلى الإسلام.

(٥٠٤) الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ٣٢٥.

(٥٠٥) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٦١٨.

ومن المشاهد التي ذكرها ابن الأثير للإجرام الأموي والعباسي حينما لم يكتفوا بالقتل المحرم، بل تعدوا ذلك إلى التمثيل بأجساد المسلمين:

ـ قتلُ ابن الزبير، وحزُ رأسه، وإرسالُ الرأس إلى عبد الملك بن مروان[٥٠٦].

ـ «وخرج عبد الله [بن عمر بن عبد العزيز] فإذا الأرض بيضاء من أصحاب ابن معاوية [عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب] فأمر ابن عمر مناديا فنادى من جاء برأس فله خمسمائة. فأتي برؤوس كثيرة وهو يعطي ما ضمن»[٥٠٧].

ـ «فما كان إلا ساعة حتى انهزم حمّاد وأصحابه، ووضع أصحاب المعز فيهم السيف، وغنموا ما لهم من عُدَد ومال وغير ذلك، فنادى المعز: من أتى برأس فله أربعة دنانير؛ فأُتي بشيء كثير...»[٥٠٨].

ـ «... وقتل مروان [يقصد مروان بن محمد] جماعة من أسرائهم وصلب خمسمائة من القتلى حول المدينة [يقصد مدينة حمص]»[٥٠٩].

ـ «واستعمل مروان على فلسطين الرُّماحس بن عبد العزيز الكناني، فظفر بثابت وبعثه إلى مروان موثقا بعد شهرين، فأمر به وبأولاده الثلاثة فقُطعت أيديهم وأرجلهم وحُملوا إلى دمشق فألقوا على باب المسجد، ثم صلبهم على أبواب دمشق»[٥١٠].

---

(٥٠٦) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧.
(٥٠٧) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٣٢٦.
(٥٠٨) الكامل في التاريخ، ج ٩/ ص ٢٥٨.
(٥٠٩) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٣٢٩.
(٥١٠) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٣٣٠.

ـ «ودخل شبل بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي وعنده من بني أمية نحو تسعين رجلا على الطعام... فأمر بهم عبد الله فضربوا بالعمد حتى قُتلوا، وبسط عليهم الأنطاع فأكل الطعام عليها وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً، وأمر عبد الله بن علي بنبش قبور بني أمية بدمشق... وقتل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بالبصرة أيضا جماعة من بني أمية عليهم الثياب الموشية المرتفعة وأمر بهم فجُروا بأرجلهم فأُلقوا على الطريق فأكلتهم الكلاب»[٥١١].

فهذه الجرائم التي ذُكرت باختصار هنا هي مشاهد مروعة شبيهة لما تعرض له المسلمون في بلاد الأندلس على أيدي أعداء الإسلام، فقد جاء في كتاب (الدين والدم) ما نصه: «وفي الخامس والعشرين من مايو ١٦١١، أصدر كاراثينا أمراً همجياً وعد فيه بتقديم مكافأة عن كل مرسكي يؤتى به من مولا حياً أو ميتاً. تلت ذلك عمليات بشعة لاصطياد البشر، إذ تكالب صائدو الثروات النصارى على هذه الجبال، وبدؤوا في العودة برؤوس المورسكيين للمطالبة بالمكافآت...»، وجاء في هامش هذه الصفحة قول المترجم: «كان الواحد من (صيادي البشر) الإسبان يكافأ على عدد الرؤوس أو (القضبان) التي يعود بها إلى غرناطة، فقد كان الواحد منهم يقطع رأس أو (قضيب) فريسته ليريح نفسه من حمل الجثمان كاملاً، أو حتى الرأس»[٥١٢] [انتهى قول المترجم].

ومشهد آخر من مشاهد الإجرام، شبيه بما قام به جنود بني أمية وبني العباس في ديار الإسلام، ينقله لنا الأمام ابن كثير عن جحافل الفرنج يوم هجموا على الإسكندرية الآمنة: «ووردت الأخبار بما وقع من الأمر الفظيع

(٥١١) الكامل في التاريخ، ج٥/ص ٤٣٠ ـ ٤٣١.

(٥١٢) الدين والدم إبادة شعب الأندلس، ص ٤٨٤ ـ ٤٨٥.

بمدينة الإسكندرية من الفرنج لعنهم الله... وعاثوا في أهلها فسادا، يقتلون الرجال ويأخذون الأموال ويأسرون النساء والأطفال، فالحكم لله العلي الكبير المتعال... فسمع للأسارى من العويل والبكاء والشكوى والجأر إلى الله والاستغاثة به وبالمسلمين ما قطع الأكباد، وذرفت له العيون وأصم الأسماع، فإنا لله وإنا إليه راجعون»[٥١٣].

وينقل لنا الدكتور عماد الدين خليل شهادات المراسلين الغربيين عن ما فعلته جحافل الطليان في مدن ليبيا، حيث قال: «وكتب المراسل الألماني فون غوتنبرغ يقول: (إنه لم يفعل جيش مع عدوه من أنواع الغدر والخيانة ما فعله الطليان في طرابلس... وفي ذلك يقول هرمان رنول المراسل النمساوي: (وأحرق الطليان في ٢٦ تشرين الأول سنة (١٩١١م) حيا بأكمله خلف بنك روما، بعد أن ذبحوا أكثر سكانه وبينهم النساء والشيوخ والأطفال...).

وراح الطليان يخربون المساجد ويتخذونها إسطبلاً للدواب، كما راحوا يدوسون القرآن الكريم كلما وجدوه...

ويصف شاهد عيان معركة الكفرة التي حدثت سنة (١٩٣١م) فيقول: (ودخل الطليان الكفرة ولم يبق بها إلا الشيوخ والنساء والأطفال، فانتشر الطليان فيها وفي قرية التاج مستبيحين كل حرمة، ونهبوا الأموال وذبحوا الشيوخ والأطفال ذبح الخراف، وبقروا بطون الحوامل وهتكوا الأعراض وحرقوا المساجد وداسوا المصاحف»[٥١٤].

فهؤلاء الأشرار الذين أفسدوا في ديار الإسلام أتوا بما أتت به جحافل الأمويين والعباسيين كما نقل لنا ذلك ابن الأثير نفسه في كامله.

(٥١٣) البداية والنهاية، م٧، ج١٤ ص ٣٢٩.

(٥١٤) في التأصيل الإسلامي للتاريخ، ص ٢٠٨.

لم يقدم جنود بني أمية وبني العباس للمسلمين في مدينة رسول الله ﷺ وغيرها من ديار الإسلام الورود والرياحين، بل قدموا لهم الموت الزعاف، وبقر البطون، والنهب والسبي والسلب تماماً كما قدم أعداء الإسلام عبر التاريخ للمسلمين من إفساد وجور.

فلماذا تقاصرت أقلام ابن الأثير ومن سار على دربه عن وصف أولئك الرعاع من جنود بني أمية بالخوارج، وهم قد أتوا بأعمال فاقت في بشاعتها ما نسب إلى الخوارج من جرائم؟

٧ـ جرائم جنود سعد الدولة في اليمن:

قال ابن الأثير:

«فاستعمل عليهم سعدُ الدولة أميراً اسمه ترشك، فساروا حتى وردوا اليمن، فاستولوا عليها، وأساءوا السيرة في أهلها، ولم يتركوا فاحشة ولا سيئة إلا ارتكبوها»(٥١٥).

أينتظر الكُتَّاب جرائم أفحش من هذه الجرائم حتى يسجلوا اسم سعد الدولة وقائده في صفوف الخوارج؟

٨ـ جرائم «زيد النار» العلوي، و«الجزار» العباسي في ديار الإسلام:

قال ابن الأثير:

«وسار علي بن سعيد إلى البصرة، فأخذها من العلويين، وكان بها زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي عليه السلام، وهو الذي يسمى زيد النار، وإنما سُمي بها لكثرة ما أحرق بالبصرة من دور العباسيين وأتباعهم، وكان إذا أتى رجل من المُسَوِّدة أحرقه؛ وأخذ أموالاً كثيرة من

(٥١٥) الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ٢٠٤.

أموال التجار... وبعث إلى مكة، والمدينة، واليمن جيشاً، فأمرهم بمحاربة مَنْ بها من العلوييـن... واجتمع بها إليـه جماعة من أهل مكـة هربوا من العلويين، واستولى إبراهيم على اليمن، وكان يسـمى الجزار لكثرة من قتل باليمن، وسبى، وأخذ الأموال»[٥١٦].

فأيـن زيد النار، وأيـن الجزار، من قائمـة الخـوارج؟، أم لكونهما من العلويين والعباسيين فلا يحق لأي كاتب أن يصفهم بالخوارج؟

فعند ابن الأثير ومن سـار على شـاكلته فإن قائمة الخوارج تتسع لكل مجهول، وتضيق أمام من عُرف اسمه واسم أبيه واسم جده ولو نافسوا الكفار عبر التاريخ في مفاسـدهم وجرائمهم. فهذا الإجرام الذي نسـبه ابن الأثير لهؤلاء الناس قد أورد لنا مثله عن الروم حيث قـال: «.... وصل الروم إلى قرب حلب، ونهبوا وخرّبوا البلاد، وسبوا نحو خمسة عشر ألف إنسان»[٥١٧].

وقال أيضاً: «... نزل الروم مع الدُّمُسْـتُق على عين زَربـة... ونادى في البلد، أول الليل، بأن يخرج جميع أهله إلى المسجد الجامع، ومَن تأخّر في منزله قُتل، فخرج من أمكنه الخروج، فلما أصبح أنفـذ رجالته في المدينة، وكانوا سـتين ألفا، وأمرهم بقتل من وجدوه في منزله، فقتلوا خلقاً كثيراً من الرجال والنساء والصبيان... وأمر من في المسجد بأن يخرجوا من البلد حيث شـاؤوا، يومَهم ذلك، ومن أمسـى قُتل، فخرجوا مزدحمين، فمات بالزحمة جماعة، ومرّوا على وجوههم لا يدرون أيـن يتوجهون، فماتوا في الطرقات، وقتل الروم من وجدوه بالمدينة آخر الليل...»[٥١٨].

فلله الأمر من قبل ومن بعد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٥١٦) الكامل في التاريخ، ج٦/ ص٣١٠ ـ ٣١١.

(٥١٧) الكامل في التاريخ، ج٨/ ص٣٩٢.

(٥١٨) الكامل في التاريخ، ج٨/ ص٥٣٨ ـ ٥٣٩.

٩ ـ جرائم ترتكب في حرم الله الآمن:

قال ابن الأثير:

«وجه إبراهيم بن موسى بن جعفر من اليمن رجلاً من ولد عقيل بن أبي طالب في جند ليحج بالناس، فسار العقيلي حتى أتى بستان ابن عامر، فبلغه أن أبا إسحاق المعتصم قد حج في جماعة من القواد، فيهم حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان، وقد استعمله الحسن بن سهل على اليمن، فعلم العقيلي أنه لا يقوى بهم، فأقام ببستان ابن عامر، فاجتاز قافلة من الحاج، ومعهم كسوة الكعبة وطيبها، فأخذ أموال التجار، وكسوة الكعبة وطيبها، وقدم الحجاج مكة عراة منهوبين»[٥١٩].

وقال ابن الأثير أيضاً: «ذكر ما فعله الحسين بن الحسن الأفطس بمكة والبيعة لمحمد بن جعفر. وفي هذه السنة في المحرم، نزع الحسين كُسوة الكعبة، وكساها كسوة أخرى، أنفذها أبو السرايا من الكوفة، من القز، وتتبع ودائع بني العباس وأتباعهم، وأخذها، وأخذ أموال الناس بحجة الودائع، فهرب الناس منه، وتطرق أصحابه إلى قلع شبابيك الحرم، وأخذ ما على الأساطين من الذهب، وهو نزرٌ حقير، وأخذ ما في خزانة الكعبة، فقسمه مع كسوتها على أصحابه»[٥٢٠].

وقال ابن الأثير أيضاً: «دخل محمد وعلي ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المدينة، وقتلا جماعة من أهلها، وأخذا من قوم مالاً، ولم يصلّ أهل المدينة في مسجد رسول الله، ﷺ، أربع جمع، لا جمعة ولا جماعة...»[٥٢١].

(٥١٩) الكامل في التاريخ، ج٦/ ص ٣١٣ ـ ٣١٤.
(٥٢٠) الكامل في التاريخ، ج٦/ ص ٣١١.
(٥٢١) الكامل في التاريخ، ج٧/ ص ٤١٣.

وقال ابن الأثير أيضاً: «وفيها ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بمكة، فهرب جعفر بشاشات، وانتهب إسماعيل منزله ومنازل أصحاب السلطان، وقتل الجند وجماعة من أهل مكة، وأخذ ما كان حُمل لإصلاح القبر من المال وما في الكعبة وخزائنها من الذهب والفضة وغير ذلك، وأخذ كُسوة الكعبة، وأخذ من الناس نحواً من مائتي ألف دينار، وخرج منها بعد أن نهبها، وأحرق بعضها في ربيع الأول بعد خمسين يوماً وسار إلى المدينة، فتوارى عاملها، ثم رجع إسماعيل إلى مكة في رجب فحصرهم حتى تماوت أهلها جوعاً وعطشاً... ولقي أهل مكة منه كل بلاء. ثم سار إلى جُدة بعد مقام سبعة وخمسين يوماً، فحبس عن الناس الطعام وأخذ الأموال التي للتجار وأصحاب المراكب، ثم وافى إسماعيل عرفة... وقتل من الحاج نحو ألف ومائة، وسُلب الناس، وهربوا إلى مكة ولم يقفوا بعرفة ليلاً ولا نهاراً، ووقف إسماعيل وأصحابه، ثم رجع إلى جدة فأفنى أموالها»[٥٢٢].

وقال ابن الأثير: «... وفيها ظهر بصعيد مصر إنسان علوي، ذكر أنه إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ويعرف بابن الصوفي، وملك مدينة أسنا، ونهبها، وعم شره البلاد»[٥٢٣].

وأيضاً نسأل ابن الأثير ومن اقتفى أثره: لماذا لا يذكر اسم هذا العلوي، والعقيلي، والأفطس، ومحمد وعلي أبناء الحسين بن جعفر، وإسماعيل بن يوسف بن إبراهيم في قائمة الخوارج؟ ألستم أنتم أيها الكُتَّاب من ذكرتم أن من أعمال الخوارج قتل الناس ونهب أموالهم؟

(٥٢٢) الكامل في التاريخ، ج ٧/ ص ١٦٥ ـ ١٦٦.
(٥٢٣) الكامل في التاريخ، ج ٧/ ص ٢٣٨.

أليس أحدكم من وصف الخوارج بقوله: «كان الخوارج يقدمون على سفك الدماء على وجه عجيب لا يراعون فيه حرمة سابقة لأحد، ونتج عن صنيعهم هذا مقتل عشرات الآلاف من المسلمين على مدار تاريخهم منهم سادة كرام نجباء...»[٥٢٤].

فلماذا جفت أقلامكم عن وصف هؤلاء الناس بالخوارج؟، أليس هذا هو الهوى الذي يصم ويعمي؟

فلله الأمر من قبل ومن بعد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١٠ ـ قطاع طرق حجاج بيت الله الحرام:

وقال ابن الأثير:

«... وسار الحاج من دمشق... فلما قضوا حجهم وعادوا سائرين سيّر أمير مكة، وهو محمد بن أبي هاشم، عسكراً فلحقوهم بالقرب من مكة، ونهبوا كثيرا من أموالهم وجِمالهم... فلما أيِسوا منه ساروا من مكة عائدين على أقبح صورة، فلما أبعدوا عنها ظهر عليهم جموع من العرب في عدة جهات، فصانعوهم على مال أخذوه من الحاج، بعد أن قُتل منهم جماعة وافرة، وهلك فيه [كثيرون] بالضعف والانقطاع، وعاد السالم على أقبح صورة»[٥٢٥].

وقال ابن الأثير: «وفيها خرج بنو هلال وجمع من العرب على الحاجّ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وضاق الوقت، فبطل الحج، ولم يسلم إلا من مضى مع الشريف أبي أحمد الموسوي، والد الرضي، على طريق المدينة، فتم حجهم»[٥٢٦].

---

(٥٢٤) من مآسي الافتراق، ص ٢٩.

(٥٢٥) الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ٢٢٥.

(٥٢٦) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ٦٤٧.

وقال ابن الأثير: «وفيها كانت فتنة عظيمة بين الأمير هاشم بن فليتة بن القاسم العلوي الحسيني، أمير مكة، والأمير نظر الخادم أمير الحاج، فنهب أصحاب هاشم الحجاج وهم في المسجد يطوفون ويصلون، ولم يرقبوا فيهم إلّاً ولا ذمّةً»[٥٢٧].

ألا تكفي هذه الجرائم في حرم الله الآمن وفي حق حجاج بيت الله تعالى أن تلقي بفاعليها في صفوف الخوارج؟

أقول لابن الأثير ومن انتهج نهجه: كفاكم حيدة عن معالم الحق وكفاكم صدوداً عن مقاييس العدل والإنصاف حينما تذكرون الإباضية الزهر الكرام ظلماً وعدواناً في قائمة من وصفتموهم بالخوارج.

فأين هؤلاء الذين ذكرتموهم هنا بجرائمهم من الإباضية الذين لا يستحلون قطرة دم مسلم، ولا يأخذون دانقاً من أموال موحد مهما خالفهم في الرأي؟

١١ ـ إجرام على يد معز الدولة وناصر الدولة:

قال ابن الأثير:

«... فلما سمع معز الدولة الخبر سار إلى تكريت فنهبها لأنها كانت لناصر الدولة...»[٥٢٨]

وقال ابن الأثير: «فضاقت الأقوات على معز الدولة وعسكره، وبلغه أن بنصيبين من الغلات السلطانية شيئاً كثيراً... فلما توسط الطريق بلغه أن أولاد ناصر الدولة أبا المرجّى وهبة الله بسنجار في عسكر، فسير إليهم عسكراً، فلم يشعر أولاد ناصر الدولة بالعسكر إلا وهو معهم، فعجلوا عن

(٥٢٧) الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ١٠٣.
(٥٢٨) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٤٥٣.

أخذ أثقالهم، فركبوا دوابّهم وانهزموا ونهب عسكر معز الدولة ما تركوه... وكان أصحاب ناصر الدولة في حصونه ببلد الموصل، والجزيرة، يغيرون على أصحاب معز الدولة بالبلد، فيقتلون فيهم، ويأسرون منهم، ويقطعون الميرة عنهم»[٥٢٩].

وقال أيضاً: «واشتد الأمر على جلال الدولة لفقره، وقلّة الأموال وغيرها عنده. فاستشار أصحابه فيما يفعل. فأشاروا أن يقصد الأهواز وينهبها. ويأخذ ما بها من أموال أبي كاليجار وعسكره... ومضى إلى الأهواز فنهبها، وأخذ من دار الإمارة مائتَيْ ألف دينار، وأخذوا مالا يحصى، ودخل الأكراد والأعراب وغيرهم إلى البلد، فأهلكوا الناس بالنهب والسبي...»[٥٣٠].

ضاقت الأقوات على معز الدولة فرأى الفرج في نهب أموال ناصر الدولة، وفي المقابل يسعى ناصر الدولة بقتل جنود معز الدولة وأسرهم وقطع أرزاقهم.

واشتد فقر جلال الدولة فأشار إليه بطانته بنهب الأهواز المسلمة، وأطلق أيدي من سار معه في أعراض الناس فأهلكوا الحرث والنسل.

أبهذه الجرائم تجلل الممالك وينصر الدين وتعز الدول؟!

أما علم معز الدولة وناصر الدولة أن «الإسلام يريد بأعمال الجهاد أن تكون انتصاراً للمظلومين وحرية الدين وحماية المؤمنين والدعوة إلى توحيد رب العالمين»[٥٣١]، لا أن تنتهك الأعراض وترتكب المحرمات؟

(٥٢٩) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣.
(٥٣٠) الكامل في التاريخ، ج ٩/ ص ٣٧٥.
(٥٣١) المسئولية الجنائية للقادة العسكريين في الحروب شرعاً ونظاماً، ص ٦٢.

فسؤالنا لابن الأثير ومن سار على نهجه: ما الذي يصرفكم عن نعت هؤلاء بالخوارج، وهم قد جاءوا بأفعال أعداء الإنسانية من غير نقصان؟

أليست أعمالهم هذه شبيهة بكل معايير الإجرام لما قام به توفيل بن مخائيل ملك الروم الذي «أغار على أهل ملَطْيَة وغيرها من حصون المسلمين، وسبى المسلمات، ومثّل بمن صار في يده من المسلمين وسمل أعينهم، وقطع أنوفهم وآذانهم...»[٥٣٢].

أليست أعمال ناصر الدولة وأعمال معز الدولة وجنودهما شبيهة بما اقترفته يد ملك الروم وجنوده في حمص حين قصدها؟، حيث أورد ابن الأثير عنه: «... فأحرقها ملك الروم ورجع إلى بلدان الساحل فأتى عليها نهباً وتخريباً... وأقام في الشام شهرين يقصد أي موضع شاء، ويخرّب ما شاء... وعاد ومعه من السبي نحو مائة ألف رأس، ولم يأخذ إلا الصبيان، والصبايا، والشُّبّان، فأما الكهول، والشيوخ، والعجائز، فمنهم مَن قتله، ومنهم من أطلقه... وسير ملك الروم سريّة كثيرة إلى الجزيرة، فبلغوا كفرتوثا، ونهبوا وسبوا وأحرقوا...»[٥٣٣].

أليس أولى بقائمة الخوارج التي يلوح بها ابن الأثير ومن سار على نهجه أن تحمل في أحشائها كذلك معز الدولة!! وناصر الدولة!! وجنودهما الذين أتوا بما أتى به الروم من جرائم في ديار الإسلام؟

فما لهؤلاء القوم يحشرون الأبرياء في قائمة الخوارج ويتركون هؤلاء المجرمين؟ **فلله الأمر من قبل ومن بعد.**

---

(٥٣٢) الكامل في التاريخ، ج٦/ ص٤٧٩.

(٥٣٣) الكامل في التاريخ، ج٨/ ص٥٩٦ ـ ٥٩٧.

١٢ ـ جرائم جيش المنصور في الأهواز:

قال ابن الأثير:

«... فقال له المنصور: اعمد إلى إبراهيم ولا يروعنك جمعُه، فوالله إنهما جملا بني هاشم المقتولان! فثق بما أقول. وضم إليه غيرَه من القواد. وكتب إلى المهديّ يأمره بإنفاذ خزيمة بن خازم إلى الأهواز، فسيره في أربعة آلاف فارس فوصلها وقاتل المغيرة، فرجع المغيرةُ إلى البصرة، واستباح خزيمة الأهواز ثلاثاً»[٥٣٤].

حتى ولو استباحها لحظة من نهار أو ليل لكان ذلك حراماً في دين الله.

يا معشر الكُتَّاب هذا هو حال جيش بني العباس، فلماذا لا تلقون بهم في صفوف الخوارج؟

ولماذا عمدتم إلى الإباضية الوقافين عند حدود الله ووسمتموهم بالخوارج ظلماً وعدواناً؟ **فحسبنا الله ونعم الوكيل.**

١٣ ـ مشهد إجرامي فيه دليل على اضطراب مقاييس كُتَّاب التاريخ:

قال ابن الأثير:

«فاستخلف زُفَرُ على قرقيسيا أخاه أوس بن الحرث وعزم على أن يغير على بني تغلب ويغزوهم، فوجه خيلاً إلى بني فَدَوْكَس بطن من تغلب فقتل رجالهم واستبيحت أموالهم ونساؤهم... وبعث زفر أيضا مسلم بن ربيعة العقيلي إلى قوم تغلب مجتمعين فأكثر فيهم القتل... وترجل أصحاب زفر أجمعون وبقي زفر على بغل له فقتلوهم ليلتهم **وبقروا بطون نساء منهم...**»[٥٣٥].

---

(٥٣٤) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٥٦٥ ـ ٥٦٦.

(٥٣٥) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٣١٨.

هذه الأحداث التي سجلها ابن الأثير، من قتل وبقر لبطون النساء، لم تهز له شعرة ولم يجرؤ على وصف زفر بن الحرث وقائده مسلم بن ربيعة العقيلي بالخوارج.

فحينما تضطرب المقاييس، ولم يراع للكلمة الصادقة حقها، فإنك يا أخي القارئ الكريم ستجد المجرمين لا ينالهم من الكُتَّاب ما يستحقونه من وصف، بل ستجد ـ ويا للعار ـ كيل التهم الباطلة ضد من وقف أمام أصحاب هذه الأعمال الفاحشة. **فلله الأمر من قبل ومن بعد.**

١٤ ـ ابن الأثير واضطراب الموازين:

قال ابن الأثير:

«وقد جعلت تغلب عليها بعد شعيث زياد بن هوبر، ويقال: يزيد بن هوبر التغلبي، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت قيسٌ وقتلت تغلبُ ومن معها منهم مقتلةً عظيمةً **وبقروا بطون ثلاثين امرأة من بني سُلَيم**»[٥٣٦].

الحروب عند هؤلاء الناس لا تنتهي إلا بالمقتلة العظيمة وببقر بطون النساء، ومع هذا لا يصفهم ابن الأثير ومن سار على نهجه بالخوارج.

١٥ ـ مروان الأموي واستباحته لأرواح المسلمين وأموالهم:

قال ابن الأثير:

«وانهزم سليمان ومن معه، واتبعتهم خيلُ مروان تقتل وتأسر، واستباحوا عسكرهم، ووقف مروان موقفا ووقف ابناه موقفين، ووقف كوثر صاحب

(٥٣٦) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٣١١.

شـــرطته موقفا، وأمرهم أن لا يؤتَوا بأسير إلا قتلوه إلا عبداً مملوكاً. فأُحصي من قتلاهم يومئذ [ما] نَيَّف على ثلاثين ألف قتيل»[٥٣٧].

وقال ابن الأثير أيضاً: «وقدم على ســـلم بعد ذلـــك أربعةُ آلاف من عند مروان فأرادوا نهب مَنْ بقي من الأزد، فقاتلهم قتالاً شـــديداً، وكثرت القتلى بينهم، وانهزمت الأزد، ونُهبت دورهم، وسُـــبيت نســـاؤهم، وهدموا البيوت ثلاثة أيام...»[٥٣٨].

تلكم هي أعمال آخر ملوك بني أمية، ففي يوم واحدة يقتل ما يزيد على ثلاثين ألفاً، ويقدم جنوده على ســـبي المسلمات وهدم البيوت ونهب الدور، ومع هـــذا كله يعده الكُتَّـــاب من خلفاء الإســـلام، فيا للعجـــب لأمر هؤلاء المؤرخين والكتاب.

أما عَلِمَ مروان وجنوده أن في الإســـلام «عـــدم التعرض لمن لا يحارب حتى لو كان قادراً على الحـــرب»[٥٣٩]؟. فبأي مبدأ يقدم مـــروان على فعلته النكراء هذه؟

هذا الإجرام الذي بلغ أقصى حد يمكن أن يتصوره الإنســـان لم يشـــفع لجنود بني أمية عند ابن الأثير لكي تتبوأ أســـمائهم المـــكان اللائق بهم في قائمة الخوارج.

وهنا نســـأل ابن الأثير ومن ســـار على نهجه: ما الذي أخرج مروان بن محمد من قائمتكم التي ســـجلتم فيهـــا الخوارج؟ ألم يأت مـــروان وجنوده بأضعاف مضاعفة من سيء الفعال التي نُسبت إلى الخوارج؟

---

(٥٣٧) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٣٣٢.

(٥٣٨) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧.

(٥٣٩) أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية الشريفة، ص ٧٩.

ونسأل الدكتور محمد الشريف: ألا ينطبق وصفك للخوارج على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، خاصة وقد أتى بشنائع الأفعال التي لم يشهدها المسلمون إلا عندما اجتاحت جحافل الكفر وجيوش التتار والنصارى بلاد المسلمين؟

فقد أورد ابن الأثير ما نصه: «اجتمعت الكُرج في خلق كثير يبلغون ثلاثين ألف مقاتل، ودخلوا بلاد الإسلام، وقصدوا مدينة دُوَين من أذربيجان، فملكوها ونهبوها، وقتلوا من أهلها وسوادها نحو عشرة آلاف قتيل، وأخذوا النساء سبايا، وأسروا كثيراً، وأعروا النساء وقادوهنّ حفاة عُراة، وأحرقوا الجوامع والمساجد...»[٥٤٠].

وقد جاء على لسان ماثيو كار ما نصه: «وفي بعض الحالات، اضطر الجنود النصارى إلى إحراق عائلات كاملة في بيوتها، لأن المورسكيين كانوا يصدون تقدمهم بأي أسلحة تقع تحت أيديهم، كالسيوف والسكاكين والمساعر الحديدية والأحجار. وبعد معركة دامت تسع ساعات، دانت البلدة أخيراً للنصارى، وأمر دون خوان جنوده بذبح السكان جميعاً عقاباً على تحديهم. فقتل نحو ٤٠٠ رجل وامرأة وطفل...»[٥٤١].

وقال في موضع آخر من كتابه: «ففي عيد الفصح ١٥٨٨، أحرق لاتراس وأتباعه من الجبليين قرية كودو المورسكية تماماً بعد أن فر أهلها. وتلا ذلك هجوم أكثر دموية على قرية بينا النصرانية ـ المورسكية المختلطة، قتل فيه رجال لاتراس مئات المرسكيين في الميدان الرئيس أو ألقوا بهم من فوق برج الدير المحلي»[٥٤٢].

(٥٤٠) الكامل في التاريخ، ج١١/ ص٢٨٦.
(٥٤١) الدين والدم إبادة شعب الأندلس، ص٣١١.
(٥٤٢) الدين والدم إبادة شعب الأندلس، ص٣٣٩.

وقال ماثيو كار أيضاً: «... وفي بعض الحالات كان البحارة النصارى يغتصبون النساء وحتى الأطفال ثم يرمونهم في البحر. في واحدة من الحوادث القليلة التي تتوافر حولها تفاصيل محددة، تآمر ربان قطلوني يدعى خوان ريبيرا مع ربان نابولي لانتظار أحدهما الآخر في منتصف الرحلة، وذبح ركاب السفينتين. وبمجرد أن ابتعدت السفينتان عن البر، قتل ريبيرا وطاقمه الركاب المورسكيين على منصة الربان ورموا جثثهم في البحر. ووعد البحارة الركاب بالطابق السفلي بأنهم لن يقتلوا إذا سلمهم الرجال أموالهم وممتلكاتهم. ثم صعد الركاب االذكور إلى السطح واحداً بعد الآخر، حيث كانوا يسرقون ويقتلون ويرمون في البحر. وحين صعدت نساؤهم إلى السطح واكتشفن ما حدث، أصيبت كثيرات منهن بالهلع، فألقين بأنسهن في البحر ومعهن أطفالهن. في حين اغتصبت أخريات قبل أن يلقين في البحر»[٥٤٣].

تلكم هي أعمال جنود بني أمية وملوكهم في حق المسلمين، وهي نفس الجرائم التي شهدتها الأندلس على أيدي النصارى، فأين هؤلاء وهؤلاء من قائمة ابن الأثير وغيره التي أعدوها للخوارج؟

فالعجب كل العجب من صنيع ابن الأثير ومن سار على نهجه حينما تسابقت أقلامهم بوصف الإباضية، الذين وقفوا أمام جيوش أولئك الطغاة، بالخوارج. وهذه مفارقة ليس لها ما يبررها سوى أن كُتَّاب التاريخ والفرق ومن سار مسيرهم لم تكن كتاباتهم لأجل الدفاع عن هذا الدين بل لأجل قذف الأبرياء بالأباطيل في خضم التنافس المذموم الذي شهدته الساحة الإسلامية في الماضي.

فأين العدالة؟ وأين الصدق في القول والأحكام؟

(٥٤٣) الدين والدم إبادة شعب الأندلس، ص ٤٤٥.

وأستعير هنا قولة القائل: «إلى متى سيسمى إرهاب المستبدين عدالة، وعدالة الشعب بربرية أو تمرداً؟»(٥٤٤).

١٦ ـ جرائم جنود بني العباس صورة لأفعال الكفار في ديار الإسلام:

أخي القارئ الكريم:

قد تدرك بشاعة ما قام به جنود بني العباس بعد أن تقرأ ما نقله ابن الأثير عن فعلة ملك الروس في مدينة بردعة المسلمة: «... فوضع الروسية فيهم السلاح فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأسروا بعد القتل بضعة عشر ألف نفس **وجمعوا من بقي بالجامع**... فلما رأى الروسية أنه لا يحصل منهم شيء قتلوهم عن آخرهم، ولم ينج منهم إلا الشريد، وغنموا أموال أهلها واستعبدوا السبي، واختاروا من النساء من استحسنوها»(٥٤٥).

فبعد أن جمع الروم المسلمين في الجامع أحدثوا فيهم القتل والتشريد ونهب الأموال، وهذه الجرائم هي نفسها التي اقترفتها أيدي جنود بني العباس حسب ما نقله لنا ابن الأثير: «وفي هذه السنة استعمل السفاح أخاه يحيى بن محمد على الموصل... وسيره إليها في اثني عشر ألف رجل... ثم دعاهم فقتل منهم اثني عشر رجلاً، فنفر أهل البلد وحملوا السلاح، فأعطاهم الأمان، **وأمر فنودي: مَنْ دخل الجامع** فهو آمن؛ فأتاه الناسُ يهرعون إليه، فأقام يحيى الرجال على أبواب الجامع، فقتلوا الناسَ قتلاً ذريعاً أسرفوا فيه، فقيل: إنه قتل فيه أحد عشرَ ألفاً ممن له خاتم وممن ليس له خاتم خلقاً كثيراً. فلما كان الليل سمع يحيى صراخ النساء اللاتي قُتل رجالهن، فسأل عن ذلك الصوت،

(٥٤٤) الحرب المقدسة الاستشهاد والإرهاب أشكال العنف المسيحية في الغرب، ص٣١٣، نقلا عن روبسبيير.

(٥٤٥) الكامل في التاريخ، ج٨/ ص٤١٢ ـ ٤١٣.

فأخبر به، فقال: إذا كان الغد فاقتلوا النساء والصبيان. ففعلوا ذلك، وقتل منهم ثلاثة أيام، وكان في عسكره قائد معه أربعة آلاف زنجي، فأخذوا النساء قهراً... وفيمن قُتل معروف بن أبي معروف، وكان زاهداً عابداً، وقد أدرك كثيراً من الصحابة وروى عنهم»[٥٤٦].

لعلك أخي القارئ قد أدركت من هذين المشهدين، وبعد وزنك للجريمتين، منزلة السفاح العباسي وجنوده في ميزان الإسلام.

كل ما سُجل على الخوارج عبر تاريخهم الطويل إلى نهاية تأليف كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير لا يتجاوز عُشر معشار ما سجله ابن الأثير وغيره على ملوك بني أمية وملوك بني العباس.

فأين هم الكُتَّاب من هذه الجرائم المروعة في حق الأبرياء؟

ففي فترة الصراع الذي كان بين بني العباس وبني أمية سالت دماء مسلمة، ونهبت أموال محرمة، وقتلت نساء مسلمات، وبقرت بطون المؤمنات عن أجنتهن الآمنة، ومع كل هذه الجرائم فإننا لا نجد لأولئك المجرمين ذكراً في قائمة الخوارج التي تحفل بها كتب التاريخ.

وبعد أن تمكن بنو العباس من البلاد والعباد ما كان منهم إلا الاستمرار على نهج مروان وجنوده في القتل والنهب وشق البطون.

أما علم ملوك بني أمية وجنودهم أن «من المبادئ الأساسية في الإسلام التمسك بالفضيلة والأخلاق الإسلامية، حتى وإن انتهكها الأعداء، فالمعاملة بالمثل لا تعني أن يتجاوز المسلم مبادئ الفضيلة والأخلاق، والمسلم عندما يدخل الحرب فإنه يدخلها بأخلاقه وليس بأخلاق أعدائه»[٥٤٧]؟

(٥٤٦) الكامل في التاريخ، ج٥/ص٤٤٣ ـ ٤٤٤.

(٥٤٧) أخلاقيات وسلوكيات الحرب عند رسول الله ﷺ، ص١٣٢.

أما علم ملوك بني العباس وجنودهم أن «القرآن قد أقر رد الاعتداء بمثله، غير أنه إذا انتهك العدو حرمات الفضيلة فلا تنتهك، فإذا كان العدو ينتهك حرمة النساء لا نفعل ذلك، وإذا كان يقتل النساء والذرية الضعاف لا نقتلهم... وإذا كان العدو يمثل بالقتلى ويشوه أجسامهم بعد قتلهم ويفعل ذلك في قتلى المسلمين فلا نجاريه في ذلك»[٥٤٨].

قال سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله تعالى: «إذا كان الإسلام يأمر بالتحلي بالأخلاق في أثناء المسالمة، فإنه لا يعدم هذه السمة في أثناء الحرب، فالحرب في الإسلام لا تخرج عن إطار الأخلاق، ولا تشن إلا من أجل غاية إنسانية نبيلة، بحيث لا ينتج عنها إلا العدل والإنصاف، وإطفاء سعير الفتن، ونشر المرحمة بين الناس»[٥٤٩].

وهكذا دارت عجلة الزمن ببني أمية وببني العباس وبمن جاء من بعدهم من الطغاة فـ«كل من حاول استعادة الرشد من بعد لجأ إلى الغيّ أي الأداة **المروانية الجاهلية** نفسها: السيف. هذا ما فعله العباسيون ومن بعدهم كثير فلم ترجع الحياة الراشدية واستمر السيف فوق القانون»[٥٥٠].

وهكذا عاشت الأمة الإسلامية ردحاً من الزمن لا تلد فيها الفوضى إلا فوضى أشد وأعمى منها، ولا ينجب الاستبداد إلا استبداداً أشد وأطغى، وقد تناسى جنود الطغيان أن «الاستبداد لا يُزال ولا يُحارب بالاستبداد، والفوضى لا تُمحى ولا تُعالج بالفوضى»[٥٥١].

---

(٥٤٨) أخلاقيات وسلوكيات الحرب عند رسول الله ﷺ، ص١٣٣.

(٥٤٩) نداء الحق، ص٣١٤.

(٥٥٠) كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد، ص٢٢٦.

(٥٥١) التيه العربي (تأملات في الواقع الصعب)، ص١٤٢، نقلًا عن الشاعر زيد الموشكي.

وبقي ابن الأثير ومن نهج نهجه، وهم يسطرون الأحداث، لا يتعدون ذكر الحدث إلى وصف المجرمين بما يستحقونه من أوصاف.

وفي الوقت الذي يتهم فيه ابن الأثير وغيره الإباضية بالخوارج، لا لشيء إلا لأن الإباضية حاربوا هؤلاء المجرمين من الأمويين والعباسيين، نجدهم يصمتون صمت القبور الدارسة أمام جرائم العباسيين والأمويين.

ونحن الإباضية لا نجيز تصرفات الفئات المتهورة المتطرفة المتوحشة من الخوارج وغيرهم، وقد حاربنا من أتى بأعمالهم في الغرب والشرق، وننكر الإجرام أيا كان فاعله، ولن يجد أي مجرم في صفوفنا من يداهنه ويتستر عليه.

فإذن، لماذا يصفنا الكُتَّاب ظلماً وزوراً بالخوارج، ولا ينال الظالمين منهم ما يستحقونه من أحكام؟ فهذا المسلك المضطرب أبعد ابن الأثير ومن سار على دربه عن النهج الإسلامي السوي في تقييم الجماعات والأفراد.

«والله حسيب من ينسب إلينا ما ليس من مذهبنا»[٥٥٢]. «فليتقوا الله فينا فإن العبء ثقيل، والأمانة جسيمة، والحساب بين يدي الله عسير...»[٥٥٣]، **فحسبنا الله ونعم الوكيل.**

١٧ ـ اضطراب الموازين لدى كُتَّاب التاريخ:

قال ابن الأثير:

«وفي هذه السنة قتل قحطبةُ بن شبيب[٥٥٤] من أهل جرجان ما يزيد على ثلاثين ألفا»[٥٥٥]

(٥٥٢) جواب العزابة رداً على البهلولي علي بن أبي الحسن، ص ٢٧.
(٥٥٣) الحدود بين حرية التعبير والإساءة إلى الآخر، ص ٩٥.
(٥٥٤) هذا أحد قادة الدولة العباسية الذين أسرفوا في القتل حتى استقامت الأمور لهم، والله المستعان.
(٥٥٥) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٣٩٢.

فقحطبة بن شـبيب قتل أكثر من ثلاثين ألفاً ومع هذا لم يذكر بسوء في صفحات ابن الأثير وغيره. فأين الإنصاف يا كُتَّاب التاريخ؟

١٨ ـ كُتاب التاريخ في عمى عن جرائم قادة بني العباس:

قال ابن الأثير:

«وكان عبد الله بن علي قد خشي أن لا يناصحه أهلُ خراسان فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً...»[٥٥٦].

فعبد الله بن علي القائد العباسـي يقتل من أهل خراسـان هذا العدد من المسلمين ومع هذا لا نجده في قائمة الخوارج. كيف نجى هذا القائد العباسي من قائمة ابن الأثير؟

إنها لإحدى عجائب المؤرخين حين نجد في قائمتهم السوداء، التي أعدوها للخوارج، أسـماء مجاهيل لا يعرفون أبداً، ولا نجد فيها اسم عبد الله بن علي، القائد العباسي، المعروف نسباً وفعلاً، والذي قتل سبعة عشر ألفا من المسلمين.

فهل من معتبر؟

١٩ ـ ابن الأثير، ومن سار على دربه، أصحاب ميول وأهواء:

قال ابن الأثير:

«وكان أبو مسلم قد قتل في دولته ستمائة ألف صبراً»[٥٥٧].

فأبو مسلم من أوائل قادة بني العباس، وهو الذي وطد لهم الملك بعد أن قتل الآلاف من المسـلمين الأبرياء، فما الذي كان يمنع ابن الأثير أن يقول

(٥٥٦) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٤٦٥.
(٥٥٧) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٤٧٦.

كلمة الحق في وصف أبي مسلم، الذي نُسب إليه قتل أكثر من نصف مليون مسلم صبراً في غير معركة؟، إنها الأهواء التي أصمت وأعمت ابن الأثير ومن سار على نهجه عن قول الحق في هؤلاء المجرمين. **والله مستعان.**

٢٠ ـ الهوى يلجم الألسن عن قول الحق:

قال ابن الأثير:

«قبض المقتدر على الوزير أبي الحسن بن الفرات في ذي الحجة... ولما قبض على الوزير وكّل بداره، وهتك حُرَمه، ونهب ماله، ونُهبت دور أصحابه ومَن يتعلق به...»[٥٥٨].

أليست هذه هي أعمال الخوارج؟، فلماذا إذاً لا يوصف المقتدر وجنوده بما يستحقون؟

إنه الهوى يلجم الألسن عن قول الحق. **نسأل الله السلامة.**

٢١ ـ نهب وقتل في بلاد الرافدين:

قال ابن الأثير:

«وسير أبو عبد الله البريدي أخاه أبا الحسين إلى بغداد في جميع الجيش من الأتراك والديلم.... فثاروا في بغداد وأحرقوا ونهبوا، وأخذوا الناس ليلاً ونهاراً... وقتل أصحاب البريدي من وجدوا في دار الخليفة من الحاشية، ونهبوها، ونهبوا دور الحرم. وكثر النهب في بغداد ليلاً ونهاراً... لما استولى على بغداد أخذ أصحابه في النهب والسلب وأخذ الدواب وجعلوا طلبها طريقا إلى غيرها من الأثاث، وكُبست الدور، وأُخرج أهلها منها ونُزلت، وعظم الأمر...»[٥٥٩].

(٥٥٨) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٦٣.

(٥٥٩) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٣٨٠ ـ ٣٨١.

نعم إنه لأمر عظيم حينما يُقتل المسلم ويُنهب ماله، ومثل هذا الأمر العظيم تكرر ذكره في تاريخ ابن الأثير، ولكنه لم يصف من فعله بالخوارج. **نسأل الله الصدق في القول والعمل.**

٢٢ ـ نهب وقتل وإحراق وهتك أعراض في ديار المسلمين:

وقال ابن الأثير:

«... ودخل الغز البلد ونهبوه، وانتقلوا إلى سمنان ففعلوا فيها مثل ذلك، ودخلوا خوار الري ففعلوا مثله، ونهبوا إسحق آباذ وما يجاورها من القرى، وساروا إلى مشكويه من أعمال الري فنهبوها... فإنهم لم يتركوا الشر والفساد، والقتل والنهب، وساروا إلى مراغة،... وأحرقوا جامعها، وقتلوا من عوامها مقتلة كثيرة... ونهبوا نهبا فاحشا، وسبوا النساء... ودخل الغز همذان... فلما دخلوها نهبوها نهباً منكراً لم يفعلوه بغيرها من البلاد... ودخل الغز البلد (يقصد الموصل) فنهبوا كثيراً منه... وعمل الغز بأهل الموصل الأعمال الشنيعة من الفتك وهتك الحريم ونهب المال... ووضعوا السيف في أهله، أسروا كثيراً، ونهبوا الأموال، وأقاموا على ذلك اثني عشر يوماً يقتلون وينهبون... وبقي القتلى في الطريق، فأنتنوا لعدم من يواريهم، ثم طُرحوا بعد ذلك كل جماعة في حفيرة، **وكانوا يخطبون للخليفة، ثم لطغرلبك**... هذه أخبار الغز العراقيين»[٥٦٠].

لماذا جف قلم ابن الأثير عن وصف هؤلاء المفسدين بالخوارج؟، هل لكونهم يخطبون للخليفة منع قلمه من أن يصفهم بالخوارج المفسدين في الأرض؟

(٥٦٠) الكامل في التاريخ، ج ٩/ ص ٣٧٩ ـ ٣٩١.

٢٣ ـ ابن الأثير ووزن الأحداث بموازين الهوى:

قال ابن الأثير:

«... ورد سعدي بن أبي الشوك في جيش من عند السلطان طغرلبك إلى نواحي العراق... ونهب أصحاب سعدي البلاد حتى بلغوا النعمانية، فأسرفوا في النهب والغارة، وفتكوا في البلاد، وافتضوا الأبكار، فأخذوا الأموال والأثاث فلم يتركوا شيئا...»[٥٦١].

لقد ذكر ابن الأثير، وغيره ممن سار على نهجه في قلب الموازين، أن الخوارج من يكثر في النهب ويفتك بالبلدان ويفتض الأبكار.

فسؤالنا لكل من اضطربت عنده المقاييس: لماذا لا تصفون طغرلبك وأفراد جيشه بالخوارج وقد أتوا بأعمالهم حسب ما سُجل في كُتُبِكم؟.

لماذا تزجون بالأبرياء في قائمة الخوارج وتتركون أمثال هؤلاء المفسدين الذين نقلتم لنا أخبارهم؟

٢٤ ـ شقاق بين الأقارب يفضي إلى جرائم حرب:

قال ابن الأثير:

«فارق سعدي بن أبي الشوك عمه مهلهلاً، ولحق بإبراهيم يَنّال فصار معه... فلما رأى سعدي تحصُّنَ عمه منه خاف على مَن خلّفه بحُلوان فعاد عازماً على محاصرة القلعة، فمضى وحصرها، وقاتله من بها من أصحاب عمه، ونهب الغُزُّ حلوان، وفتكوا فيها وافتضوا الأبكار، وأحرقوا المساكن، وتفرق الناس، وفعلوا في تلك النواحي جميعها أقبح فعل»[٥٦٢].

(٥٦١) الكامل في التاريخ، ج ٩/ ص ٥٨٩ ـ ٥٩٠.

(٥٦٢) الكامل في التاريخ، ج ٩/ ص ٥٣٢ ـ ٥٣٣.

ألا تكفي هذه الأفعال للحصول على مكان مرمـــوق في قائمة الخوارج السوداء؟!!!.

سؤال نوجهه إلى من سار على نهج ابن الأثير.

٢٥ ـ أين العدالة يا كُتَّاب التاريخ؟

قال ابن الأثير:

«فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضم إليها من العرب، وقصدوا البصرة في جمع كثير... فدخلوها بالســيف أواخر ذي القعدة، وأحرقوا الأســواق، والدور الحســان، ونهبــوا ما قدروا عليــه، وأقاموا ينهبــون ويحرقون اثنين وثلاثين يوماً وتشرد أهله في السواد، ونُهبت خزانة كتب كانت موقوفة، وقفها القاضي أبو الفرج بن أبي البقاء»[٥٦٣].

وقال ابن الأثيــر أيضاً: «... ودخــل العرب حينئذ البصــرة، وقد قويت نفوسهم، وملكوها، ونهبوا ما فيها نهباً شنيعاً، فكانوا ينهبون نهاراً، وأصحاب العميد عِصْمة ينهبون ليلاً، وأحرقوا مواضع عدة، وفي جملة ما أحرقوا دارين للكتب... وخربت وقوف البصرة التي لم يكن لها نظير...»[٥٦٤].

وقال ابن الأثير أيضاً: «فلما عبر الفرنج إلى أرض دمياط اجتمعت العرب على اختلاف قبائلهــا، ونهبوا البلاد المجــاورة لدمياط، وقطعــوا الطريق، وأفسدوا، وبالغوا في الإفساد، فكانوا أشد على المسلمين من الفرنج...»[٥٦٥].

---

(٥٦٣) الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ٤١١.

(٥٦٤) الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ١٨٤.

(٥٦٥) الكامل في التاريخ، ج ١٢/ ص ٣٢٦ ومما قاله ابن الأثير أيضاً: «وصار مع قراقوش عســكر كثير، فحكم على تلك البلاد بمســاعدة العرب بما جُبلت عليه مــن التخريب والنهب، والإفســاد بقطع الأشــجار والثمار، وغير ذلك، فجمع بها أموالًا عظيمةً...»(الكامل في =

فالعرب جنس من أجناس البشـــر، فهم مخاطبـــون كغيرهم بالوحيين. فعليهم كما على غيرهم من الشـــعوب القاطنة على وجه الأرض التمســـك بقيم الإسلام.

وهذه الأعمال التـــي ذكرها ابن الأثير هنا هي جرائم يحاربها الإســـلام، وأعد الله لمن قام بها عذاباً شديداً لما اقترفته أيديهم.

فهؤلاء القطعان من العرب لم يضعهم ابن الأثيـــر في قائمته التي أعدها للخوارج، وإن أتوا بأفعال كأفعال الإفرنج في ديار الإسلام؛ فقد قال ماثيو كار صاحب كتاب (الدين والدم) وهو يصف جانباً من جوانب حروب الأســـبان للمسلمين في بلاد الأندلس: «... أمر الملكان الكاثوليكيان بحرق كل الكتب والمخطوطات الإســـلامية في الإمارة السابقة تحت تهديد الموت أو مصادرة الممتلكات...»[٥٦٦].

فنسأل ابن الأثير ومن سار على نهجه: لماذا ترمون بالإباضية المتمسكين بأهداب الإســـلام والمتبعين لأمـــر الله في المنشـــط والمكـــره في صفوف الخوارج، وتتركون هؤلاء القطعان الذين سجلتم عليهم هذه الجرائم المخزية التي لا يأتي بها إلا أعداء الإسلام؟.

فأين العدالة يا كُتَّاب التاريخ؟

= التاريخ، ج١١/ ص٣٨٩). وقال أيضاً: «وفيها أفســـد العرب في باديـــة البصرة بين اليمامة والبحرين، وقطعوا الطريق، وانتهكـــوا المحارم، وتركوا الصلاة، فأرســـل المهدي إليهم جيشاً، فقاتلهم، واشتد القتال، وصبر العرب، فظفروا، وقتلوا عامة العسكر المنفذ إليهم، فقويت شوكتهم وزاد شرهم». (الكامل في التاريخ، ج٦/ ص٧٧). وذكر ابن الأثير جانباً من مفاســـد العرب الذين تجردوا من تعاليم الإســـلام، انظر (الكامل في التاريخ، ج١٢/ ص٨٠، وج ١٢/ ص٤٢٨).

(٥٦٦) الدين والدم إبادة شعب الأندلس، ص١٦٧.

٢٦ ـ جرائم حرب في ديار المسلمين، فأين المنصفون؟

قال ابن الأثير:

«... وأما عسكر جلال الدين فنهب البلاد وأهلكها، وكان قد وصل هو وعسكره إلى خُوزستان في ضرّ شديد وجهد جهيد، وقلّة من الدوابّ، والذي معهم فهو من الضعف إلى حدّ لا يُنتفع به فغنموا من البلاد جميعها، واستغنوا... وسار من يعقوبا إلى دَقوقا فحصرها، فصعد أهلها إلى السور وقاتلوه، وسبّوه وأكثروا من التكبير، فعظم ذلك عنده، وشق عليه، وجدّ في قتالهم، ففتحها عنوة وقهراً، ونهبتها عساكره، وقتلوا كثيراً من أهلها، فهرب مَن سلم منهم من القتل وتفرّقوا في البلاد»[٥٦٧].

من فضل الله تعالى على المسلمين أن حفظ لهم كتابهم الذي يَفصل بين الحق والباطل، وبين الإخلاص والرياء، وبين الصدق والكذب، وبين أداء الأمانة ودسها وسط تلافيف الدعاوى الباطلة.

فهؤلاء القوم الذين نسب إليهم القتل والنهب، فأين يذهبون من عدل الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون؟

فحسبنا الآن أن نكرر سؤالنا على ابن الأثير وعلى من سار على نهجه: لماذا تلقون بالأبرياء في صفوف الخوارج وتتركون هؤلاء المجرمين من غير وصف وأنتم تذكرون شنائعهم؟

٢٧ ـ جرائم في بلاد الأندلس على يد من ادعى الإسلام

قال ابن الأثير:

«ثم أمر ابن عمه عبيد الله، فثلم في السور ثلمة، وخرج منها ومعه قطعة من الجيش، وأتَى أهل الربض من وراء ظهورهم، ولم يعلموا بهم، فأضرموا النار

(٥٦٧) الكامل في التاريخ، ج ١٢/ ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧.

في الربض، وانهزم أهله، وقتلوا مقتلة عظيمة، وأخرجوا مَنْ وجدوا في المنازل والدور، فأسروهم، فانتقى من الأسرى ثلاثمائة من وجوههم، فقتلهم، وصلبهم منكسين، وأقام النهب والقتل والحريق والخراب في أرباض قرطبة ثلاثة أيام.

ثم استشار الحكمُ عبدَ الكريم بن عبد الواحد بن عبد الغيث، ولم يكن عنده من يوازيه في قربه، فأشار عليه بالصفح عنهم، والعفو، وأشار غيره بالقتل، فقبل قوله، وأمر فنودي بالأمان، على أنه مَنْ بقي من أهل الربض بعد ثلاثة أيام قتلناه وصلبناه؛ فخرج مَنْ بقي بعد ذلك منهم مستخفياً، وتحمّلوا على الصعب والذلول خارجين من حضرة قرطبة بنسائهم وأولادهم، وما خف من أموالهم، وقعد لهم الجند والفسقة بالمراصد ينهبون، ومَنِ امتنع عليهم قتلوه»[٥٦٨].

أخي القارئ الكريم: وأنت تقرأ هذه الأحداث التي فيها القتل والنهب والتمثيل بجثث المسلمين فلا تذهب بك الظنون أن الفاعلين لهذه الجرائم هم النصارى الذين أقاموا محاكم التفتيش في قرطبة وغيرها من ديار الأندلس. إن الذين قاموا بهذه الجرائم هم ممن انتسب للإسلام فكانوا أساتذة للأسبان الذين أتوا إلى قرطبة وفعلوا فيها ما فعله الحكم بن هشام الأموي في حق أهل ملته.

فأين هؤلاء القوم من الإسلام الذي «يوصي أتباعه أن يعاملوا الأسرى معاملة حسنة في كل شيء ولا يساء إليه حتى تضع الحرب أوزارها...»[٥٦٩].

فبأي حُكم يحكم الحَكم في أسرى المسلمين، والإسلام حرم كل الجرائم التي ارتكبها؟

(٥٦٨) الكامل في التاريخ، ج٦/ص٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٥٦٩) أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية الشريفة، ص٧٧.

فسؤالنا لكُتّاب التاريخ: أليس من حق الحكم بن هشام الأموي وجنوده أن يكونوا في مقدمة قائمة الخوارج؟ أم أن نسبه الأموي يعطيه حصانة لا تغالب؛ فيبقى بعيداً عن قائمة الخوارج ولو أتى بما أتى به أعداء الإسلام من فضائع؟

وكأنني أرى الفيلسوف الفرنسي وهو يكتب قوانين سلوك البشر الذين تركوا الدين الحق جانباً، وتعاملوا فيما بينهم حسب الأهواء ورغائب النفوس الجائرة، يشير لما فعله الحكم بن هشام في أبناء الإسلام حيث قال: «في الصراعات السياسية أو الدينية[٥٧٠] لا يسع المهزوم أن يأمل الرحمة. فمنذ أيام سيلا Sylla الذي جزّ أعناق مئتي سيناتور وخمسة أو ستة آلاف روماني، وحتى المنتصرين على الكومونة الذين أعدموا رميا بنار البنادق والرشاشات أكثر من عشرين ألفاً من المهزومين بعد انتصارهم، فإن هذا القانون الدموي لم يتوقف على الإطلاق. لقد تأكد في الماضي وسيظل دون شك سارياً في المستقبل أيضاً»[٥٧١].

إن كان هذا القانون الدموي يمشي كالظل مع الوحوش، فإنه لا وجود له في تعاليم الإسلام، ولا وجود له في تاريخ أئمة الإباضية وغيرهم من أبناء الأمة الإسلامية القائمين على حدود الله والمتمسكين بدينه الحنيف.

فهل سترتفع همم كُتّاب التاريخ؟ وهل سيؤدون أمانة الكتابة من غير إفراط ولا تفريط؟ وهل سيخافون الله تعالى في كلامهم عن المسلمين؟

---

(٥٧٠) لا يمكن للمسلم أن يعتبر ما حدث بين المسلمين من حروب أن منشأها ديني، فالدين الإسلامي يدعو للوحدة والتحلي بالأخلاق السامية التي تحرم سفك الدماء ونهب الأموال، والكاتب يعبر هنا عن نظريات سُميت دينية في أوساط مجتمعه وأذهان أبناء جلدته.

(٥٧١) الثورة الفرنسية وسيكولوجيا الثورات، ص ٩٨.

فالجـــواب «بنعم» على هذه الأســـئلة منوط بابتعاد الكُتَّـــاب عن تبعات الأهواء وظلم الأبرياء.

٢٨ ـ من جرائم إبراهيم بن أحمد الأغلبي في ديار الإسلام:

قال ابن الأثير:

«وفيها أوقع إبراهيم بـــن أحمد بن الأغلب بأهل بلد الـــزاب، وكان قد حضر وجوههم عنده، فأحســـن إليهم، ووصلهم، وكساهم، وحمّلهم، ثم قتل أكثرهم، حتى الأطفال، وحملهم على العجل إلى حفرة فألقاهم فيها»[٥٧٢].

وهذا شـــخص آخر معروف بنســـبه وقد عرفه ابن الأثير بجرائمه، ولكن لا نجد له ذكراً في قائمة الخوارج.

فأين موازين العـــدل في التاريخ؟؛ فقد حُشـــر في قائمـــة الخوارج الأبرياء والمجاهيل وضاقت تلك القائمة على من عُرف واشتهر بجرائمه في حق المسلمين.

٢٩ ـ فأين العدالة يا كُتَّاب التاريخ؟

قال ابن الأثير:

«... وهرب إبراهيم وبعض من معه إلى القيـــروان، وتبعهم أصحاب أبي عبد الله يقتلون ويأســـرون، وغنموا الأموال والخيل والعُـــدَد، ودخل أصحابه مدينة الأُربُس فقتلوا بها خلقـــاً عظيماً، ودخل كثير من أهلها الجامع فقُتل فيه أكثر من ثلاثة آلاف ونهبوا البلد... ودخل أهل القيروان رقّادة ونهبوا ما فيها، وأخذ القويُ الضعيفَ، ونُهبت قصور بني الأغلب، وبقي النهب ستة أيام»[٥٧٣].

---

(٥٧٢) الكامل في التاريخ، ج ٧/ ص ٣٧٠.

(٥٧٣) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٤٥.

هاتان الطائفتان المتقاتلتان هنا، وعلى مدى تاريخهم الذي سجله عليهم كُتّاب التاريخ، لم يقلعوا عن النهب والقتل والاعتداء على الحرمات الآمنة في ديار الإسلام.

وقد وقف الإباضية أمام عجرفة الأغالبة وطغيان العبيديين فما كان منهم إلا نصرة الدين ورد الطغاة بكل ما آتاهم الله من قوة من غير أن تتلوث جنباتهم الطاهرة بمساوئ الحروب.

ومن عجائب كُتّاب التاريخ أنهم حينما يذكرون الإباضية يلمزونهم بالخارجية ولكنهم لا يرسلون نفس الوصف إلى الأغالبة والعبيديين الذين سجلوا عليهم هذه الجرائم. **فأين العدالة الإسلامية يا كُتّاب التاريخ؟**

٣٠ ـ ذبح أطفال المسلمين على يد من ادعى الإسلام:

أخي القارئ، أضع بين يديك هذه الأحداث والقلب يعتصر ألماً وحزناً، فقد نقل ابن الأثير:

«... في هذه السنة [يقصد سنة ٤٠٦ للهجرة] ظهر الاختلاف بين الأمير باديس، صاحب أفريقية، وعمه حماد، حتى آل الأمر بينهما إلى الحرب التي لا بقيا بعدها... فكان بينهم حرب انهزم [فيها] ابن جعفر ولجأ إلى باجة، وغنم حماد ماله وعُدده... ووصلت كُتُب حماد وإبراهيم إلى باديس أنهما ما فارقا الجماعة، ولا خرجا عن الطاعة، فكذبهما ما ظهر من أفعالهما من سفك الدماء، وقتل الأطفال، وإحراق الزروع والمساكن، وسبي النساء. ووصل حماد إلى باجة فطلب أهلها منه الأمان، فأمّنهم، واطمأنوا إلى عهده، فدخلها يقتل وينهب ويحرق ويأخذ الأموال... ووصل باديس إلى مدينة المَسِيلة، ولقيه أهلها، وفرحوا به، وسير جيشاً إلى المدينة التي أحدثها حماد، فخربوها إلا أنّهم لم يأخذوا مال أحد، وهرب إلى باديس جماعة كثيرة من

جند القلعة التي له، وفيها أخوه إبراهيم، فأخذ إبراهيم أبناءهم، وذبحهم على صدور أمهاتهم، فقيل أنه ذبح بيده منهم ستين طفلاً، فلما فرغ من الأطفال قتل الأمهات...»[٥٧٤].

فهل ينتظر ابن الأثير، ومن سار على نهجه، من هؤلاء المجرمين جرائم أشد فضاعة من هذه الأعمال حتى يضعوهم في صفوف الخوارج؟.

فهؤلاء المجرمون الذين سَلِموا من قائمة الخوارج أتوا بما أتى به أعداء الإسلام من أعمال حينما تسلطوا بجبروتهم على الآمنين.

وهذا الذي تسمى بالإسلام أخذ أبناء المسلمين «وذبحهم على صدور أمهاتهم...»، والصليبيون في القدس الشريف «كانوا يمسكون الأطفال من أقدامهم وينتزعونهم من أحضان أمهاتهم أو من مهادهم، ثم يهشمونهم على الجدران أو على أعتاب الأبواب ويكسرون أعناقهم»[٥٧٥].

فنقول لابن الأثير ومن سار على نهجه: إن الذين ذبحوا أطفال المسلمين على صدور أمهاتهم هم أولى بقائمتكم التي أعددتموها للخوارج وليس الإباضية الوقافون عند حدود الله.

٣١ ـ أوصاف في غير محلها:

قال ابن الأثير:

«... وعاد إلى إشبيلية فحصرها... واشتد الأمر على أهل البلد، ودخله المرابطون من واديه، ونُهب جميع ما فيه، ولم يبقوا على سَبَدٍ ولا لَبَدٍ، وسلبوا الناس ثيابهم، فخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بأيديهم،

(٥٧٤) الكامل في التاريخ، ج ٩/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٥٧٥) الحرب المقدسة الاستشهاد والإرهاب أشكال العنف المسيحية في الغرب، ص ٤٥٣.

وسُـبيت المخدرات، وانتُهكت الحُرُمات، فأُخذ المعتمد أسيراً، ومعه أولاده الذكور والإناث، بعد أن استأصلوا جميع مالهم، فلـم يصحبهم من ملكهم بُلغة زاد... فلما سـلّم إليهم إشـبيلية لم يفوا له، وأخذوهم أُسـراء، ومالهم غنيمة، وسُـيّر المعتمد وأهله إلى مدينة أغْماتَ، فحُبسـوا فيها، وفعل أمير المسلمين بهم أفعالاً لم يسـلكها أحد ممّن قبله، ولا يفعلها أحد ممّن يأتي بعده... فأبان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قُدرة»[٥٧٦].

أترك لك أخي القارئ الحُكم على صاحب هذه الأفعال التي ذكرها ابن الأثير.

وأترك لك التعجب من أمر ابن الأثير الذي وصف من نسـبت إليه هذه الجرائم بـ(أمير المسلمين).

فنسـأل ابن الأثير ومن سـار على نهجه: بأي ميزان ألبسـتم من انتهك المحرمات وسبى المخدرات إمارة المسلمين؟

أما كان من حقه أن يكون أميـراً على الخوارج حسـب أوصافكم التي سجلتموها في كتبكم؟

ألم يأت هذا الذي وصفتموه بـ(أمير المسـلمين) بما أتى به الفرنج في ديار الإسـلام؟، حيث نقلتم لنا ما نصه: «... فصعد الفرنج إليه [يقصد أحد حصون معرة النعمان] على السـلاليم، فلما علَوه تحيّر المسـلمون، ودخلوا دورهم، فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيام، فقتلوا ما يزيد على مائة ألف، وسبوا السبي الكثير، وملكوه...»[٥٧٧].

ألم يأت هذا الذي ألبسـتموه لباس الإمارة على المسـلمين بما أتى به

(٥٧٦) الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ١٩٠.
(٥٧٧) الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ٢٧٨.

أعداء الإسلام في بلاد الأندلس؟، حيث سجلتم في كتبكم ما نصه: «... خرجت الفرنج إلى بلاد الأندلس التي للمسلمين، فنهبوا وقتلوا وسبوا...»[٥٧٨].

فكيف يكون هذا الإنسان أميراً للمسلمين وقد أتى بأفعال الكفار في ديار الإسلام حسب نقلكم؟

إنها لإحدى الكبر المفجعات في التاريخ الإسلامي أن يوصف من سبى المخدرات وارتكب المحرمات بـ(أمير المسلمين). **فلله الأمر من قبل ومن بعد.**

٣٢ ـ «وفعلوا ما لم يفعله الكفار مع المسلمين»:

وذكر ابن الأثير طائفة من أعمال الغز في ديار الإسلام بعد أن عرفهم بقوله: «... وهم طائفة من الترك مسلمون، كانوا بما وراء النهر... لا يؤذون أحداً، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة»[٥٧٩].

ولكن ماذا حدث بعد وصفهم بهذا الوصف الجميل؟

نقل ابن الأثير:

«... ثم إن قماج عاودهم... وشدّد عليهم في الانتزاح عن بلده، فعادوا عنه، واجتمعوا وقاتلوه، فانهزم قماج ونهبوا ماله ومال عسكره، وأكثروا القتل في العسكر والرعايا، واسترقوا النساء والأطفال، وعملوا كل عظيمة، وقتلوا الفقهاء وخرّبوا المدارس... واستولى الغز على البلاد، وظهر منهم

(٥٧٨) الكامل في التاريخ، ج٨/ص٣٣٩، وانظر كذلك ما نقله الدكتور محمد بن موسى الشريف من جرائم الإفرنج في بلاد الأندلس في كتابه (من مآسي الافتراق، ص٥٤).

(٥٧٩) الكامل في التاريخ، ج١١/ص١٧٦.

من الجور ما لم يُسمع بمثله... فركب الغُزّ ودخلوا نيسابور ونهبوها نهباً مجحفاً، وجعلوها قاعاً صفصفاً، وقتلوا الكبار والصغار وأحرقوها، وقتلوا القضاة والعلماء في البلاد كلها... ويتعذر وصف ما جرى منهم على تلك البلاد جميعها، ولم يسلم من خراسان شيء لم تنهبه الغُزّ... واستولوا على نواحي بلخ، وعاثوا فيها وأفسدوا بالنهب والقتل والسلب... وقصدوا نيسابور، وتبعهم الغز، فمروا بطُوس، وهي معدن العلماء والزهاد، فنهبوها، وسبوا نساءها، وقتلوا رجالها، وخربوا مساجدها ومساكن أهلها... وأفنوا من بها من الشيوخ الصالحين، وساروا منها إلى نيسابور... ولم يجدوا دونها مانعاً ولا مدافعاً، فنهبوها نهبا ذريعاً، وقتلوا أهلها، فأكثروا حتى ظنوا أنهم لم يُبقوا بها أحداً، حتى إنه أُحصي في محلتين خمسة عشر ألف قتيل من الرجال دون النساء والصبيان، وسبوا نساءها وأطفالها، وأخذوا أموالهم، وبقي القتلى في الدروب كالتلال بعضهم فوق بعض، واجتمع أكثر أهلها بالجامع المنيعي تحصنوا به، فحصرهم الغز فعجز أهل نيسابور عن منعهم، فدخل الغز إليهم فقتلوهم عن آخرهم... وقتلوا كثيراً من أئمة العلماء والصالحين....»[٥٨٠].

هذه طائفة من أعمال الغز في الساحة الإسلامية كما ذكرها ابن الأثير في موسوعته التاريخية، وعلى رغم فضاعة هذه الأعمال فإننا لا نجد لأحد من هؤلاء الغز أي ذكر في قائمة ابن الأثير التي عدها للخوارج.

وبسبب بشاعة أعمال الغز في الساحة الإسلامية فقد اختتم ابن الأثير ما نسب إليهم بقوله: «**وفعلوا ما لم يفعله الكفار مع المسلمين**، وكان العيارون أيضا ينهبون نيسابور أشد من نهب الغز ويفعلون أقبح من فعلهم»[٥٨١].

(٥٨٠) الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ١٧٦ ـ ١٨١.

(٥٨١) الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ١٨٢.

واختتم ابن الأثير أيضاً ما نسب إلى أحدهم من الجرائم بقوله: «... **وعمل بأهل البلاد ما لا يعمله الفرنج، ولم يمنعه أحد عمّا يريد؛ ولم يكن عنده من الدين ما يزعه عن ذلك...**»[٥٨٢].

وفي موضع آخر نقل ابن الأثير ما نصه: «وعاد مجاهد الدين إلى الموصل، **فكان يحكي: إنني ما زلتُ انتظر العقوبة من الله تعالى على سوء أفعال العجم، فإنني رأيتُ منهم ما لم أكن أظنه يفعله مسلم بمسلم، وكنتُ أنهاهم فلا يسمعون، حتى كان من الهزيمة ما كان**»[٥٨٣].

فمن استخف بحرمات الله فلن يأتي إلا بما شاهدته أيها القارئ الكريم من فضائع كما نقلها لنا ابن الأثير في تاريخه. والنفس الإنسانية إن لم يقيدها عقال الدين، ولم تجعل للمصير الأخروي أي اعتبار فإنها ستأتي بكل قبيح من الأعمال ولو ادعت الإسلام.

لم يلتفت هؤلاء المجرمون والسفاحون لـ«المبادئ العامة للحرب في الشريعة الإسلامية»[٥٨٤]، فلهذا «**فعلوا ما لم يفعله الكفار مع المسلمين**».

٣٣ ـ مبادئ الإسلام وسلوك الأتباع:

فالمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وعبر القرون المتطاولة هم جميع جسد واحد يتألمون لمصاب إخوانهم، ويفرحون عندما ينال إخوانهم الفضل العظيم.

---

(٥٨٢) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٢٥٠.

(٥٨٣) الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ٥٠٤.

(٥٨٤) المسئولية الجنائية للقادة العسكريين في الحروب شرعاً ونظاماً، ص ٦٧ ـ ٧٠.

والمسلمون من جميع المذاهب الإسلامية مطالبون بأن يراعوا حق الأخوة في الدين، فلا يعتدي أحد على أحد بيد أو بلسان، إذ الجميع أمام الله تعالى سواسية وليس السبق إلا لمن جاء ربَه بقلب سليم.

وقد تهب أعاصير الفتن في المجتمعات حينما تغلب على القلوب الأهواء، وينتصر الناس للشعارات الرعناء، ويترك الدين وراء الظهور، وتركب الجماهير مراكب مخرقة تعصف بها أمواج الفتن فلا تكاد تسلم من الغرق إلا إذا أتاها المدد من الله على أيدي رجال اختارهم الله تعالى لرص الصوف ولتأليف القلوب ولجبر الخواطر ولتطهير المجتمعات المسلمة من كل الفتن.

وإذا رسمنا خطاً بيانياً أمامنا لرؤية مدى قرب المسيرة التاريخية للمسلمين وبعدها من الخط المتزن الذي رسمه الإسلام لأتباعه، وطالبهم للسير عليه من غير إفراط ولا تفريط، لوجدنا خطوات المجتمعات الإسلامية ـ سواء كانوا جماعات أو أفرادا ـ بين قرب أو بعد من الخط الوسط الذي منه تقاس الأفهام والسلوك، ونجد كذلك وفي فترات من الزمن تطابق خطوات السائرين على السبيل المستقيم الذي يعرفه كل مسلم.

لقد حدد الشرع لهذه الأمة ما تأتي وما تذر وبين لها مجالات التنافس بينها، وحذرها من الانزلاق، ومع ذلك جعل لأفرادها أدوات الإنابة والرجوع إلى الصراط المستقيم.

ومما ينبغي لنا قوله عندما ننقل أحداث التاريخ ألا نربط بين الانتساب للمذاهب الإسلامية وتصرفات الناس، لأن المذاهب الإسلامية في تعاليمها، القائمة على كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم وإجماع الأمة في أي عصر من العصور، هي الميزان الذي يوزن به مسلك الناس، وما تقترفه أيدي الأتباع مما ينكره الشرع إنما هو عمل لا تربطه بأسس تلك المذاهب أي رابطة،

فـ«الإسـلام يعلمنا أن من الخطأ البين إصدار حكم واحد على قبيلة أو أهل ملة أو بلدة؛ لأن ذلك التعميم سوف ينطوي على ظلم واضح؛ فلا يمكن أن تكون العدوانية أو الخيانة أو البخل صفة ملازمة لقبيل كبير من البشر»[٥٨٥].

ومما ذكره ابن الأثير من أحداث يتأسـف لها كل مسـلم، أنه «كان أهل العيث والفساد بنيسابور قد طمعوا في نهب الأموال وتخريب البيوت، وفعل ما أرادوا... ومن جملة ما خُرّب مسجد عُقَيل، وكان مجمعاً لأهل العلم، وفيه خزائن الكتب الموقوفـة، وكان من أعظم منافع نيسـابور؛ وخُرب أيضاً من مدارس الحنفية ثمان مدارس، ومن مدارس الشـافعية سـبع عشرة مدرسة، وأحرق خمس خزائـن للكتب، ونهب سـبع خزائن كتـب وبيعت بأبخس الأثمان؛ هذا ما أمكن إحصاؤه سوى ما لم يُذكر»[٥٨٦].

فأولئك الذي وصفهم ابن الأثير بـ«أهل العيث والفساد بنيسابور» لا بد أن يكونوا قد انتسبوا زوراً إلى مذهب من مذاهب الإسلام، ولا بد أنهم قد ركعوا وسجدوا في تلك المسـاجد التي خربوها، ولا بد أنهم قد استفادوا من خزائن الكتب التي أحرقوها، ولا بد أنهم قد تعلموا في تلك المدارس التي أفسدوها.

ولكن حينما هبـت عليهم أعاصير الفتـن، خرجوا مـن تعاليم تلك الصروح العلمية التي سـهر على إنجازها رجال قدموا أموالهم وأنفسـهم لأجل نشر العلم ورفع منارات الإسلام في تلك الديار التي أخرجت للعالم علماء أفذاذاً.

ومما يؤسف له أشد الأسف أن نجد في كتب التاريخ أن بعض الفتن التي حلت في ديار المسـلمين كانت على أيدي رجال ينظر إليهم على أنهم أهل

(٥٨٥) فصول في التفكير الموضوعي، ص٨٩.
(٥٨٦) الكامل في التاريخ، ج١١/ ص٢٧١ ـ ٢٧٢.

حديث وعلم ومعرفة وفقه وقضاء[٥٨٧]، وقد وجد في كتب التراجم والتاريخ أخبار فتن[٥٨٨]، وحروب[٥٨٩] وقعت بين أتباع المذاهب الإسلامية وكان من نتائجها وقوع القتلى بين المسلمين[٥٩٠]، وطرد العلماء[٥٩١]، وهجر مجالسهم العلمية[٥٩٢]، وإيذائهم[٥٩٣].

---

(٥٨٧) قال ابن الأثير: «وفيها قبض عضد الدولة على القاضي أبي علي المحسّن بن علي التنوخي، وألزمه منزله، وعزله عن أعماله التي كان يتولاها، وكان حنفي المذهب، شديد التعصب على الشافعي يطلق لسانه فيه، قاتله الله!» (الكامل في التاريخ، ج ٩/ ص ١٥).

(٥٨٨) البداية والنهاية، م ٧، ج ١٣/ ص ٢٢، و(الكامل في التاريخ، ج ٩/ ص ٦١٤)، و(الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ١٢٤)، و(الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ٥١٤).

(٥٨٩) من مآسي الافتراق، ص١٤ ـ ١٥.

(٥٩٠) قال ابن الأثير: «وفيها، [يقصد سنة ٣٥١ للهجرة] في جمادى الأولى، كانت فتنة بالبصرة وبهمذان أيضاً بين العامة بسبب المذاهب، قُتل فيها خلق كثير». (الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٥٤٤)، وانظر (الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٥١٧)، و(الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ١٠٤)، و(الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٢١٣)، و(الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٦)، و(الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ٢٥٠)، و(الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ٣٩٥)، و(الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ١٠٧).

(٥٩١) (الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ٣٣، ج ١٠/ ص ٢٠٩)، و(الكامل في التاريخ، ج ١٢/ ص ١٥١ ـ ١٥٢).

(٥٩٢) ومن الأفعال التي يكره سماعها كل مسلم غيور على وحدة هذه الأمة هو: «ما حصل للإمام الكبير أبي نعيم الأصبهاني؛ أحمد بن عبد الله، الثقة، شيخ الإسلام المتوفى سنه ٤٣٠ والذي كان من حفاظ الدنيا، فقد هجر بسبب المذهب، وقام إنسان مرة في مجلس تحديث يعلن عن مجلس أبي نعيم الأصبهاني فقام إليه أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام وكاد الرجل يقتل!!. وصدق الذهبي حين علق على الحادثة قائلاً: «ما هؤلاء بأصحاب الحديث، بل فجرة جهلة، أبعد الله شرهم» وقال الذهبي: «كان بين الأشعرية والحنابلة تعصب زائد يؤدي إلى فتنة، وقيل وقال، وصداع طويل». (من مآسي الافتراق، ص ١٨، نقلاً عن نزهة الفضلاء، ٣/ ١٣٤٩).

(٥٩٣) من مآسي الافتراق، ص ١٩، نقلًا عن نزهة الفضلاء، ٤/ ١٤٩٥.

والذي يختصر وقائع الفتن المؤلمة لكل مسلم هو ما قاله ابن الأثير: «جرى بأصفهان بين الشافعية والحنفية من الحروب والقتل والإحراق والنهب ما يجل عن الوصف، وكان قاضي البلد رأس الحنفية، وابن الخُجَندي رأس الشافعية، وكان بمدينة الري أيضا فتنة عظيمة بين السنية والشيعة، وتفرق أهلها وقُتل منهم وخربت المدينة وغيرها من البلاد»[٥٩٤].

أخي القارئ الكريم، إنه ليؤلمني، ويكاد قلمي لا يطاوعني على نقل هذه العبارات التي وجدتها في تاريخ ابن الأثير، ولكن ماذا نفعل ونحن نشخص الداء الذي أصاب أفراد هذه الأمة الطاهرة؟، إلا أن نقول: إن معرفة أسباب تلك الفتن والسعي لتفادي حدوثها في قادم الأيام شيء واجب، ومع هذا فلا ينبغي لنا الوقوف عند تلك الأحداث إلا بقدر ما نأخذ منها الدروس والعبر[٥٩٥]، وإن أجيال المسلمين لا بد لهم أن يعرفوا أن ما أصاب المسلمين من هوان ومن تكالب الغزاة عليهم إنما كان من نتائج تلك الفتن، التي دمرت حصون المسلمين من الداخل في وقت كانت تطرق فيه فلول التتار أبواب الديار المسلمة من الخارج، وتصول وتجول في ديار الإسلام دون رادع.

---

(٥٩٤) الكامل في التاريخ، ج١١/ ص٥٢٥ ـ ٥٢٦، ومما نقله ابن الأثير أيضاً: «... وقع بأصفهان فتنة عظيمة بين صدر الدين عبد اللطيف بن الخجندي وبين القاضي وغيره من أصحاب المذاهب، بسبب التعصب للمذاهب، فدام القتال بين الطائفتين ثمانية أيام متتابعة قُتل فيها خلق كثير، واحترق وهُدم كثير من الدور والأسواق، ثم افترقوا على أقبح صورة» (الكامل في التاريخ، ج١١/ ص٣١٩).

(٥٩٥) ومما قاله الدكتور محمد بن موسى الشريف حول مهمة المؤرخ ما نصه: «إحسان عرض التاريخ: المقصود بهذا هو ألا يسرد المؤرخ أحداث التاريخ سرداً مجرداً من عبرها وعظاتها، ولا يكتفي بعرض تواريخ الأمم دون الوقوف على مواطن الفساد فيها، وذلك حين يكون العرض التاريخي مُعِيناً في التقويم والتوجيه للمجتمعات...». (إعداد المؤرخ الثقة، ص٩٢).

ولا بد للجميع أن يعرفوا أن المذاهب الإسلامية مبرأة من كل ما ارتكبه أتباعها من فتن، وأن «القتل والإحراق والنهب» ليس من تعاليم المذاهب الإسلامية؛ لأن أسس المذاهب الإسلامية قاطبة تأمر الناس كلهم باتباع القرآن الكريم، والصحيح من أحاديث الرسول ﷺ، وبالألفة والمحبة، ولأن من اتبع المذاهب الإسلامية بحق وطبق تعاليمها في سلوكه فلن يقدم على عمل كهذا، والذين أقدموا عليه أقدموا خدمة لوساوس الشيطان وأعداء الإسلام وإن كانوا قضاة أو رؤوساً في أوساط الناس.

والنفسية الجماهيرية التي تحملها كيانات هؤلاء الناس الذين تكررت على أيديهم أعمال «القتل والإحراق والنهب» عبر القرون الماضية هي نفسها النفسية الجماهيرية التي لم تراع للعلم والعلماء أي حرمة، فلا غرو أن يجد القارئ الذين تطاولوا على المذاهب الإسلامية عبر التاريخ يحملون نفوساً ضاقت عليها ساحات العلم بما رحبت بسبب التعصب المذموم، وغير مبالين بتعاليم مذاهب الإسلام التي ينتسبون إليها.

وهؤلاء القوم الذين ذكر ابن الأثير خصوماتهم لغير المذاهب التي ينتسبون إليها يحملون نفس العقلية التي حملها الذين تحاملوا على أهل النهروان والإباضية؛ إذ داء الجميع هو ضيق الأفق وتغلغل التعصب الأعمى في نفوسهم، وقد وصف الذهبي أمثال هؤلاء المتعصبين بقوله: «ما هؤلاء بأصحاب الحديث، بل فجرة جهلة، أبعد الله شرهم»[٥٩٦].

فهؤلاء الناس الذين وصفهم ابن الأثير بالفساد ونسب إليهم إثارة الفتن والقتل لم يصفهم بـ(الخوارج) وإن أتوا بأعمال هي عين ما أقدم عليه الخوارج من أعمال كما نقل ذلك ابن الأثير[٥٩٧] نفسه.

(٥٩٦) من مآسي الافتراق، ص١٨، نقلًا عن نزهة الفضلاء، ٣/ ١٣٤٩.

(٥٩٧) انظر ص١٧٩ ـ ١٨٠ من هذا البحث.

فما الذي صرف ابن الأثيـــر وغيره من الكُتَّاب عـــن وصف هؤلاء القوم بالخوارج، وعلى أيديهم ســـالت دماء بريئة، ونهبت أموال محرمة، وهدمت مساجد، وأحرقت كتب، وأفسدت مدارس؟

فلماذا تقاصرت عبارات ابن الأثير عن وصف أولئك الناس الذين نسبهم إلى المذاهب الإســـلامية بـ(الخوارج) وقد أتوا من الأعمـــال ما يخجل منها أشرار الخلق؟

إن جميع المذاهب الإسلامية التي انتسب إليها أولئك الذين أفسدوا في ديار المسلمين بريئة منهم ولا تقر أعمالهم، فلا يصح شرعاً تحميل المذاهب الإسلامية أوزار أتباعها إذا خالفوا مبادئها وقيمها وما تدعوا إليه من أخلاق.

فمن العدالة في الحكم أن يُظهر ابن الأثير، وغيره من الكُتاب، براءة أهل النهروان والإباضية الكرام من تبعات أعمال الأقوام الذين انتسبوا إليهم ظلماً وزوراً والذين عاثوا في الأرض فســـاداً، كأمثال الأزارقة[٥٩٨]، تماماً كما نفعل جميعاً عند تبرئتنا للمذاهب الإســـلامية كافة من تبعات هـــؤلاء القوم الذين جعلوا الجهل سائســـهم وقائدهم نحو «القتل والإحـــراق والنهب». فمحاولة شيطنة ابن الأثير وغيره لأهل النهروان بما ارتكبه المنتسبون إليهم من جرائم هو عين الحيـــف والضيم لا لأهل النهـــروان والإباضية فحســـب، بل للعلم والعدالة والأمانة. و«**من الخطأ المنهجـــي أن تحمل الجماعة خطأ الفرد، وأن**

(٥٩٨) ذكر الدكتور الشيخ ناصر السابعي ـ حفظه الله تعالى ـ سبب انتشار تهمة تكفير المسلمين إلى أهـــل النهروان، حيث قـــال: «والخلاصة أن نافعـــاً لما حكم علـــى مخالفيه بأحكام المشـــركين انســـحب هذا الحكم ليكون مســـتقى من السلف الذي ينســـب إليه نافع بن الأزرق، فتدخلت عوامل عدة لعل السياســـة مـــن أهمها ليكون التكفيـــر مبدأ من مبادئ المحكمة الأوائل، وربما لهذا العامل أو لغيره نسب التكفير إلى المعارضين للتحكيم...» (الخوارج والحقيقة الغائبة، ص١٤١).

ينسب إليها تصرف شاذ ليكون سلوكاً لكل أفرادها، ولو استعرضنا العهود الراشدة لوجدناها لا تخلو من مثل هذه الحالات الشاذة»[٥٩٩].

٣٤ ـ عَوْدٌ على بَدْء:

وبعد هذا التطواف السريع في كتاب (الكامل في التاريخ) والذي نقلنا منه ـ وباختصار شديد ـ أحداثاً مؤلمة أوقعها من انتسب إلى الإسلام في أبناء جلدتهم من المسلمين، لا نملك إلا أن نقول (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

أليس لأرواح المسلمين حرمة بحق (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)؟

أليس لأموال المسلمين حرمة بحق (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)؟

فبأي وجه تقتل الأطفال وتبقر بطون المسلمات ويقتل الشيوخ وتنهب الأموال؟

أما علم هؤلاء الطغاة حديث الرسول ﷺ الذي جاء فيه: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا)[٦٠٠].

فما هو عذر هؤلاء الطغاة وأهل البغي والعدوان عند ربهم يوم القيامة وقد تضافرت الروايات النبوية «على أن كلمة (لا إله إلا الله) عاصمة للدم إلا بموجب شرعي، وهو قتل النفس المحرمة بغير حق أو الزنا بعد الإحصان أو الارتداد عن الإسلام»[٦٠١]؟

---

(٥٩٩) الخوارج والحقيقة الغائبة، ص ١٢٧.

(٦٠٠) صحيح البخاري، الرواية: ٦٧، ص ٣٩.

(٦٠١) أمة الإسلام إلى أين، ص ٣٦.

ونحن إذا قسنا البشر حسب مبادئهم لعرفنا أن أولئك الناس الذين يدعون الإسلام قد خالفوا ما نادى به الإسلام، وارتكبوا ما حرمه الله تعالى ونهى عن فعله الرسول ﷺ، فلهذا جاءت أفعالهم مصادمة لما يدعو إليه القرآن الكريم، واتبعوا في إجرامهم ما دعت إليه كتب النصارى المحرفة، وطبقوا ما كانت عليه الجاهلية الأولى من قتل ونهب وسبي للأحرار.

والذين جاسوا خلال ديار الإسلام تحت اسم «الحروب الصليبية»، فإن قائدهم في ذلك هو العداء المتأصل في نفوسهم ضد أهل التوحيد، وقد برروا جرائمهم وأراحوا ضمائرهم بما وجدوه في كتبهم المحرفة. فهؤلاء القوم ارتكبوا ما ارتكبوه من أفعال لأن كتبهم المحرفة أمرتهم بذلك، فهم يعدون ما قاموا به أمراً يتنافس فيه المتنافسون.

قال فيليب بوك، صاحب كتاب (الحرب المقدسة)، ما نصه: «سلطة العهد القديم[٦٠٢]، التي كانت تستشهد بها جان دارك وهي تقترح على المدن الإنكليزية ـ البورغونية الاستسلام... كانت تشرعن أيضاً المجزرة إن رفض العرض... كان جاك زيزكا يخوض الحرب على قاعدة الكتابات الإنجيلية:

(٦٠٢) يشير الكاتب إلى الفقرة الآتية والتي ذكرت في الكتاب المسمى (الكتاب المقدس): «وإذا تقدمتَ إلى مدينة لتقاتلها، فادعها أولاً إلى السلم، فإذا أجابتك بالسلم وفتحت لك أبوابها، فكل القوم الذي فيها يكون لك تحت السخرة ويخدمك. وإن لم تسالمك، بل حاربتك، فحاصرتها، وأسلمها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب كل ذكر بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما في المدينة غنيمة، فاغتنمها لنفسك، وكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك إياها.

هكذا تصنع بجميع المدن البعيدة منك جداً والتي ليست من مدن تلك الأمم هنا. وأما مدن تلك الشعوب التي يعطيك الرب إلهك إياها ميراثاً، فلا تَستَبْقِ منها نسمة...» (الكتاب المسمى (الكتاب المقدس ـ العهد القديم سفر تثنية الاشراع، ٢٠ ـ الحرب والمحاربون، فتح المدن، ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩)، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٨م).

سفر التثنية، ٢٠، كان يطلب أولاً استسلاماً سلمياً، ثم يقبل على قتل الرجال، تاركاً النساء والأطفال، إن لم تفتح له أبواب المدينة... والحقيقة، حين هوجمت المدينة [يقصد مدينة براشاتيس في عام ١٤٢٠م] وتم الاستيلاء عليها، بينما حوفظ على حيوات النساء والأطفال، جرى إما قتل الرجال حيث وجدوا أو جمعوا في حجرة الاجتماعات في الكنيسة كي يحرقوا فيها»[٦٠٣].

وقال الفيلسوف الفرنسي غستاف لوبون، صاحب كتاب (الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها)، ما نصه: «وكان كهنة محاكم التفتيش موقنين أن الله يريد حرق الهراطقة[٦٠٤]، فأفرغوا أسبانيا من سكانها بمحارقهم. شارل التاسع ولويس الرابع عشر كانا موقنين أن خالق السماوات والأرض لم يكن يقبل بوجود البروتستانت، ومن أجل القضاء عليهم ارتكب الأول مذبحة سان ـ بارتملي ولجأ الثاني إلى الدراغونية (مرحلة من الاضطهاد في عصره حيث كان جنود الدراغون ـ الفرسان ـ يحتلون بيوت البروتستانت ـ م. ع.). وكان أنصار الجمعية التأسيسية موقنين بأنه ينبغي قطع عدد كبير من الرؤوس، من أجل ضمان سعادة الجنس البشري، ونتيجة لذلك أثاروا الحروب وأقاموا ديكتاتورية مما أدى إلى إهلاك ثلاثة ملايين شخص في أوروبا. وفي أيامنا الراهنة ثمة آلاف من البرجوازيين المشبعين بيقين أن الاشتراكية ستعيد تجديد العالم، يدمرون بجنون آخر الدعائم التي تسند المجتمع الذي يعيشون فيه»[٦٠٥].

---

(٦٠٣) الحرب المقدسة الاستشهاد والإرهاب أشكال العنف المسيحية في الغرب، ص٣٤٠، وانظر كذلك ص٣٤١ من نفس الكتاب لترى كيف كانت تعمل جان دارك في من تحاربهم في ديارهم.

(٦٠٤) هم ينعتون المسلمين بالهراطقة خدمة لأديانهم المحرفة.

(٦٠٥) الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها، ص٢٨٣ ـ ٢٨٤، وانظر ما قاله غستاف لوبون في كتابه الآخر (الثورة الفرنسية وسيكولوجيا الثورات، ص٥٤ ـ ٥٦، وص ٢٤٤) لترى جانباً من المجازر التي وقعت باسم الدين المحرف بين الكاثوليك والبروتستانت. =

من كل ما سبق نقله من أحداث مؤلمة منسوبة إلى الناس الذين أداروا رحاها في أوساط المسلمين، لم يكن لهم حظ من التقوى التي أمر الله تعالى بها، فقد بقوا بأفعالهم السيئة يعيشون بذلك «العقل العربي ـ الذي لم يمكن، لقصر المدة وغزارة الدماء، من استيعاب النقلة العقلية القرآنية الراقية ـ لا يزال حتى تلك اللحظة، يعيش الطور التاريخي السابق على القرآن»[٦٠٦].

فالطور التاريخي السابق للقرآن شهد أحداثاً هي شبيهة بما قرأناه أعلاه، فقد أرخت العرب أيامها بتلك المعارك التي خاضوها فيما بينهم، وفي كل يوم من أيامهم يتفاخرون بما أوقعوه بأنفسهم من قتل ونهب وسبي.

فكل قبيلة منهم كانت «تعتبر نفسها مستقلة، استقلالاً تاماً، وفي حالة حرب مع غيرها، يباح لها ولأفرادها أن تأخذ كل ما تحصل عليه من الغير. فالغزو أمر طبيعي وقانوني عندهم، ودوافعه متعددة...»[٦٠٧].

فمثلاً: ففي يوم (بارق) أسفرت الحرب عن «مقتلة عظيمة لم تُصب تغلب بمثلها واقتسموا الأسرى والأموال، وكان من أعظم الأيام عليهم، قُتل الرجال ونُهب الأموال وسُبى الحريم»[٦٠٨].

= ومن الأحداث التي نقلها لوبون عن مجلة المونيتور الصادرة بتاريخ ٢١ كانون أول ١٧٩٤ ما يلي: «رأيت، يقول توما، بعد الاستيلاء على نوارموتييه، رجالاً، ونساء، وعجائز يحرقون أحياء... ونساء تُغتصب وكذلك فتيات في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة ويذبحن بعد ذلك، ورأيت أطفالاً رضعاً يُرمَون من حربة إلى حربة كانوا ممددين إلى جانب أمهاتهم فوق الأرض» (الثورة الفرنسية وسيكولوجيا الثورات، ص ٢٥٧، وهناك أحداث أخرى نقلها لوبون عن نفس الصحيفة في ص ٢٥٨ من كتابه، وانظر ما ذكره لوبون عن مجازر آراس وكامبري والتي كانت نتيجتها أن أفرغت شوارعا بأكملها من الأحياء، ص ٢٧٧، وذكر لوبون ما أوصى به قانون بريريال الذي بموجبه أُعدم ١٣٧٣ شخصاً في غضون تسعة وأربعين يوماً، ص ٢٨٣).

(٦٠٦) السلطة في الإسلام، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٦٠٧) دراسات تاريخية، ص ٦٤.

(٦٠٨) الكامل في التاريخ، ج ١/ ص ٦٤٨.

فتلك النتائج التي أسفرت عنها أحداث يوم بارق في الجاهلية ـ بين تغلب وتميم من جهة وبني شيبان من جهة أخرى ـ هي شبيهة بما أسفرت عنه أيام العرب الأخرى[٦٠٩] التي حدثت قبل الرسالة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، والتي حدثت[٦١٠] بعد بعثة المصطفى ﷺ

(٦٠٩) فالأحداث التي سبقت رسالة الرسول ﷺ، والتي قتل فيها العرب بعضهم بعضاً، ونهبوا فيها أموال بعضهم، وسبوا نساءهم هي: «يوم عنيزة... يوم واردات... يوم الحنو... يوم القصيبات... يوم النقية... ويوم الفصيل» (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٥٣٧). ويوم عين أباغ (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٥٤٠)، ويوم مرج حليمة (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٥٤٢ ـ ٥٤٣)، ويوم الكلاب الأول (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٥٤٩)، ويوم أوارة الأول (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٥٥٢)، ويوم أوارة الثاني (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٥٥٣)، وأيام داحس والغبراء وهي بين عبس وذبيان (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٥٦٦)، يوم ذات نكيف (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٥٨٧). ويوم الفجار «سمي الفجار لما استحل الحيان كنانة وقيس فيه من المحارم وكان قبله يوم جبلة وهو مذكور من أيام العرب والفجار أعظم منه» (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٥٩٠) ويوم مسحلان (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦٠٨)، ويوم جديد (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦١٠)، ويوم الإياد (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦١٢)، ويوم الشقيقة (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦١٣). و«يوم الجفار... وكان يوم الجفار يسمى (الصيلم) لكثرة من قتل به» (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦١٩)، ويوم الصفقة والكلاب الثاني (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦٢٠)، ويوم الوقيط (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦٢٨). ويوم المروت (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦٣١)، ويوم اليحاميم (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦٣٥)، ويوم ذي طلوح (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦٣٧)، ويوم أقرن (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦٣٨)، ويوم السلان (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦٣٩)، ويوم ذي علق (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦٤١)، ويوم فلج (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦٥٢)، ويوم الشيطين (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦٥٤)، ويوم حاطب ويوم بعاث (الكامل في التاريخ، ج١/ ص٦٧١).

(٦١٠) ومن الأيام التي ذكرها ابن الأثير ضمن أحداث عام ٧٠ للهجرة هي: حروب يوم الجفرة، ويوم ماكسين، ويوم الثرثار الأول، ويوم الثرثار الثاني، ويوم الفدين، ويوم السكير، ويوم المعارك، ويوم الشرعية، ويوم البليخ، ويوم الحشاك، ويوم الكحيل، ويوم البشر (الكامل في التاريخ، ج٤/ ص٣٠٦ ـ ٣١٩).

أيضاً، حينما تركت تعاليم الإسلام جانباً وأخذ بقوانين الغالب من وحوش البشر.

وإني لأجد نفسي، والأسى يعصر القلب، مضطراً لاستعارة هذه الكلمات من كتاب (أشرار التاريخ) لِتُلَخص لنا ما قرأناه هنا من جرائم: «شخصيات وشخصيات في هذا الكتاب كلها قطعان بشرية ضالة قاتلة، تجسد الشر في أفظع صورة، وتقدم أنماطاً غير تقليدية لنوع خاص من الشر، يجرد الإنسان من آدميته، ويخرج به عن فطرته، ويجعله مثلاً يقتل من أجل القتل،... وبوحشية تخجل منها الوحوش،... إنهم أعداء الإنسانية الذين حفروا أسماءهم بما ارتكبوه من فظائع في سجل التاريخ الأسود للبشر!!»[٦١١].

فهذه الأوصاف التي ذكرها صاحب كتاب (أشرار التاريخ) لصيقة بأولئك المجرمين السفاحين الذين نقل ابن الأثير شيئاً من مفاسدهم في موسوعته التاريخية كما مر بنا أعلاه.

قال الدكتور فاروق عمر فوزي وهو من الذين سبروا أغوار كتب التاريخ وعرفوا ما تحويه تلك الكتب من توجهات أصحابها: «إن مؤلفات المنّظرين للفكر السياسي عند المسلمين ابتداء من عبد الله بن المقفع (ت: ١٤٦هـ) مروراً بأبي يوسف القاضي (ت: ١٨٠هـ) ثم الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) ثم الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) ثم الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) ثم ابن أبي الربيع (ت: ٦٥٠هـ) ثم ابن الطقطقي ثم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) ثم ابن جماعة (ت: ٧٣٣هـ) ثم ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) وأخيراً ابن الأزرق (ت: ٨٦٩هـ). كانوا كما قلنا يبررون الأوضاع السياسية ويلتمسون لها العذر، ويروجون لأهل الشوكة من سلاطين وأمراء سلاجقة وبويهيين وأتراك ويضفون عليهم مزايا مرموقة...»[٦١٢].

(٦١١) أشرار التاريخ، ص ٧.

(٦١٢) المثالية والواقعية في تاريخ الفكر السياسي عند المسلمين، ص ١٧.

وقال الدكتور فاروق عمر فوزي في موضع آخر من كتابه: «وعندي أن أدبيات كُتَّاب السياسة الشرعية والمنظرين والفلاسفة سواء بسواء لا تسمن ولا تغني من جوع فهي تبرير لتوجهات السلطة وتسويغ للأمر الواقع!! وقد قيل إن المفكر إذا لم يكن حليفاً للمظلومين فلن يكون إلا شريكاً للظالمين!!»[٦١٣].

فنسأل ابن الأثير وغيره من كُتَّاب التاريخ، ونقول لهم: أين واقعية كتاباتكم من المثالية التي ترفعون شعارها؟

فالمثالية العلمية توجب على ابن الأثير وغيره أن يحكموا على كل من نسبت إليهم تلك الأفعال من قتل للأنفس، ونهب للأموال، وبقر للبطون بالخوارج المارقين من الدين تماماً كما فعلوا عند حديثهم عن الأزارقة والصفرية.

فهذه الازدواجية في الأحكام عند ابن الأثير ومن سار على نهجه إنما تدل على هيمنة التبعات الفكرية التي ما فتئ كثير من الكُتَّاب على الإصرار عليها وإن رفعوا شعارات المنهج العلمي في بحوثهم التاريخية.

ما الذي كان يمنع ابن الأثير أن يعلن حكم الإسلام على كل أحد سُجلت عليه تلك الأحداث التي حرمها الشرع؟، إذ لا فرق بين بعيد وقريب أمام المثالية التي يدعو إليها ديننا الحنيف. ولكن لا عجب فإن «الإنسان نتاج أفكاره، أي أن الأفكار الصامتة التي تعتمل في ذهنه هي القوة الحقيقية التي تدفعه لاتخاذ القرارات والمواقف والعمل على تحقيقها»[٦١٤].

(٦١٣) المثالية والواقعية في تاريخ الفكر السياسي عند المسلمين، ص٥٤٥.

(٦١٤) المثالية والواقعية في تاريخ الفكر السياسي عند المسلمين، ص٦، نقلا عن مفكر سياسي صيني.

وكل قارئ لكتاب (الكامل في التاريخ) يدرك مدى هيمنة الأفكار الصامتة على كتابات ابن الأثير، فقد قال الدكتور محمد بن موسى الشريف: «ولكن من خلال قراءتي لأحداث القرنين الرابع والخامس في (الكامل) تبين لي أن ابن الأثير لا يصحح النسب[٦١٥] فقط، بل هو متعاطف مع هذه الدولة بشكل عام، فهو يمدح ملوكهم ويبرز محاسنهم ولا يذكر عيوبهم، ويؤكد في كل مرة يترجم لأحدهم بقوله: (الخليفة العلوي)، كأنه يريد أن يرسخ هذا في ذهن القارئ. ثم تبين لي أنه يُغرق في مدح بعض ملوك الدولة البويهية وأمراء الدولة الأسدية والحمدانية...»[٦١٦].

وهنا يدرك القارئ المنصف السبب الذي لأجله تحامل ابن الأثير على الإباضية، الذين وقفوا أمام البويهيين[٦١٧] على أرض عمان، والذين وقفوا أمام جبروت العبيديين[٦١٨] على أرض المغرب العربي.

لقد حددت أفكار ابن الأثير ما ينبغي له قوله تجاه من وقف أمام البويهيين والعبيديين، وكتب ما يدل دلالة واضحة على عدم تقيده بمناهج

---

(٦١٥) يشير الدكتور محمد الشريف إلى ما أعلنه ابن الأثير عن قناعاته حول نسب الفاطميين إلى العترة الطاهرة ولو خالفه في ذلك آخرون، انظر أقوال ابن الأثير في (الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٢٤ ـ ٢٧) و(الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٣٧).

(٦١٦) تعريف مؤجز بأشهر كتب التاريخ، ص ٨٣.

(٦١٧) ونقل الدكتور محمد بن موسى الشريف عن الأستاذ محمد العبدة قوله: «ليس من العسير لمن يقرأ ما كتبه ابن الأثير في (الكامل) أن يحس بتعاطفه مع الدولة البويهية، فهو لا يذكرهم إلا مادحاً معظماً الأوائل منهم، بل يغالي في المديح أحياناً عندما يعتبر وفاة ركن الدولة الحسن بن بويه مصيبة للدين والدنيا معاً» (تعريف موجز بأشهر كتب التاريخ، ص ٨٧ ـ ٨٨).

(٦١٨) قال الدكتور محمد الشريف «أما ما فعله عبيد الله بالعلماء العامليين الذين كرهوا دولته وعقيدته الفاسدة فهذا لا يذكره ابن الأثير...» انظر (تعريف موجز بأشهر كتب التاريخ، ص ٨٦).

الإسلام في كتابة التاريخ؛ إذ نسمعه يـ«مدح ملوك البويهيين والعبيديين»[٦١٩] الذين أراد تجميل دولهم على رغم ما سجله التاريخ عليهم من جرائم حرمها الإسلام.

فإذن، فليس بمستغرب على ابن الأثير أن يبذل قصارى جهده لأجل الانتقاص من أقدار الإباضية الأحرار الذين حاربوا البويهيين والعبيديين في المشرق والمغرب...

لقد اتخذ ابن الأثير ومن سار على نهجه قرارهم ومواقفهم في تصنيف الناس على أفكار موروثة مجحفة لا على أسس المثالية الإسلامية المنصفة، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

❋ ❋ ❋

(٦١٩) تعريف موجز بأشهر كتب التاريخ، ص٩١.



١٠ مبادئ الإباضية تاريخ يتكلم

فكل الذين درسوا تلك الأحداث التي عاشها العرب وغيرهم قبل الإسلام، ودرسوا مبادئ الإسلام، عرفوا أن الله تعالى قد أرسل رسوله ﷺ «رحمة للعالمين وإماماً للمتقين وقدوة للمحسنين، فحقن به الدماء التي كانت تسفح، وصان به الحمى الذي كان يستباح، وألف به بين القلوب التي اشتدت وحشتها وتنافرها، وجمع به بين الأمم التي تعاظم عداؤها وتدابرها، فانصهرت به الأمم في أمة واحدة»[٦٢٠].

فبعد عهد الرسالة وبعد عصر الخلافة الراشدة سلك الناس مسالكاً متعددة منها:

١ ـ مسلك أولئك الرعاع من البشر الذين ورثوا الهمجية من أرباب الجاهلية الأولى فكانت مآثرهم القتل والنهب وسبي الذراري، وهم بأعمالهم هذه لا تربطهم بمذاهب الإسلام أي رابطة ولو ادعوا انتسابهم إليها، إذ كل مذاهب المسلمين تحرم ما كانت عليه تلك الجاهلية من أفعال يستنكرها شرع الله. وقد ذكر ابن الأثير وغيره من كُتَّاب التاريخ أحداثاً أقدم عليها ممن ادعى الإسلام، وأتوا بأبشع الأفعال من قتل ونهب وسبي، وساروا بأفعالهم النكراء في نفس المسير الذي عليه أهل الجاهلية والتتار والصليبيون، وقد ذكرنا طائفة من أحداثهم أعلاه.

(٦٢٠) أمة الإسلام إلى أين، ص٥.

٢ ـ ومسلك مستقيم سار عليه المتقون المؤمنون المتبعون لهدي رسول الله ﷺ، وقد تزينت الدنيا عبر القرون بوجودهم فيها، وهم وإن استظلوا تحت مذاهب شتى بقوا جميعاً تحت قبة الإسلام الواسعة المرتفعة لا تزايل خطاهم خطى رسول الله ﷺ قيد أنملة. وسيبقى هؤلاء القوم هداة ودعاة إلى الحق ما داموا على العهد الذي أوصاهم به كتاب الله تعالى ورسول الإسلام ﷺ. ونحن حينما نتكلم عن مبادئ الإسلام فإننا على يقين تام أن جميع المسلمين مطالبون بالتحلي بها، فلا فرق بين فرد وفرد وبين جماعة وجماعة. فالمبادئ واحدة، والميزان الذي يُقَيِّم العاملين واحد لا يحيف ولا يحابي أحداً على حساب أحد. فمبادئ الإسلام من عقيدة، وفقه، ومكارم الأخلاق التي ينشأ عليها المسلمون هي السياج الذي يحيط بهم والرابط الذي تقوى به أرواحهم وأجسادهم.

ونحن حينما نعرض هذه المبادئ ـ في هذا القسم من هذا البحث ـ فإننا على يقين تام أنها هي هي نفسها مبادئ المسلمين كافة من غير تحديد لمذهب دون مذهب، وإنما ذكرتُ (الإباضية) هنا لأن الأقلام الجائرة أكثرت من الإساءة إليهم فكان من الواجب أن نرفع عنهم، بقدر المستطاع، جانباً من الظلم الذي ما برح العابثون في التاريخ يرسلونه إلى ساحة الفكر الإباضي من غير دليل ولا تقوى من الله.

فحينما يقرأ الفرد هذه العبارات وهي تصف أحد الأشخاص: «... فكان عابداً مجتهداً عظيم القدر... وكان لا يدين بالاستعراض، ويحرم خروج النساء، ويقول لا نقاتل إلا من قاتلنا ولا نجبي إلا من حمينا»[٦٢١]، فإن القارئ لا محالة سَيُجِّل صاحب هذه الأخلاق، الذي عرفه فقط من خلال هذه العبارات، وسيزداد إجلاله له إذا عرف أن صاحب هذه الكلمات أردف العمل

(٦٢١) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٥١٨.

مع القول. وسيُجِّلُ أيضاً الذين رفعوا مِن شأن صاحب هذه الأوصاف، وطبق هذه العبارة في الإصلاح لهذه الأمة والعالم أجمع، وسيقر القارئ المنصف أن صاحب هذه العبارة بعيد كل البعد عن الخوارج وأفعالهم. وسيعلنها القارئ، وبلا تردد، مدوية في أرجاء الوجود: أن هذه العبارة هي مما يدعو إليه الإسلام، ويفتخر بها وبقائلها المسلمون كافة من كل المذاهب على كل الأمم التي عاشت على وجه الأرض.

ولكن ماذا سيكون موقف المنغمسين في آثار فلسفة (سيكولوجية الجماهير) من الكُتَّاب والقراء، الذين تشربوا أقوال الكذابين والضعفاء، إذا علموا أن قائل هذه العبارة هو القائد الإباضي أبو بلال مرداس بن حدير التميمي؟. فإنك لا محالة سترى الوجوه وقد كلحت وجهمت لا لشيء إلا لأن قائلها والمنادي بها إباضي سجل له التاريخ مقارعة عبيد الله بن زياد القائد الأموي.

فهنا هو مكمن الداء الذي يعاني منه الكُتَّاب العابثون في التاريخ، فهم لا يُقَيِّمُون الرجال حسب قربهم أو بعدهم من مبادئ الإسلام، ولكن ينظرون إلى العاملين في هذا الوجود حسب ما أملته الدعايات الأموية من أحكام، فالموروثات الفكرية الباطلة ذات الطابع الجماهيري هي التي تملي على هؤلاء الكُتَّاب مواقفهم وأحكامهم وإن كان الشرع والعقل والعلم ينقضون تلك الأحكام الجائرة.

وبسبب الحملة الإعلامية الضروس الشعواء، والإشاعة المغرضة ضد من قاوم سياسة الأمويين الظالمة فإن الكُتَّاب أضافوا إلى ما لم يستطيعوا نفيه من أوصاف عبارات تمجها الأسماع.

فها هو ابن الأثير ينقل العبارة السابقة كالآتي: «وأما أخوه أبو بلال مرداس فكان عابداً مجتهداً عظيم القدر في الخوارج، وشهد صفين مع علي

فأنكر التحكيم، وشهد النهروان مع الخوارج، وكانت الخوارج كلها تتولاه...»[٦٢٢].

وهذا هو مسلك ابن الأثير مع رجال الفكر الإباضي في طول موسوعته التاريخية وعرضها، فهو لا يكاد يذكر الإباضية بمحاسنهم في التاريخ إلا ويقرنهم بالخوارج، لا لشيء إلا لأنهم لم يطاوعوا بني أمية ومن جاء بعدهم من العباسيين والبويهيين والعبيديين في ظلم المسلمين وسفك دماءهم، وسنذكر بعضاً من مواقف ابن الأثير من المذهب الإباضي فيما يأتي من صفحات إن شاء الله تعالى.

فليعلم الجميع أن من «لا يدين بالاستعراض» ليس من الخوارج في شيء.

وليعلم الجميع أن من لا يقاتل، إلا من قاتله واعتدى عليه، فليس من الخوارج في شيء.

وليعلم الجميع أن من لا يأخذ من أموال الناس شيئاً، إلا بموجب شرعي، فليس من الخوارج في شيء.

وبين الشيخ الدكتور ناصر السابعي موقف أبي بلال بقوله: «ومنهج أبي بلال واضح في أنه لا يستبيح قتال أحد إلا دفاعاً عن النفس، وهذا يعكس لنا طبيعة موقف أهل النهروان بأنهم لا يستبيحون دم أحد من المسلمين، فإن أبا بلال واحد منهم، ولا شك أنه إذا كان يقف موقفاً معادياً من قريب وزحاف لما ارتكباه فإن رضاه عن عبد الله بن وهب ـ وهو رمز لفكر أهل النهروان ـ يجلي لنا الصورة الحقيقية لمنهجهم في التعامل مع مخالفيهم»[٦٢٣].

---

(٦٢٢) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٥١٨.

(٦٢٣) الخوارج والحقيقة الغائبة، ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

فحكم ابن الأثير وغيره من الكُتَّاب على أبي بلال وأهل النهروان بالخوارج إنما جاء بسبب تصديقهم للروايات الباطلة التي قيلت عبر التاريخ، وكذلك بسبب تأثير فلسفة (سيكولوجية الجماهير) على نفوسهم ولو خالفت أحكامُهم الجائرة العلمَ الثابت والمبادئَ القيمة التي هي شعار العدل والإنصاف.

فما لابن الأثير ومن سار على نهجه ينسبون إلى الخوارج من سار على نهج النبوة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم؟

فليس بمستغرب على ابن الأثير أن ينسب أبا بلال إلى الخوارج لا شيء إلا لأنه جادل عبد الله بن زياد فكانت النتيجة أن يلاحق ابنُ الأثير أبا بلال وينسبه إلى الخوارج على رغم عدالة المسلك الذي سلكه أبو بلال.

ومشهد المجادلة بين التيار الأموي والقائمين على حدود الله ذكره ابن الأثير أيضاً، ولكن في هذه المرة بين معاوية ابن أبي سفيان وعبد الله بن العباس، ونتيجة تلك المجادلة بين الرجلين هي تهديد ابن عباس لمعاوية بجلب الخوارج عليه من كل مكان. فقد قال ابن الأثير: «فقال [يقصد ابن عباس]: يا معاوية إني لخليق أن أنحاز إلى بعض السواحل فأقيم به ثم أنطق بما تعلم حتى أدع الناس كلهم **خوارج** عليك»[٦٢٤]. فإذن؛ سيأتي ابن عباس بالخوارج، ومن يجعل الناس كلهم خوارج على معاوية فهو منهم وقائدهم لا محالة.

أيها القارئ: إياك ثم إياك أن تضع نفسك في مكان المجادل ضد بني أمية ومن ناصرهم، وإلا ستُشْرع صوبك سهام التهمة بالخارجية من كل صوب تماماً كما وجهت صوب ابن عباس وأبي بلال. حتى ولو كان لك الحظ

(٦٢٤) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٥١١.

الأوفى من الزهد والعلم والتقوى، فإن ذلك لن يشفع لك عند ابن الأثير ومن سار على دربه.

والمتتبع للأحداث التاريخية وما سايرها من حروب إعلامية يدرك أن اتهام أهل النهروان الكرام والإباضية الزهر بالخوارج هي تهمة سياسية بامتياز[٦٢٥]، وقد روج لها عبر التاريخ أناس وقف الإباضية أمام سياساتهم الظالمة للأمة الإسلامية. فهذه الدعاية ضد الإباضية مصدرها نفس المصدر الذي وصف ابن عباس بالمستنصر بالخوارج والمستنهض لهم ضد معاوية، والذي وصف العباسيين في أول أمرهم بخراسان «بالكفار والرعاع والعبيد وسقاط العرب والموالي والعجم والمجوس والسفهاء»[٦٢٦].

والذي حدث بعد زوال دولة الأمويين أن الأمور صارت إلى بني العباس، فلهذا ارتفعت الأقلام المغرضة عن وصفهم بهذه الأوصاف، وبقي الإباضية

(٦٢٥) قال الشيخ أبو إسحاق اطفيش: «إطلاق لفظة الخوارج على الإباضية أهل الحق والاستقامة من الدعايات الفاجرة ـ التي نشأت عن التعصب السياسي أولا، ثم عن المذهبي ثانيا...» (تحفة الأعيان، ج١/ هامش ص٦)،

قال الدكتور الشيخ ناصر السابعي: «... لأن الصفات والخصائص التي تسرد كميزات للخوارج ـ وسيأتي بيانها ـ غير محصورة فيهم، بل نجد من غيرهم من يتصف بها أو ببعضها، وهذا ما أفضى إلى عدم الانضباط فيما يصدق عليه هذا الاصطلاح» (الخوارج والحقيقة الغائبة، ص١٥٤ ـ ١٥٥).

وقال البشير مسعي محمد: «ولفظة خوارج لفظة مطاطية مرنة، يؤولها كل حسب هواه، وحسب ما يمليه عليه الظرف والموقف والغرض، فتعني الخروج عن طاعة المسلمين وعن خليفتهم عند البعض، وتعني المروق عن الدين عند آخرين، فتلقفها المؤرخون، وأعطوها طابع الحقيقة التي لا تقبل الجدال والمناقشة، وتتعاقب الأحداث التاريخية المتلاحقة لتؤصِّل هذا المفهوم أو ذاك في النفوس، وتتناقلها الأجيال المتتالية، وتتكون لديها نظرة خاصة نحو هذه الطائفة تتسم بالعداء وتصفها بالزيغ والضلال...» (شبهة نسبة الإباضية إلى الخوارج، ص٢٥٠).

(٦٢٦) المثالية والواقعية في تاريخ الفكر السياسي عند المسلمين، ص١١٠.

يكافحون ظلم بني العبـــاس كما كان صنيعهم أيام بني أمية، لهذا اســـتمرت الأقلام المشؤومة تفرز مدادها الآسن إلى وقت الناس هذا ظناً منها أنها ستنال من الفكر الإباضي، وأنى لها ذلك؟.

وصلاح الدين الأيوبي الذي مَنَّ الله عليه بتوحيد ديار المسلمين، وتطهير المسجد الأقصى من أدران أعداء الإسلام، كان في بداية أمره خارجياً!!! في أنظار من حاربه ووقف ضد مشـــروعه النبيل. فقـــد أورد ابن الأثير في كامله ما نصه: «كان المصاف بين سيف الدين غازي بن مودود وبين صلاح الدين يوســـف بن أيوب بتل الســـلطان، على مرحلة من حلب، على طريق حماة، وانهزم ســـيف الدين... فلما وصل صلاح [الديـــن] كان وصوله العصر، وقد تعب هو وأصحابه وعطشوا، فألقوا نفوســـهم إلى الأرض ليس فيهم حركة، فأشار على ســـيف الدين جماعة بقتالهم وهو على هذا الحال، فقال زلفندار: ما بنا هذه الحاجة إلى قتال هذا **الخارجي** في هذه الساعة، غداً بُكرة نأخذهم كلهم؛ فترك القتال إلى الغد»[٦٢٧].

فملاحقـــة المصلحين مـــن قبل مـــن ناوأهم أمـــر يتكرر عبـــر التاريخ، فلا عجب في أن نرى كُتَّاب هذا العصر يمشـــون مع تيار الكذابين والضعفاء عند حكمهم على الإباضية، وليس بمستغرب أن يأتوا بما أتى به أولئك الذين وصفوا ابن عباس بالمحرض للخوارج على معاويـــة، والذين وصفوا القائد الإسلامي العظيم صلاح الدين الأيوبي بـ«الخارجي».

فقد مر بنا سابقاً المعنى الاصطلاحي لكلمة (الخوارج) الذي روج له ابن الأثير فـــي موســـوعته التاريخيـــة[٦٢٨]، واختصره الدكتور محمد بن موســـى

(٦٢٧) الكامل في التاريخ، ج١١/ ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨.

(٦٢٨) انظر ص ١٧٩ ـ ١٨٠ من هذا البحث.

الشريف بقوله: «كان الخوارج يقدمون على سفك الدماء على وجه عجيب لا يراعون فيه حرمة سابقة لأحد، ونتج عن صنيعهم هذا مقتل عشرات الآلاف من المسلمين على مدار تاريخهم منهم سادة كرام نجباء...»[٦٢٩].

فإذا كان هذا هو المعنى المقصود لكلمة الخوارج، فإن الضمير المسلم الحي عليه أن يكون وقافاً عند حدود الله؛ فلا يرتمي في أحضان الكذابين والضعفاء، ولا يرسل أحكامه الباطلة إلى أهل النهروان والإباضية وابن عباس والقائد الإسلامي العظيم صلاح الدين الأيوبي، وغيرهم ممن برئ من هذه الأعمال الممقوتة.

وعلى كل صاحب ضمير حي أن يعرف ميول الكتاب، «فقد يكون المؤلف مشايعاً لمذهب أو لحزب أو لفئة معينة ممن يكتب عنهم فيناصرهم من غير قصد، أو يذهب في ذلك إلى تعمد الكذب في الرواية، أو إلى تحريف الحقائق وحذف بعضها ليقود القارئ إلى نتائج معينة ترفع من شأن الذين يشايعهم أو تدفع عنهم مسئولية أو عار. وقد يندفع المؤلف إلى البعد عن العدالة بسبب الحرص على تملق أولياء الأمور، أو على مداراتهم والنجاة من اضطهادهم»[٦٣٠].

فكل الذين جاءوا بخيلهم ورجلهم على أهل النهروان والإباضية قد تعمدوا الكذب وشايعهم في ذلك من داسوا على مناهج البحث في الإسلام، وهؤلاء الكُتَّاب لم يكن لهم حظ في دراسة مبادئ الإباضية من خلال كتبهم وعرض تلك المبادئ على جوهر الإسلام الذي جاء به القرآن الكريم ونادى به الرسول ﷺ.

---

(٦٢٩) من مآسي الافتراق، ص٢٩.

(٦٣٠) مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، ص٥٣.

وأما الذين درسوا تاريخ الرجال من خلال الأعمال التي قاموا بها، والمبادئ والقيم التي يدعو إليها الإسلام، ولم تستهوهم الروايات الضعيفة المبثوثة في كتب التاريخ فإنهم أنصفوا الحق بإنزالهم الرجال في منازلهم اللائقة بهم. فها هو الدكتور فاروق عمر فوزي يكتب في حق أبي بلال مرداس ما نصه: «يعد أبو بلال مرداس بن عمرو بن حدير التميمي من أبرز أئمة (المحكمة الأولى) إلا أن الإباضية هي الفرقة الأكثر تأثراً بسيرته، فقد عرف بالزهد والتقوى وحسن السيرة... ولم يكن (يدعي هجرة ولا ينتحلها ولا يخيف آمناً ولا يستحل استعراضاً... ولا يغنم أموالاً ولا يسبي ذرية ولا ينزل قومه منزلة أهل الأوثان). وهذه السلوكية طبعت الإباضية في معاركهم ومعاملتهم لأهل الخلاف من المسلمين... وقد تركت سيرته هذه أثراً عميقاً في سلوك الإباضية... ولعلنا نستطيع القول أنه في اللحظة التي رفض فيها عبد الله بن أباض اتباع نافع بن الأزرق واختلافه مع عبد الله بن الصفار، بدأ فيها تنظيم فرقة الإباضية وتبلور مبادئها حيث لم يبق شيء يربط الإباضية بجماعات الخوارج الأخرى سوى الموقف العام من مسألة الإمامة»[٦٣١].

هذه الأقوال التي قالها الدكتور فاروق عمر فوزي تناقض ما قاله ابن الأثير عن أبي بلال، لأن الدكتور فاروق عمر فوزي وزن سير الرجال بميزان الحق، ولم يتبع أقوال الكذابين والضعفاء كما فعل ابن الأثير ومن سار على نهجه من الكتاب.

فالخلل الذي بسببه نسب ابنُ الأثير أهلَ النهروان والإباضية إلى الخوارج هو عدم تقيد ابن الأثير ومن سار على نهجه بالقواعد التي يحتكم إليها في

(٦٣١) المثالية والواقعية في تاريخ الفكر السياسي عند المسلمين، ص٣٧٢.

تقييم الرجال، وإلا فإن القيم والمبادئ التي سجلها ابن الأثير وغيره للإباضية كفيلة بإقناعهـــم أن أهل النهروان والإباضية بعيـــدون كل البعد عن الخوارج وغيرهم من المفسدين في الأرض، وفي ما يأتي من صفحات بيان أوسع لما قلناه هنا، والله الموفق إلى الصواب.

❁ ❁ ❁

١١ مباينة الإباضية لأفكار الخوارج

أما يكفي ابن الأثير ذلك الموقف الذي وقفه الإمام عبد الله بن إباض أمام نافع بن الأزرق، وأعلن له كما أعلن للعالم أجمع المبدأ الذي عليه الإباضية والذي استقاه من مصادره الصافية؛ القرآن والسنة وسير الصحابة رضي الله عنهم ؟

فقد أورد ابن الأثير ما نصه: «ونظر نافع فرأى أن ولاية من تخلّف عن الجهاد من الذين قعدوا من الخوارج لا تحل له، وأن من تخلف عنه لا نجاة له، فقال لأصحابه ذلك ودعاهم إلى البراءة منهم وأنهم لا يحل لهم مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم، ولا يجوز قبول شهادتهم وأخذ علم الدين عنهم، ولا يحل ميراثهم، ورأى قتل الأطفال والاستعراض، وأن جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لا يُقبل منهم إلا الإسلام أو القتل. ... فكتب نافع إلى ابن أباض وابن الصفار يدعوهما ومن معهما إلى ذلك... فأخذه ابن أباض فقرأه، فقال: قاتله الله أي رأي رأى! صدق نافع، لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً وكانت سيرته كسيرة النبي، ﷺ في المشركين، ولكنه قد كذب فيما يقول، إن القوم بُرَآء من الشرك ولكنهم كفار بالنعم والأحكام ولا يحل لنا إلا دماؤهم، وما سوى ذلك فهو حرام علينا»[٦٣٢].

(٦٣٢) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ١٦٧ ـ ١٦٨.

فحينما نفك رمـوز هذا النص التاريخي، ونحلل ما أتـى به ابن الأزرق من أفكار، ونستشـعر رد عبد الله بن إباض لتلك الأفكار التـي أراد ابن الأزرق من الجميع تطبيقها، سنعرف يقيناً براءة أهل النهروان من هذه الأفكار الخبيثة ورفض الإباضية لها ولقائلها ومطبقيها في واقع الحياة مدى القرون الماضية واللاحقة.

١ ـ لم تكن عبارة ابن إباض هذه نظرية عابرة يواجه بها خصماً عنيداً، بل هي قاعدة من قواعد الدين التي سار عليها المسلمون منذ وقت الرسالة على صاحبها أفضل الصـلاة والتسـليم. وللإباضيـة، مع غيرهم مـن إخوانهم المخلصين لهذا الدين، الحظ الوافر في تطبيق تعاليم الرسـول ﷺ وأصحابه الكرام طوال مسيرتهم النيرة.

٢ ـ وعبارة «ونظر نافع فرأى...» الواردة في هذا النص تدل أن مبدأها هو يوم سـاورت نافع بن الأزرق وساوسـه الشـيطانية، ولم تكن هذه الأفكار معروفة قبل هذا الوقـت، لهذا بادرهم نافع بأقواله التـي اخترعها لهم لعلها تجد الرضى منهم. **والحمد لله، فالإباضية هم أول الناس في التاريخ من وقف أمام هذه الدعـوة الخارجية** لأنهم رأوها مخالفة للقرآن الكريم وللسـنة على صاحبها أفضل الصلاة والتسـليم وهدي الصحابة الكرام رضوان الله عليهم. وتدل هذه العبارة أن نافع بن الأزرق هو الذي انشق بنظريته ورأيه عن تعاليم الإسـلام التي كان عليها أهل النهروان وثبت عليها ابن إباض وأتباعه. فهذه النظرة التي رآها ابـن الأزرق رفضها الإباضيون رفضاً شـديداً وتبناها أقوام آخرون على مدى القرون الماضية كما تبين ذلك في صفحات هذا البحث.

٣ ـ قولة ابن إباض واصفاً ابـن الأزرق «... قاتله الله أي رأي رأى...»، وقوله: «... ولكنه قد كذب فيما يقـول...» إعلان براءة[٦٣٣] من ابن الأزرق

(٦٣٣) ذكر الدكتور الشيخ ناصر السابعي أقوال علماء الإباضية التي أعلنوا فيها البراءة من أفكار الخوارج، انظر (الخوارج والحقيقة الغائبة، ص١٩٢ ـ ١٩٤).

الكذاب وأفكاره، إذ كل ما أتى به من أقوال هي كذب ويستحق بسببها القتال من الله.

٤ ـ وعبارة: «ورأى قتل الأطفال والاستعراض...» دليل بين واضح أن استحلال دماء المسلمين جاء من رأي ابن الأزرق وأفكاره، وليس الذي رآه ابن الأزرق يعد من موروثات العلم. والعبارة التي هي منهج التعامل بين المتحاربين من المسلمين قد أراد ابن الأزرق تحريفها **ولكن الإمام ابن إباض كان له بالمرصاد فرد عليه بالحق الذي سار عليه المسلمون** من قبل ابن الأزرق ومن بعده: «إن القوم برآء من الشرك[٦٣٤] ولكنهم كفار بالنعم والأحكام ولا يحل لنا إلا دماؤهم وما سوي ذلك فهو حرام علينا». من هذا النص الذي نقلناه يتضح لنا تكون جماعة على رأسها نافع ابن الأزرق تنادي بمبادئ لم تكن متبناة من قِبَل أهل النهروان ومن سار على نهجهم، ويتضح لنا كذلك بقاء عبد الله بن إباض على المبادئ التي كان عليها أهل النهروان والتي تخالف كل المخالفة لما اقترحه ابن الأزرق من أفكار.

٥ ـ ومما يلاحظه القارئ لكتاب ابن الأثير أنه حينما يذكر الأزارقة فإنه ينسبهم إلى الخوارج ويذكر المفاسد التي نادوا بها وارتكبوها. وأما حينما يذكر أعلام الإباضية فإنه ينسبهم إلى الخوارج وينسب إليهم أعمالاً سامية وأفعالاً يدعو إليها الإسلام.

---

(٦٣٤) جاء في «أول منظومة في الاعتقاد عند الإباضية» (شرح قصيدة أبي المؤثر، ص١٤ ـ ١٥):

«ولا شرك في أهل القرآن لحكمنا ولا قتل سر إن ذلك يوبق»

وجاء في شرح هذا البيت: «وذلك أن الخوارج شركوا أهل القبلة، وانتحلوا الهجرة، واعترضوا الناس على غير دعوة، وسبوا النساء، وحرقوا المنازل، وقتلوا الأطفال» (شرح قصيدة أبي المؤثر، ص٣٨).

وبعد تلك المحاجة والجدال التاريخي الذي صار بين الإمام عبد الله بن إباض ونافع بن الأزرق اتجه الإمام عبد الله بن إباض وأتباعه ومن سار على نهجه صوب العلم وتربية الأجيال المسلمة على أخلاق الإسلام ومبادئ الدين، ورد الأمور إلى نصابها من إقامة الحق، ومحاربة الطغاة والظلمة ممن أفسدوا في الأرض.

وبعد أن أعلن ابن الأزرق مبادئه المخالفة للشرع، وبعد أن نابذه أئمة الإباضية وحكموا عليه بالكذب ودعوا عليه بالويل والقتل، اتجه هو وأتباعه إلى إراقة دماء المسلمين وسبي نسائهم، منافساً في ذلك الذين حاربوه من جنود بني أمية، فهم ـ أقصد جنود بني أمية ـ لم يأتوا في حروبهم للخوارج إلا بما أتى به الأزارقة من فساد وظلم ونهب وسبي للمسلمات.

فها هو ابن الأثير نفسه ينقل لنا: «... ثم إن الله تعالى أنزل نصره على المهلب وأصحابه وهزم الخوارج وكثر القتلى فيهم، وكان فيمن قتل: عبد ربه الكبير، وكان عدد القتلى أربعة آلاف قتيل، ولم ينج منهم إلا قليل، وأخذ عسكرهم وما فيه وسُبوا لأنهم كانوا يسبون نساء المسلمين»[٦٣٥].

وهكذا قابل جنود الأمويين والخوارج بعضهم بعضاً؛ القتل بالقتل، ونهب الأموال بنهب الأموال، وسبي النساء بسبي النساء، ولم يكن أحدهما وقافاً عند حدود الله، ولم يكن همهما الدفاع عن الدين ومبادئه.

وأما الإباضية فقد أعلنوها، فعلاً وقولاً، أن ما أقدم عليه الأزارقة من أعمال يحاربها الإسلام لا تمتها أي صلة بأهل النهروان الكرام، والذي أقدم عليه الأزارقة من فعل سيء إنما هو ردة أفعال لما جنته أيدي جنود بني أمية من شنائع الأفعال في ديار الإسلام.

(٦٣٥) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ٤٤٠.

والإباضية حينما حاربوا الخوارج وغيرهم من المفسدين في الأرض لم يتعدوا حدود الله؛ فلم ينهبوا مالاً لمسلم، ولم يسبوا امرأة ولا ذرية، لأن همهم الأوحد رضى الله تعالى بإقامة حدوده في أرضه.

قال الدكتور الشيخ ناصر السابعي: «وأما قول عبد الله بن إباض: (**ولا تحل لنا إلا دماؤهم**) فلا يخفى أنه يعني أمر القتال، والمراد أنه إن حل قتال أحد من المسلمين بحكم شرعي كقتال البغاة الذي نصت على شرعيته آية الحجرات، فلا يحل بعده شيء من الغنيمة والسبي ونحوهما...»[٦٣٦].

وقال الشيخ أبو إسحاق اطفيش وهو يبين هذا المبدأ الذي فرق بين الإباضية والأزارقة: «فالأباضية أهل الحق لم يجمعهم جامع بالصفرية والأزارقة ومن نحا نحوهم إلا إنكار الحكومة بين علي ومعاوية، وأما استحلال الدماء والأموال من أهل التوحيد والحكم بكفرهم كفر شرك: فقد انفرد به الأزارقة والصفرية والنجدية، وبه استباحوا حمى المسلمين، ولما كان مخالفونا لا يتورعون ولا يكلفون أنفسهم مؤنة البحث عن الحق ليقفوا عنده خلطوا بين الأباضية، أهل الحق الذين لا يستبيحون قطرة من دم موحد بالتوحيد الذي معه، وبين من استحلوا الدماء بالمعصية الكبيرة، حتى قتلوا الأطفال تبعاً لآبائهم...»[٦٣٧].

لقد وقف أحد عظماء الإباضية أمام جبروت زياد بن أبيه الذي قال: «وإني لأقسم بالله لآخذن الولي بالولي، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم بالسقيم»[٦٣٨]، وذكره بقول الله تعالى:

(٦٣٦) الخوارج والحقيقة الغائبة، ص ١٩٠.
(٦٣٧) تحفة الأعيان، ج١/ ص٦، هامش ١.
(٦٣٨) الكامل في التاريخ، ج٣ / ٤٤٨.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٧ ـ ٣٩]، وقال له: «أنبأ الله بغير ما قلت»، «فأوعدنا الله خيرا مما أوعدتنا»، فما كان من زياد إلا أن قال: «إنا لا نجد إلى ما تريد أنت وأصحابك سبيلا حتى تخوض إليها الدماء». فما كان من ابن الأثير، وهو يذكر هذه القصة، إلا أن يصف من تحدى طغيان زياد بقوله: «فقام إليه أبو بلال مرداس بن أدية وهو من الخوارج».

فأبو بلال مرداس بن أدية الذي التزم بما نطق به القرآن، وكره أقوال الطغاة الذين لا يقيمون لتعاليم الإسلام أي وزن، لاحقه ابن الأثير وغيره من الكُتَّاب وألقوا به ظلماً وزوراً في ساحة الخوارج لا لشيء إلا لأنه وقف وقفة حق أمام جبروت الطغاة.

وفي نفس الصفحة التي ذكر فيها ابن الأثير قصة أبي بلال مع زياد بن أبيه، نجد ابن الأثير ينسب إلى ابن أبيه قتل أعرابي برئ جاء لطلب الرزق وغشيه الليل في البصرة. ومما قاله ابن الأثير في وصفه لزياد بن أبيه: «وكان زياد أول من شدد أمر السلطان، وأكد الملك لمعاوية، وجرد سيفه، وأخذ بالظنة، وعاقب على الشبهة»[٦٣٩]. فهذا الذي جرد السيف ووضعه في غير محله لا تناله أوصاف الخوارج، لا لشيء إلا لأنه جندي من جنود معاوية بن أبي سفيان!!.

وفي مشهد آخر يتبين فيه لكل منصف وبصير من أولى الفريقين بالخوارج، فقد ذكر ابن الأثير ما نصه: «فقال أبو بلال: هذا يوم جمعة وهو يوم عظيم وهذا وقت العصر فدعونا حتى نصلي. فأجابهم ابن الأخضر وتحاجزوا، فعجل ابن الأخضر الصلاة، وقيل قطعها، والخوارج يصلون، فشد

(٦٣٩) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٤٥٠.

عليهم هو وأصحابه وهم ما بين قائم وراكع وساجد لم يتغير منهم أحد من حاله، فقتلوا من آخرهم وأُخذ رأس أبي بلال»[٦٤٠].

أهذا الذي يدعو الناس للصلاة يكون من الخوارج؟!!. أفمن يُقتل غدراً وهم بين قائم وراكع وساجد يكون من الخوارج؟!!. وما هو عذر ابن الأثير في وصفه لأبي بلال ومن كان معه بالخوارج؟.

لقد انقلبت عند ابن الأثير ومن سار على نهجه الموازين فأصبح الواقف عند حدود الله من الخوارج!!. إن أولى الناس بالخوارج هم جنود بني أمية ـ الذين يقتلون الأبرياء ويتسابقون في قطع الرؤوس ليتزلفوا بها عند سادتهم الذين علموهم الفساد والإفساد ـ وليس أبو بلال الذي تربى على مبادئ الإسلام التي كان عليها أهل النهروان والصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

ومما قاله ابن الأثير واصفاً أبا بلال مرداس: «كان عابدا مجتهدا عظيم القدر في الخوارج وشهد صفين مع علي فأنكر التحكيم وشهد النهروان مع الخوارج وكانت الخوارج كلها تتولاه... وكان لا يدين بالاستعراض ويحرم خروج النساء ويقول لا نقاتل إلا من قاتلنا ولا نجبي إلا من حمينا».

فأبو بلال مرداس بن حدير يجسد ما كان عليه أهل النهروان من مبادئ وقيم؛ فهو «لا يدين بالاستعراض» ولا يقاتل إلا من ابتدأه بالقتال، ولا يأخذ من أموال الناس شيئاً إلا بموجب شرعي سمح به الدين الحنيف. فما هو عذر ابن الأثير إذاً في وصف أبي بلال بالخارجية؟

(٦٤٠) الكامل في التاريخ، ج٤/ ص٩٤ ـ ٩٥.

لقد نقل لنا ابن الأثير في موسوعته أحداثاً لجنود بني أمية وبني العباس فيها الاستعراض والقتل ونهب الأموال ولم يصفهم ابن الأثير بالخوارج، فلم هذا الظلم في القول؟ ولم هذا التطفيف في الموازين؟

فنقول لابن الأثير ومن سار على نهجه[٦٤١]: كفاكم ظلماً للإسلام حينما رفعتم أقدار الجبارين من جنود بني أمية، ووصفتم أبا بلال الذي «لا يدين بالاستعراض» بالخوارج.

ومشهد آخر من مشاهد الظالمين ومناصريهم من الكتاب، يرسمه لنا ابن الأثير بقوله: «اشتد عبيد الله بن زياد على الخوارج فقتل منهم جماعة كثيرة، منهم: عروة بن أُدَيَّة أخو أبي بلال مرداس بن أدية... وكان سبب قتله أن ابن زياد كان قد خرج في رهان له، فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع إليه الناس وفيهم عروة، فأقبل على ابن زياد يعظه، وكان مما قال له ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٨ ـ ١٣٠]... فقيل لعروة: ليقتلنك! فاختفى، فطلبه ابن زياد فهرب وأتى الكوفة، فأُخذ وقُدِم به على ابن زياد، فقطع يديه ورجليه وقتله، وقتل ابنته»[٦٤٢].

---

(٦٤١) وممن سار على نهج ابن الأثير الدكتور أحمد معيطة صاحب كتاب (الإسلام الخوارجي) الذي وصف عروة بن أدية، أخا أبي بلال، بقوله: «أما أغلبية الخوارج فلم تقر هذا المبدأ (التقية) لا قولاً ولا فعلاً، وفي كتب التاريخ والسير ما يؤكد أن الخارجي ملتزم بعقيدته، مخلص لمبادئها في القول والسلوك، فعندما جيء بـ(عروة بن أدية) لم يتورع هذا الخارجي عن إبداء رأيه الحقيقي، وعن سب معاوية وفضح نسب زياد المزيف...» (الإسلام الخوارجي، ص٥٦)(عروة بن أدية أعلى وأرقى من أن تصدر منه مسبة لأحد، فهو ﷺ ملتزم بأمر الله، ولكن عقدة الكُتَّاب أن كل من أظهر رأي الإسلام، وصبر على الحق، وناقض ما عليه معاوية وبني أمية وبني العباس يسمى عندهم خارجيا).

(٦٤٢) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٥١٧ ـ ٥١٨.

كان على ابن الأثير ومن سار على نهجه أن يتذكروا قول الرسول ﷺ (أَفْضَلُ الْجِهَادِ، كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ)[٦٤٣].

والإنسان ليشتد عجباً من ابن الأثير وغيره حينما يتهمون الذين يُذَكِّرون الجبابرة بآيات الله تعالى بالخوارج، ولا يلتفتون إلى ما يفعله الجبابرة من قتل وتقطيع أوصال.

فأولئك الرجال الذين تمثلوا حديث الرسول ﷺ، ولم تأخذهم في قول الحق لومة لائم، صاروا في دواوين بني أمية ومن شايعهم من الكُتَّاب خوارج؛ لا جزاء لهم إلا القتل والتقطيع لأبدانهم وقتل أبنائهم!!

فهل هناك إجرام فوق هذا الإجرام الذي ارتكبه عبيد الله بن زياد؟، وهل هناك بخس للموازين فوق نعت الأبرياء بالخوارج؟

ومشهد آخر من مشاهد الاستقامة في الدين يترجمه سلوك أبي حمزة الشاري الذي ثار على جحافل الفساد الأموية، والمؤسف أن الذين ذكروا خطبه العصماء المستوحاة من هدي الوحيين، والذين نقلوا لنا حسن سيرته هم أنفسهم من نسبه إلى الخوارج، في مفارقة لا يجد لها القارئ المنصف أي مبرر سوى اتهام الكُتَّاب بالحيدة عن منهج الإسلام الداعي إلى قول الصدق في حق عباد الله تعالى.

فقد نقل ابن الأثير ما نصه: «فسار ابنُ عطية فالتقى أبا حمزة بوادي القرى، فقال أبو حمزة لأصحابه: لا تقاتلوهم حتى تختبروهم. فصاحوا بهم: ما تقولون في القرآن والعمل به؟ فقال ابن عطية: نضعه في جوف الجواليق. فقال: فما تقولون في مال اليتيم؟ قال ابن عطية: نأكل ماله ونفجر بأمه، في أشياء سألوه عنها. فلما سمعوا كلامه قاتلوه...»[٦٤٤].

(٦٤٣) سنن ابن ماجة، الرواية: ٤٠١١، ص ٦٤٧.

(٦٤٤) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٣٩١.

ومما قاله ابن الأثير في وصف معاملة أبي حمزة لأهل مدينة رسول الله، ﷺ: «وأحسن السيرة مع أهل المدينة واستمال حتى سمعوه يقول: مَنْ زنى فهو كافر[٦٤٥]، ومَنْ سرق فهو كافر، ومَنْ شكّ في كفرهما فهو كافر. وأقام أبو حمزة بالمدينة ثلاثة أشهر»[٦٤٦].

ومما نقله ابن الأثير عن سلوك أبي حمزة وأصحابه: «... فبينما الناسُ بعرفة ما شعروا إلا وقد طلعت عليهم أعلام وعمائم سود على رؤوس الرماح وهم سبعمائة، ففزع الناسُ حتى رأوهم وسألوهم عن حالهم، فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان. فراسلهم عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وهو يومئذ على مكة والمدينة، وطلب منهم الهدنة، فقالوا: نحن بحجنا أضن وعليه أشح. فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الأخير، فوقفوا بعرفة على حِدَةٍ...»[٦٤٧].

ومما نقله ابن الأثير أيضاً: «... ولكن بعثنا إليك الأميرُ برسالة، وهذا ربيعة يُخبرُكها. فلما ذكر له ربيعة نقض العهد قال أبو حمزة: معاذ الله أن ننقض العهد أو نخيس به، لا والله لا أفعل ولو قُطعت رقبتي هذه، ولكن تنقضي الهدنة بيننا وبينكم. فرجعوا إلى عبد الواحد فأبلغوه. فلما كان النفر الأول نفر عبد الواحد فيه وخلى مكة، فدخلها أبو حمزة بغير قتال...»[٦٤٨].

فهذه الأفعال السامية، والأخلاق الرفيعة، والمبادئ الإسلامية التي تحلى بها أبو حمزة الشاري ومن معه من الشراة، لم تمنع ابن الأثير ومن حذا حذوه

---

(٦٤٥) ذكر الدكتور الشيخ ناصر السابعي أحاديث نبوية ذكرت فيها كلمة (الكفر) ويراد بها المعصية، انظر (الخوارج والحقيقة الغائبة، هامش ص ١٣٨).

(٦٤٦) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٣٩٠.

(٦٤٧) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٣٧٣.

(٦٤٨) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٣٧٤.

عن اتهامهم ظلماً وزوراً بالخوارج. فقد وصف ابن الأثير أبا حمزة الشاري بـ(الخارجي)[٦٤٩] في مواضع عديدة ولم يأت بما يثبت هذه التهمة الباطلة، سوى مخالفة[٦٥٠] مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية الذي قام عليه بنو العباس فيما بعد وأذاقوه ومن معه من بني أمية أشد العذاب.

وقلم ابن الأثير ـ كغيره من الكُتَّاب ـ دائماً وأبداً وأينما حل وارتحل، ما إن يُذكر أهل النهروان والإباضية إلا ويقرنهم بالخوارج، ولم يراع في أحكامه الجائرة تلك ما حرمه الله تعالى على المسلمين من تنابز بالألقاب، ورمي بالبهتان.

ولم يرض ابن الأثير بوصف الإمام الجلندى بن مسعود ومن معه من الشراة بما ارتضوه لأنفسهم من أوصاف، بل ألحقهم بالخوارج الذين هم من ألد أعداء الإباضية عبر التاريخ. ومما ذكره ابن الأثير حول قتال الإمام الجلندى بن مسعود لشيبان الصفري قوله: «... فركب شيبان وأصحابه السفن وساروا إلى عُمان، وهم صفرية. فلما صاروا إلى عُمان قاتلهم الجُلندى وأصحابه، وهم إباضية، واشتد القتال بينهم، فقُتل شيبان ومَنْ معه»[٦٥١]. ولم يقتنع ابن الأثير هنا بالحق الذي عليه الإمام الجلندى بن مسعود الإباضي الذي حارب شيبان الصفري حينما أراد أن يدخل عمان عنوة، بل أراد ابن الأثير أن يُهَوِّن من شأن هذا الإمام ومن شأن أهل عمان حينما نسبهم إلى

(٦٤٩) فمما قاله ابن الأثير في حق أبي حمزة الشاري: «ذكر وقعة أبي حمزة الخارجي بقديد»، و«ذكر أبي حمزة الخارجي»، و«قدم أبو حمزة بلج بن عقبة الأزدي الخارجي»، و«فأرسل عبد الواحد إلى أبي حمزة الخارجي»، و«كان اسم أبي حمزة الخارجي المختار بن عوف الأزدي السلمي البصري، وكان أول أمره أنه كان من الخوارج الأباضية» (هذه العبارات تكررت في الكامل في التاريخ، ج٥/ بين صفحات ٣٥١ ـ ٣٩١).

(٦٥٠) الكامل في التاريخ، ج٥/ص٣٥١.

(٦٥١) الكامل في التاريخ، ج٥/ص٤٥٢.

الخوارج عند ذكره للحملة العسكرية التي أعدها السفاح وأمَّر عليها خازم بن خزيمة: «... وأشاروا [يقصد الذين كلموا السفاح في تأمير خازم على حملته العسكرية] عليه بتوجيهه إلى مَنْ بعُمان من الخوارج وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكري»[٦٥٢].

ومما سجله ابن الأثير على خازم بن خزيمة في نفس الصفحات التي ذُكر فيها الإمام الجلندى بن مسعود: «... ثم انصرف [يقصد خازم بن خزيمة] فمر بذات المطامير، وبها أخوال السفاح من بني عبد المدان... فقال لهم: أنتم أخوال أمير المؤمنين يأتيكم عدوّه ويأمن في قريتكم! فهلّا اجتمعتم فأخذتموه! فأغلظوا له في الجواب، فأمر بهم فضُربتْ أعناقهم جميعاً وهدم دورهم ونهب أموالهم ثم انصرف»[٦٥٣].

فالإباضية عند ابن الأثير خوارج!!! ولو حاربوا الخوارج، وانتصروا لدين الله، وقاتلوا خازم بن خزيمة الذي ضرب أعناق الأبرياء وهدم دورهم ونهب أموالهم.

هنا؛ وفي هذه الصفحات التي خطتها أنامل ابن الأثير نشاهد واقعاً حياً واصفاً لثلاثة مبادئ طبقها أصحابها في سيرهم في هذه الحياة:

١ ـ نرى مبدأ خازم بن خزيمة وسادته من بني العباس المتمثلة في قتل الأبرياء وهدم ديارهم ونهب أموالهم.

٢ ـ ونرى شيبان الصفري تطارده جحافل بني العباس من دار إلى دار حتى انتهت أحلامه الفاسدة في أرض عمان الطاهرة على أيدي الشراة الأشاوس.

(٦٥٢) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٤٥١.
(٦٥٣) الكامل في التاريخ، ج ٥/ ص ٤٥٠.

٣ ـ ونرى الإمام الجلندى بن مسعود الإباضي ومن معه من الشراة يهبون هبة الأسود للدفاع عن عُمان الطاهرة من لوثة أفكار الصفرية، وفساد خازم بن خزيمة المتكرر في كل أرض سار إليها. ونرى الإمام الجلندى ذا بسالة رد بها كيد شيبان الصفري، ونرى تقواه وخوفه من الله تعالى يعصمانه ومن معه من الأجناد من أن يتعدوا حدود الله تعالى. وهم، وفي عزة النصر، لم تحدثهم نفوسهم الطاهرة بنهب ما خلفه شيبان ومن معه في أرض المعركة[٦٥٤]، بل عزموا على رد ما تركه شيبان إلى أهله وذويه، ولم يفعلوا فعلة خازم الذي هدم الديار ونهب الأموال كما نقل ذلك ابن الأثير.

فنقول لابن الأثير ومن سار على نهجه ممن اضطربت عندهم الموازين: إن أحق الناس بالخوارج هم خازم بن خزيمة وجنوده وسيده السفاح العباسي، الذين نقلتم في كتبكم مفاسدهم في أرض الإسلام؛ من قتل وهدم للديار ونهب للأموال.

وكل منصف من أبناء هذه الأمة الخيرة، التي اختارها الله تعالى وفرض عليها قول الصدق، لا بد أن يقف مع الحق، ويعدل في القول والحكم، وينصف المظلوم ولو بمدة قلم. هذا الذي نرجوه من أبناء أمتنا ونحسب ذلك من حقنا الذي نطالب به.

ومساندة ابن الأثير للدولة البويهية، جعلته يقلب الموازين التي نادى بها في تاريخه، ويصف اعتداءات جنودهم على بلاد المسلمين فتحاً، ويصف من تغلب من المغتصبين للديار أصحاباً لها، وينعت أهل البلدان المدافعين عن حماها خوارج.

(٦٥٤) انظر ما كتبه الإمام السالمي حول حرب الإمام الجلندى لشيبان الخارجي وخازم بن خزيمة في (تحفة الأعيان، ج١/ ص ٩٥ ـ ١٠١).

فقد قال ابن الأثير: «وفيها [يقصد سنة ٢٨٠ للهجرة] **افتتح** محمد بن ثور عُمان وبعث برؤوس جماعة من أهلها»[٦٥٥]، وقال أيضاً في موضع آخر من تاريخه: «في هذه السنة [يقصد سنة ٣٥٢ للهجرة] سار الوزير أبو محمد المهلبي، وزير معز الدولة في جمادى الآخرة، في جيش كثيف إلى عمان ليفتحها، فلما بلغ البحر اعتل»[٦٥٦].

وعند ذكره لحروب العبيديين للدولة الرستمية الإباضية قال ابن الأثير: «وخالف عليه أهل تاهَرت، فغزاها، ففتحها، وقتل أهل الخلاف»[٦٥٧].

ومما قاله ابن الأثير عند ذكره لجيش آخر أرسله البويهيون إلى عمان: «وانحدر من واسط إلى الأبُلة، في شهر رمضان، فأقام بها يجهز الجيش والمراكب ليسيروا إلى عُمان، ففرغ منه، وساروا منتصف شوال، واستعمل عليهم أبا الفرج محمد بن العباس بن فسانجس، وكانوا في مائة قطعة، فلما كانوا بسيراف انضم إليهم الجيش الذي جهزه عضد الدولة من فارس نجدةً لعمه معز الدولة، فاجتمعوا وساروا إلى عُمان، ودخلها تاسع ذي الحجة، وخطب لمعز الدولة فيها، وقتل من أهلها مقتلة عظيمة وأُحرقت مراكبهم، وهي تسعة وثمانون مركباً»[٦٥٨].

فبأي حق هذه المقتلة العظيمة التي أوقعها جيش معز الدولة بالمسلمين؟

ألم يجد ابن الأثير إلا كلمة (فتح) للتعبير عن هجمات البويهيين والعبيديين المتوحشة لعمان وتيهرت عاصمة الرستميين؟

---

(٦٥٥) الكامل في التاريخ، ج ٧/ ص ٤٦٤.
(٦٥٦) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٥٤٦.
(٦٥٧) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٥٣.
(٦٥٨) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٥٦٨.

فعمان عبر تاريخها لم يدخلها الغزاة إلا حين فرقة من أهلها، وبعد أن تلتحم الصفوف يخرج منها الغزاة صاغرين.

والذي حدث مع محمد بن بور لم يكن فتحاً كما يدعي ابن الأثير، بل كان إفساداً في الأرض، وقد أدب الله به أهلَ عمان حينما تناسوا نعمة الله عليهم وجعلوا بأسهم بينهم شديداً، فجاءهم ابن بور ومن معه من المفسدين ليذيقوهم بأساً أشد من بأس بعضهم لبعض، وهذه سنة الله تعالى في العباد.

وأي فتح يدعيه ابن الأثير وهو بنفسه اختتم خبره بقوله: «وبعث برؤوس جماعة من أهلها»؟، وهو الذي نقل أيضاً عن جيش معز الدولة «وقتل من أهلها مقتلة عظيمة وأحرقت مراكبهم وهي تسعة وثمانون مركبا».

أفمن جاء للقتل والنهب والعيث في ديار المسلمين يسمى فاتحاً؟

فهوى ابن الأثير لدولة البويهيين قاده إلى هذا القول، وقاده للافتخار بفعلة ابن بور في أهل عمان، **فلله الأمر من قبل ومن بعد.**

واستمر ابن الأثير في اتهامه لأهل عمان بالخوارج لا لشيء إلا لأنهم وقفوا أمام البويهيين الذين جاسوا في عُمان وأهلكوا الحرث والنسل، فقد قال في تاريخه: «ذكر استيلاء الخوارج على عُمان في هذه السنة [يقصد سنة ٤٤٢ للهجرة] استولى الخوارج المقيمون بجبال عُمان على مدينة تلك الولاية. وسبب ذلك أن صاحبها الأمير أبا المظفر بن الملك أبي كاليجار كان مقيماً بها، معه خادم له قد استولى على الأمور، وحكم على البلاد، وأساء السيرة في أهلها، فأخذ أموالهم، فنفروا منه وأبغضوه.

وعرف إنسان من الخوارج يقال له ابن راشد الحال، فجمع مَن عنده منهم فقصد المدينة، فخرج إليه الأمير أبو المظفر في عساكره، فالتقوا واقتتلوا، فانهزمت الخوارج وعادوا إلى موضعهم.

وأقام ابن راشد مدة يجمع ويحتشد، ثم سار ثانياً، وقاتله الديلم، فأعانه أهل البلد لسوء سيرة الديلم فيهم، فانهزم الديلم، وملك ابن راشد البلد وقتل الخادم وكثيراً من الديلم، وقبض على الأمير أبي المظفر وسيّره إلى جباله مستظهراً عليه، وسجن معه كل من خطّ بقلم من الديلم، وأصحاب الأعمال، وأخرب دار الإمارة، وقال: هذه أحق دار بالخراب! وأظهر العدل، وأسقط المكوس، واقتصر على رفع عُشر ما يَرِد إليهم، وخطب لنفسه، وتلقب بالراشد بالله، ولبس الصوف، وبنى موضعاً على شكل مسجد، وقد كان هذا الرجل تحرك أيضاً أيّام أبي القاسم بن مُكرم فسيّر إليه أبو القاسم من منعه وحصره وأزال طمعه»[٦٥٩].

فأي قلب للحقائق كهذا الذي أقدم عليه ابن الأثير هنا؟

فأهل عُمان الذين توارثوا عرشها، وسكنوا سهولها وجبالها، وأسسوا دولاً على أرضها حكمت بالحق والعدل، وأنشؤوا أساطيلاً مخرت بهم عباب البحار صوب الشرق والغرب، أصبحوا ـ عند ابن الأثير ـ خوارج لا تقلهم إلا قمم الجبال وكهوفها حينما دافعوا عن أعراضهم وأوطانهم وحاربوا الغزاة الفاسدين من البويهيين الذين وجدوا فرصتهم ـ حين فرقة ـ للنيل من عمان وأهلها.

وأصبح في نظر ابن الأثير الغزاة الغرباء أصحاباً لعمان، وكل من حاول طردهم وتطهير الأرض منهم خوارج!!

فبأي منطق ينطق ابن الأثير؟، وبأي معيار يكتب تاريخه؟

وعلق الشيخ أبو إسحاق اطفيش على خبر ابن الأثير هنا بقوله: «لم يكن الأئمة بعمان يلقبون بهذه الألقاب [يقصد لقب الراشد بالله] في وقت من

(٦٥٩) الكامل في التاريخ، ج ٩/ ص ٥٦٥ ـ ٥٦٦.

الأوقات وإنما هذا من أغاليط الذين يتلقفون الأمور حسب شهواتهم **ولهذا قلنا لا يجوز الأخذ عنهم لما يناقض ما كتبه أصحابنا والحق أبلج**»[٦٦٠].

وأوضح الإمام نور الدين السالمي مبادئ الإباضية التي ساروا عليها عبر القرون الماضية، حيث قال: «...

ـ ونؤدي الأمانة إلى من أستأمننا عليها من قومنا أو غيرهم،

ـ ونوفي بعهود قومنا وأهل الذمة وغيرهم،

ـ ونجير من استجارنا من قومنا وغيرهم،

ـ ويأمن عندنا منهم الكاف عن القتال المعتزل بنفسه من غير أن نشك في ضلالته،

ـ وندعو إلى كتاب الله ومعرفة الحق وموالاة أهله ومفارقة الباطل ومعاداة أهله،

ـ فمن عرف منهم الحق وأقر به وتولانا عليه تولیناه وحرمنا دمه،

ـ ومن أنكر حق الله منهم واستحب العمى على الهدى وفارق المسلمين وعاندهم فارقناه وقاتلناه حتى يفيء إلى أمر الله أو يهلك على ضلالته، من غير أن ننزلهم منازل عبدة الأوثان فلا نستحل سباهم ولا قتل ذراريهم ولا غنيمة أموالهم ولا قطع الميراث منهم.

ـ ولا نرى الفتك بقومنا ولا قتلهم في السر وإن كانوا ضلالا، لأن الله لم يأمر به في كتابه، ولم يفعله أحد من المسلمين ممن كان بمكة بأحد من المشركين، فكيف نفعله نحن بأهل القبلة؟ وقد أمر الله نبيه أن ينبذ إلى من

(٦٦٠) تحفة الأعيان، ج١/ ص ٢٩٣، هامش ١.

خاف منه خيانة فقال: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

ـ ونرى أن مناكحة قومنا ومواريثهم لا تحرم علينا ما داموا يستقبلون قبلتنا، لأن المسلمين قد كانوا يناكحون المنافقين ويوارثونهم ويظهر من المنافقين من المعاصي أكثر مما يظهر اليوم من كثير قومنا،

ـ ولا نرى أن نقذف أحداً ممن يستقبل قلبتنا بما لم نعلم أنه فعله خلافاً للخوارج الذين يستحلون قذف من يعلمون أنه برئ من الزنا من قومهم وهم بذلك مضلون...

ـ ولا نرى الولاية إلا لمن علمنا منه الوفاء بما وجب عليه من دين الله، ونبرأ من المصرين على المعاصي من أهل دعوتنا وغيرهم حتى يراجعوا التوبة ويتركوا الإصرار»[٦٦١].

ونقل الإمام نور الدين السالمي من وصايا أئمة الإباضية لجنودهم حين أرسلوهم لكسر شوكة النصارى الذين اعتدوا على حرمات الله في جزيرة سقطرى، حيث نقل رحمه الله تعالى:

ـ «فتوبوا إلى الله من سيئ ما مضى، وأصلحوا فيما بقي بما عنكم به يرضى،

ـ وصونوا دينكم،

ـ ولا تبيعوا دينكم بدنياكم ولا بدنيا غيركم،

ـ وقفوا عن الشبهات واحرموا عن محارم الشهوات،

(٦٦١) تحفة الأعيان، ج١/ ص٨١ ـ ٨٢، وأنظر كذلك ص ٨٣ و٨٤ و٨٥.

ـ وغضوا أبصاركم عن مواقعة الخيانة،

ـ واحفظوا فروجكم عن الحرام،

ـ وكفوا أيديكم وألسنتكم عن دما الناس وأموالهم وأعراضهم بغير الحق،

ـ واجتنبوا قول الزور، وأكل الحرام، ومشارب الحرام، وجماعة السوء، ومداهنة العدو،

ـ وأدوا الأمانات إلى أهلها»[٦٦٢].

ـ «وأما من تمرد وأراد أن يبعث بجزيته ويقيم في منزله على حدثه فلا تقبلوا ذلك منهم،

ـ ومن صار منهم إلى أمانكم وعهدكم فليكونوا في أسركم آمنين،

ـ وأحسنوا إليهم في طعامهم وشرابهم،

ـ وامنعوهم ممن أراد ظلمهم حتى توصلوهم إليّ وإلى المسلمين إن شاء الله...»[٦٦٣].

ـ «وإذا التحمت الحرب بينكم وبينهم فلا تقتلوا صبياً صغيراً،

ـ ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، إلا شيخاً أو امرأة أعانوا على القتال،

ـ ومن قتلتموه عند المحاربة فلا تمثلوا به فإن رسول الله ﷺ نهى عن المثلة...»[٦٦٤].

---

(٦٦٢) تحفة الأعيان، ج١/ ص ١٧٠.

(٦٦٣) تحفة الأعيان، ج١/ ص ١٧٥.

(٦٦٤) تحفة الأعيان، ج١/ ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

تلكم هي بعض من وصايا أئمة الإباضية لجنودهم الذين أرسلوهم لمقارعة النصارى، فهي كما ترى رحمة الإسلام مع أعدائه الذين لا يرقبون في المسلمين إلاً ولا ذمة، وهذه المبادئ ليست حكراً على الإباضية، بل هي فخر كل أتباع المذاهب الإسلامية.

وأما حينما يقارع جنود الحق والاستقامة فلول العصاة والمعتدين من المسلمين فإن هدي أئمة الإباضية هو هدي الإسلام الذي جاء به القرآن الكريم وأمر به الرسول ﷺ، وطبقه الخلفاء الراشدون ومن اهتدى بهديهم.

فها هو الإمام ناصر بن مرشد يوصي ولاته بما أوصى به الإسلام أتباعه:

ـ «أن تأمر في هذه القرى والبلدان: باديهم وحاضرهم وعبدهم وحرهم وصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم بالعدل والمعروف وتنهاهم عن المنكر المخوف.

ـ وأن تعمل فيهم بكتاب الله المستبين وتحيي فيهم سنة النبي الأمين وآثار الأئمة المهتدين وسيرة القادة المخلصين الذين جعلهم الله منار الهدى وقادة الناس إلى التقوى...»[٦٦٥].

ـ «... على أن تظهر دين الله ﷻ في هذه البلدان والقرى وتحيي سنة نبيه محمد ﷺ حتى تأخذ من الظالم للمظلوم حقه وتوفي من مال الله لكل فقير نصيبه ورزقه.

ـ وتأمر من بهذه القرى والبلدان حضرهم وبدوهم بالمعروف والإحسان.

ـ وتنهاهم عن الفجور والبهتان.

---

(٦٦٥) تحفة الأعيان، ج ٢/ ص ٢٧.

ـ وتعلمهم أن من ظلم أحداً مثقال ذرة أو أقل منها أو أكثر فاقتد في عقابه بآثار الأئمة الفضلاء...»[٦٦٦].

وخاطب إمام من أئمة الإباضية أحد البغاة ووضـــح له مبادئ الإباضية، حيث قال له:

ـ «وحاربناك محاربة المسلمين لأهل البغي... ولا نستحل منك مالاً،

ـ ولا نسبي لك عيالاً،

ـ ولا ننسف لك داراً،

ـ ولا نعقر لك نخلاً،

ـ ولا نعضد لك شجراً،

ـ ولا نستحل منك حراماً،

ـ ولا نجهز على جريح،

ـ ولا نقتل موالياً تائباً،

ـ ولا نقتل مستأمناً إلينا،

ـ ولا نغنم ماله،

ـ ولا ندع أحداً يتعـــدى عليه بنفس ولا مال، فإن فعـــل ذلك أحد بأحد أخذنا له الحق إذا صح معنا، ومن كان في يده مال فهو أولى بما في يده، لأنا لا نزيل مالاً إلا بحجة»[٦٦٧].

---

(٦٦٦) تحفة الأعيان، ج٢/ ص٢٩ ـ ٣٠، وهناك رسائل كثير من الإمام ناصر بن مرشد اليعربي إلى ولاته، وكلها دعوة إلى اتباع القرآن والســـنة، وحينما يقرأها المرء يلمس فيها روح جيل الصحابة الذين كانوا يتواصون بالحق في تعاملهم مع شعوب العالم، انظر (تحفة الأعيان، ج٢/ ص٣٢ ـ ٣٥).

(٦٦٧) تحفة الأعيان، ج١/ ص٢٩٠.

ومما جاء من نصائح أئمة الإباضية لجنودهم:

ـ «... فإن كان أحد من أهل هذه السرية قد ركب جوراً وفعل فعلاً منكوراً فأنا برئ منه ومن فعله معاقب له بعد الصحة على جهله منصف بما يجب في الحق عليه غير راض بجهله وتعديه،

ـ وما بعثت هذه السرية حتى نهيتهم عن ظلم العباد،

ـ وأمرتهم بطاعة رجل من أهل الصلاح والرشاد،

ـ فإن كانوا تجاوزوا في ذلك إلى مالا يجوز لهم فعليهم وزر ما فعلوه وضمان ما أتلفوه على الناس وأحدثوه...

ـ فإن يكن أحد يدعي على أحد من أصحاب السرية حقاً فيصل إليّ حتى أوصله إلى ما يجب في الحق له...»[٦٦٨].

ـ «... وأن تسووا في الحق بين القريب والبعيد والحبيب والبغيض،

ـ ولا تصفحوا عن أحد وتأمنوه ثم تأخذوه وتعاقبوه بعد الصفح والأمان،

ـ ولا تخرجوا إلى النواحي والبلدان بعسكر لا تضبطونه ولا تشدونه عن الظلم والفساد...»[٦٦٩].

وقد أورد الإمام السالمي رحمه الله عن الإمام الجلندى بن مسعود رضي الله عنه أنه «أظهر الحق وعمل به، وأخذ الدولة من يد أهل الجور، وبرئ من الجبابرة وأشياعهم، ودان بقتال أهل البغي، **ولم يستحل مع ذلك غنيمة، ولا سبي ذرية، ولا استعراضاً بالقتل من غير دعوة**»[٦٧٠].

(٦٦٨) تحفة الأعيان، ج١/ ص٣١٢.

(٦٦٩) تحفة الأعيان، ج١/ ص٣٢٤.

(٦٧٠) تحفة الأعيان، ج١/ ص٨٩.

وهذه السيرة العطرة لهذا الإمام كانت في وقت تتسابق فيه جنود الأمويين والعباسيين إلى القتل والنهب والاعتداء على حرمات الدين.

ومشهد أخر من مشـاهد الحق والاسـتقامة قد نحت الإباضيون وقائعه وآثاره على جبين الدهر، فهم حينما نصبوا الإمام الوارث بن كعب، عام ١٧٩ للهجرة، بايعوه «على ما بويع عليه أئمة العدل، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشرى في سبيل الله، وإظهار الحق وإخماد الباطل، والجهاد في سبيل الله، وقتال الفئة الباغية، وكل فرقة امتنعت من الحق حتى تفئ إلى أمر الله **لا يسـتحلون منهـم غنيمة مال ولا سـبي عيـال، وانتحـال هجرة بعد النبي ﷺ، ولا يسموا بالشرك أهل القبلة ما بينوا الشهادتين**»[٦٧١].

وفي فتـرة النـزاع والحـروب بيـن الإمام سـعيد بن عبـد الله وبغاة البويهيين[٦٧٢]، الذين هجموا على عمان وأرادوا نزعها من أهلها، لم يستحل الإمام سـعيد بن عبد الله من أموال البويهيين أي شيء لأنهم مسلمون، رغم كل ما ارتكبوه من مفاسد في ديار الإسـلام، ورد إليهم ما فقدوه من أموال بعد أن أخذهـا أحد ضعفاء النفـوس ممن كان في جيش الإمام سـعيد بن عبد الله رضي الله تعالى عنه. فقد أورد الإمام السـالمي في (تحفـة الأعيان) ما نصه: «ومن جملة سلاطين عمان، يوسف بن وجيه، وكان قد ملك ناحية من عمان، وكان معاصراً للإمام سـعيد بن عبد الله رضي الله عنه، وكان للإمام معه حروب... وللإمام كتاب إلى يوسـف بن وجيه، يذكر له فيه حسن سـيرة المسلمين في حربه، وأنهم تبعوا في ذلك سـيرة أسـلافهم، ومن ذلك الكتاب قوله: (من الإمام سـعيد بن عبد الله ومن قبله من المسلمين، إلى يوسـف بن وجيه، وإن في

(٦٧١) تحفة الأعيان، ج١/ ص ١١٥.

(٦٧٢) قال الأسـتاذ الدكتور عماد الدين خليل: «... لقد تعبت الأمة من سـيادة البويهيين أشد التعب...» (في التاريخ الإسلامي فصول في المنهج والتحليل، ص ١٥٨).

شأننا وشـأنك لعجب، لحلقة حديد في رز باب، اتهم بها رجل من الرعية عندنا أنه قلعها من معسـكر أصحابك بنزوى، فحبسـنا الذي اتهم بها لأنا نسـتحل حبس أهل التهم على قدر اسـتحقاقهم في حكم المسلمين، **وقلنا للناس جهراً على رؤوس الملأ أن أموال أهل القبلة علينا حرام، كحرمة أموالنا على بعضنا البعض، وحجرنا علـى الناس التعرض لأشـيائكم ما دق منها وجل**، حتى قال: من لا علم لـه بأصول دين المسـلمين، أنكم الآن حفظة للجند على أموالهم، ومن ذلك أن الحبـوب التي جمعت من الأمصار التي استولينا عليها وجرى عليها حكمنا، لما علم الناس منا أنا لا نستحل شيئاً، ولا نقار أحـداً على معصيـة الله كائناً مـا كان من الناس منعهـم ذلك من التعرض لأشـيائكم كلها التي كانت فـي جوارنا من بلداننـا، **ولولا خوف العقوبة منا لانتهب ذلك بأيسر مؤنة، ولم يكن ذلك تقرباً إليك، ولا ابتغاء وسيلة إليك. ولكنا اتبعنا في ذلك كتاب الله، وآثار أسلافنا رحمهم الله**)»[٦٧٣].

ويسـجل الإباضيون مآثر مبادئهم علـى صفحات التاريخ فـي كل عصر، ويشاهدها المبصرون من أبناء الإسلام الذين ينصفون الحق والعاملين به، فها هو عبد الرزاق طوطاوي يقول بكل أمانة ما نصه: «تعرضت الجزائر منذ اسـتقلالها إلى هزات خطيرة وزلازل سياسـية وفتن مسـلحة من داخل السلطة وخارجها، شـارك فيها القاصي والداني، **لكن لم تجد في أي هذه الفتن إباضياً واحداً؛ لأن الإباضي لا يؤمن بالعنف في التغيير، وهو يهرب من الفتن كما يهرب من الكفر**، وأغلب شباب الإباضية ملتزمون خلقاً وديناً، ولا يستطيع أن ينكر هذا إلا جاحد، كما أن للإباضية مرجعية فكرية ودينية فلا يسـتطيع أحـد أن يقول برأيه في أي مسـألة، فهم ملتزمون بالشـورى، ومن يخرج عن القاعدة يتبرؤون منه ويصبح منبوذاً، **إنهـم أهل طهارة ونقاء لا تجدهم في أوكار البغي والفسـاد، ولا يردون**

(٦٧٣) تحفة الأعيان، ج١/ ص٢٨٩ ـ ٢٩٠، وانظر كذلك (تحفة الأعيان، ج١/ ص٢٧٦).

بالاستفزاز بمثله فإذا استفزهم أحد يردون بابتسامة أو يصمتون، كما أن الإباضي يكون إما في طلب العلم أو رزق شريف، فأين ما يصفهم به المرجفون، ولقد منينا بقوم لا يتدبرون فإنا لله وإنا إليه راجعون»[٦٧٤].

تلكم هي سجايا الإباضية عبر التاريخ، فهنيئاً لهم هذا السمو الذي تبوؤوه بأخلاقهم التي ورثوها من هدي النبوة.

والسؤال البليغ الذي يبحث له عن جواب عند كُتَّاب التاريخ الذين تحاملوا على الإباضية هو: «**فأين هذه الأخلاق فيما يشن من الحروب لشفاء الغيظ وإرضاء العواطف، ليس من ورائها هدف إلا الانتقام واستئصال المحاربين، من غير تمييز بين مسالم وغير مسالم، تلك الحروب التي لا يتقيد فيها المحاربون بعهد ولا ميثاق، ولا يراعون فيها فضيلة ولا خلقاً، ولا يجري على نفوسهم عطف ولا رحمة بأحد، وإنما يأتون على كل شيء، ويبيدون كل ما امتدت إليه أيديهم، لا يرقون لبكاء طفل، ولا يلتفتون إلى استرحام امرأة، ولا يبالون بصراخ الضعفاء البرآء، لأن الأمجاد في مقاييسهم مقدرة بقدر ما يسفكونه من دماء، وما يزهقونه من أرواح، وما يبيدونه من أمم، وما يخربونه من ديار، وما يشيعونه من خوف وبذلك يفاخرون؟**»[٦٧٥].

أخي القارئ، لعلك أدركت الآن الفرق بين الإباضية الذين تساموا بأخلاق الإسلام فكانوا رحمة الله في أرضه، وبين من فقد ما يدعو إليه الإسلام من أخلاق «وفعلوا **ما لم يفعله الكفار مع المسلمين**»[٦٧٦]. وعملوا «**بأهل البلاد ما لا يعمله الفرنج...**»[٦٧٧].

---

(٦٧٤) حوار بين السنة والإباضية والشيعة، ص ٧٤ ـ ٧٥.

(٦٧٥) نداء الحق، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠.

(٦٧٦) الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ١٨٢.

(٦٧٧) الكامل في التاريخ، ج ٨/ ص ٢٥٠.

وليعلم الجميع أن الإباضية لا يَدَّعون احتكارهم لهذه المثل العالية والأخلاق السامية لأنفسهم، بل عاشوا كما عاش إخوتهم الشرفاء من أبناء هذه الأمة الطاهرة عبر أطوار التاريخ على منهاج الإسلام، فكانت منحة الله لهم مناعة صانتهم عن الانزلاق في دركات الظلم والجور والطغيان في أرض الله تعالى، وروحاً زكية رُفعوا بها في سماء الإسلام الخالد. ففي الوقت الذي سَخَّر فيه بنو أمية وبنو العباس ومن لف في لفيفهم قوتهم الطاغية في القتل والنهب والسبي للمسلمين، فإن الشرفاء من أبناء هذه الأمة سعوا إلى رفع ظلم الطغاة عن كاهل أمة محمد ﷺ، وهم عند مناهضتهم للظلم والطغيان لم يلتفتوا إلى نعيق الضعفاء ومرضى النفوس من الكُتَّاب الذين وصفوهم بالخوارج ظلماً وزوراً.

فالفرق جد شاسع بين من علم وعمل بإخلاص وجد، وبين من عرف الحق ولكنه تدحرج بإفساده في دركات الظلم والجور. فهل سيدرك الكتاب، من خلال ما يقرؤونه، هذه الحقيقة ويعطوا كل ذي حق حقه؟ أم سيغلبهم الهوى فتنطق ألسنتهم بالكذب على عباد الله؟

نعم «إن طبيعة الإنسان أن يكون حراً وأن يريد كونه كذلك، ولكن من طبيعته أيضاً أن يتطبع بما نشأ عليه. لنقل إذن إن ما درج الإنسان عليه وتعوده يجري عنده بمثابة الشيء الطبيعي»[٦٧٨]. لم يختر ابن الأثير ومن سار على دربه السير في مسالك الحرية عند كتاباتهم عن الإباضية، ولكنهم ـ يا للأسف ـ درجوا على ما تطبعوا عليه، فكانوا أسارى لاستبداد أفكار الطغاة وأقوال الضعفاء من المؤرخين، فأنى يأتي الرشد والصدق والصواب من قوم هذه طبيعتهم؟

لقد سمع الإباضيون، كما سمع إخوانهم المخلصون من أتباع المذاهب الأخرى، قول الرسول ﷺ: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ،

(٦٧٨) كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد، ص ٦٩ ـ ٧٠.

كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ)[٦٧٩]، فكانوا خير تابع لأكرم وأزكى وأطهر متبوع ﷺ.

ولقد وجد الإباضيون في سيرة الإمام علي ـ كرم الله تعالى وجهه ـ منهاج حياتهم، فلهذا تجد أراءه مبثوثة في مصنفاتهم ويستندون عليها في أداء واجباتهم وأخذ حقوقهم.

ولقد عرف الإباضية أن الإمام علي كرم الله وجهه «كان مذهبه أن لا يقتل مدبراً ولا يُذفف على جريح ولا يكشف سترا ولا يأخذ مالاً»[٦٨٠]. لهذا أخذوا بمبادئه ولم يفرطوا بكلمة مما قاله الإمام كرم الله وجهه في وقت نجد القتل والنهب والسبي للمسلمين يرتكبه من يدعي زوراً وكذباً اتباع الإمام كرم الله وجه.

ولقد سمع الإباضيون قولة سليمان بن صرد الخزاعي وهو ينصح التوابين حيث ذكرهم بمبادئ الإمام علي كرم الله وجهه: «... ولا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم إلا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه، فإن هذه كانت سيرة علي في أهل هذه الدعوة»[٦٨١]، فكانوا خير سامع وأخلص عامل في ميدان الحياة.

وفي الوقت الذي تتنافس فيه فرسان بني أمية وبني العباس على قتل المدبرين، والإجهاز على الجرحى، وكشف العورات، والتمثيل بالقتلى، وسلب أموال المسلمين، وسبي نسائهم، فقد بقي الإباضيون يداً طائعة ومحققة لأقوال الإمام علي كرم الله وجهه في ميدان النزال، فلم تتدنس أيديهم

(٦٧٩) صحيح مسلم، الرواية: ٣٠، ص ٧٥٢.

(٦٨٠) الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٢٥٧، ونقل ابن الأثير من سيرة الإمام علي كرم الله وجهه: «فلما انهزموا أمر علي منادياً فنادى: ألا لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور» (الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤).

(٦٨١) الكامل في التاريخ، ج ٤/ ص ١٨١.

الكريمة الطاهرة بتلك القاذورات من الأعمال التي حذر منها الإمام علي كرم الله وجهه وانغمس فيها غيرهم[٦٨٢].

ولقد بقي الإباضيون على العهد فساروا على توجيهات الإمام علي العالية الرفيعة وطبقوها في ميادين النزال على من نازلهم واعتدى عليهم. وأصبحت هذه الأقوال المأثورة جواهر في صحائفهم النيرة تتربى عليها أجيالهم، وتزود بها الشراة الساعون في الأرض لأجل الحق.

والإباضية وإخوانهم من أبناء هذه الأمة الطاهرة يملكون هذه التوجيهات الربانية والنصائح النبوية والمثل العالية الرفيعة كعقيدة راسخة أخذوها بحقها، فعرفوها حق المعرفة من مصادرها الصافية، وعُرفوا بآثارها على أرواحهم وأجسادهم، وأيقنوا أن مثلهم الأعلى يأمرهم بتجسيدها في واقع الحياة قبل أن تحبر على الأوراق[٦٨٣]، وعلموا علم اليقين أن هذا لم يكن «في الإسلام تنظيراً فحسب، وإنما كان منهجاً عملياً طبق تطبيقاً دقيقاً

(٦٨٢) فمن وصايا الإمام علي كرم الله وجهه لجنوده: «... فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تُجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تُمثلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتِكوا ستراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئا من أموالهم، ولا تهيجوا امرأة وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم وصُلحاءكم، فإنهن ضِعاف القوى والأنفس» (الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٢٩٣)، وجاء عنه كرم الله وجهه أيضاً: «... فكف علي يده حتى بدءوه بالقتال فقاتلهم بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد، فقال علي: لا تتمموا جريحاً ولا تقتلوا مدبراً، ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن)(الخلافة الراشدة والدولة الأموية، ص ٥٠٨، نقلاً عن مصنف ابن أبي شيبة ج ١٥/ ص ٢٨٦).

(٦٨٣) وبهذا المعنى يقول الفيلسوف والكاتب الفرنسي غستاف ليبون: «المعتقدات الدينية الأخلاقية أو السياسية لا تكتسب سلطتها إلا بعد أن تكون قد تجسَّدت في مثال أعلى مقبول من الجميع. وحينما يتكيف هذا الأخير مع ضرورات وإمكانيات اللحظة التاريخية فإنه يحدد عظمة أمة ما. وبالعكس من المسار الطبيعي للأشياء فإنه يسبب انحطاطها». (الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها، ص ١٦٣).

حتى شمل من هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا...»[٦٨٤]. وهم قد عرفوا أن «ليس من حقهم أن يبطرهم النصر، فيتعسفوا بالمهزومين ويستذلوهم، وإنما هم مقيدون بأحكام الشرع، التي يجب عليهم أن يتبعوها والأخلاقيات العليا التي يجب أن يلتزموا بها والآداب الرفيعة التي يجب أن يتحلوا بها وأن يقتدوا بأخلاق رسول الله ﷺ في مرحلة ما بعد الحرب...»[٦٨٥]. وأيقنوا أن «... الآراء المُشكّلة تظل كلمات لا طائل تحتها طالما لم يكن الفعل مصادقة عليها»[٦٨٦].

ولقد أيقن الإباضيون كما أيقن إخوتهم المخلصون من أبناء المذاهب الإسلامية بالحكمة القائلة: «إن أمة دون مثال أعلى تزول من التاريخ بسرعة»[٦٨٧]، لقد زال من التاريخ كل من ألقى بتعاليم الإسلام عرض الحائط وبقي من جعل رسول الإسلام ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان المثال الأعلى والأسوة الحسنة.

وببقاء الفكر الإسلامي الطاهر في أذهان جميع المسلمين وجوارحهم فإنك لا بد أن ترى المظالم وقد ردت[٦٨٨]، والمظلوم وقد انتصر، والدعوة الحقة وقد ظهرت، والحجة وقد قامت، والسنن وقد أحييت، والمنن وقد عظمت بفضل من الله تعالى. سنة الله تعالى في عباده.

---

(٦٨٤) أمة الإسلام إلى أين، ص٧٦.

(٦٨٥) أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية الشريفة، ص٥٧ ـ ٥٨.

(٦٨٦) الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها، ص٦١.

(٦٨٧) الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها، ص٥٦.

(٦٨٨) قال الإمام نور الدين السالمي رحمه الله، واصفاً حياة الناس بعد أن قام العدل على أكتاف أحد أئمة الإباضية وجنوده: «... وردت المظالم وانتصر المظلوم وظهرت الدعوة وقامت الحجة وأحييت السنن وعظمت المنن والحمد لله على ذلك كثيراً» (تحفة الأعيان ج٢/ ص٢٢).

والإنسان لا يدرك موقعه إلا حينما يعرض نفسه على ما تأصل من قيم وثوابت جاءت بها الشرائع السماوية، وصدقتها العقول الصافية، وتقبلتها الفطر السليمة.

والقوة الطاغية التي قد يمتلكها فئام من الناس، وفي وقت من عمر الزمن، لا تصنع لهم بأي حال من الأحوال اللامسؤولية عن تصرفاتهم، وستبقى سنن الله تعالى تلاحق كل عامل في هذا الوجود، وسيعرض الجميع أمام ميزان واحد لا يفرق بين أبناء البشر إلا بقدر عقائدهم في الله وما سبق لهم من أعمال صالحة.

والحق «... أن المقاتل المسلم مسؤول مسؤولية فردية عن أفعاله وسلوكياته في ميدان المعركة، فهو إن أفلت من العقاب الدنيوي فلن يفلت من حساب الله في الآخرة»[٦٨٩]. «وإذا كان المقاتل المسلم مسؤول عن أعماله وسلوكياته في المعركة، فإن القائد العسكري مسؤول كذلك عن المخالفات التي تحصل من أفراده ومن ثم عليه إصلاح الوضع وإرجاعه إلى الخط الشرعي»[٦٩٠].

فالسعيد من استعان بقوته، التي وهبها الله تعالى له، في أداء واجباته وأخذ حقوقه، والخاسر من استغنى بما أوتي من قوة فسخرها في بخس الناس حقوقهم، واستعلائه عليهم بكل صنوف الظلم والطغيان.

والإسلام لم يترك الناس هائمين في بيداء الحياة من غير معالم يسترشدون بها في خطواتهم ومواضع أقدامهم، فلا مجال في الإسلام للتيه، ولا يتيه إلا من استبدل بشريعة الله مزاعم البشر وقوانينهم القاصرة. فالذي يرتكب جرائم الحروب، فليست جرائمه «سوى استشهادات لنزعاته الداخلية

(٦٨٩) أخلاقيات وسلوكيات الحرب عند رسول الله ﷺ، ص ١٩٣.

(٦٩٠) أخلاقيات وسلوكيات الحرب عند رسول الله ﷺ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

وعواطفه وانفعالاته، أو استدعاءات للتأكيد على ذائقته وتصوراته ومواقفه حيال الشخصية»[٦٩١]، أو «لنوازعه الفكرية والنفسية الذاتية»[٦٩٢]، أو «بسبب ضخامة الهزيمة النفسية والعاطفية والذهنية المتلاحقة»[٦٩٣] عليه.

فكل الذين سبق أن نقلنا أفعالهم ينطبق عليهم هذا القول، فهم ألقوا بشرع الله جانباً وقادتهم نفوسهم الأمارة بالسوء، التي تتنازعها العواطف الرعناء، إلى القتل المحرم وهتك الأعراض الآمنة وأكل أموال الناس بالباطل.

ولا تنحرف كتابات الكُتَّاب عن الجادة إلا إذا تعاموا عن جرائم الظالمين، وأوسعوا لهم أبواب الأعذار، وتخلوا عن قول الحق الذي يرضاه الله تعالى ورسوله والمؤمنون.

ومن «المبادئ العامة للحرب في الشريعة الإسلامية»[٦٩٤] هي: «أن يكون الجهاد موافقاً للغاية التي شرع من أجلها وهو أن يجاهد المسلم لتكون كلمة الله هي العليا...» و«الاقتصار في الحرب على المقاتلين الفعليين...»، و«التدمير للأموال يتم في حدود ما تتطلبه العمليات الحربية وإرهاق الخصم وإجباره على الاستسلام...»، و«احترام جثة الآدمي وإكرامها بقدر المستطاع»، و«هتك الأعرض يعتبر جريمة في شرع الإسلام...».

وقد جاء الإسلام الحنيف بنصائحه وتوجيهاته، وأمر المحاربين من أتباعه أن ينطلقوا باسم الله ولا يقتلوا شيخاً ولا طفلاً ولا امرأة ولا يغلوا ولا يغدروا، ولكن أولئك البشر[٦٩٥] الذين نقلنا ما نسب إليهم من جرائم في حق الإنسانية

(٦٩١) التيه العربي تأملات في الواقع الصعب، ص ٣٧.
(٦٩٢) التيه العربي تأملات في الواقع الصعب، ص ٣٨.
(٦٩٣) التيه العربي تأملات في الواقع الصعب، ص ٤٠.
(٦٩٤) المسئولية الجنائية للقادة العسكريين في الحروب شرعاً ونظاماً، ص ٦٧ ـ ٧٠.
(٦٩٥) انظر ص ١٨٣ ـ ٢٤٢ من هذا البحث.

قد انطلقوا باسم الطاغوت وعلى ملة فرعون، لهذا فهم خانوا الإسلام وقتلوا الشيوخ والأطفال والنساء ومثلوا بجثث الموتى وسلبوا أموال المسلمين، وفعلوا بالمسلمين ما يفعله الكفار في حروبهم الجائرة.

وأي كاتب حينما يستشهد بأقوال الرسول ﷺ والصحابة الكرام رضي الله عنهم فإنه يدعو إلى تطبيقها في واقع الحياة، ويتخذ منها القول الفصل في الحكم على العاملين في ميدان الحياة. وابن الأثير حينما ذَكَّرَنا بقول الرسول ﷺ: «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا»[٦٩٦]. وحينما ذَكَّرَنا بوصية أبي بكر رضي الله عنه للصحابة الذين أرسلهم إلى بلاد الروم، والتي قال فيها: «لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة...»[٦٩٧]. كان ينبغي له، أي ابن الأثير، أن يحكم على الناس المندفعين في هذه الحياة من خلال قربهم أو بعدهم عن هذه الوصايا.

فما بال ابن الأثير ينقل لنا أخبار سفك الدماء وقتل الأطفال وسبي النساء وينسبها إلى أناس من أصحاب الأنساب المُبجلة ولا يجرؤ على ذكرهم في قائمة الخوارج؟

فكما بَعُد أولئك الذين نُسِبت إليهم تلك الجرائم عن وصايا الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، فقد أبعد ابن الأثير النُجعة عن وزن أفعالهم الشائنة بميزان الإسلام. **فلله الأمر من قبل ومن بعد.**

❋ ❋ ❋

(٦٩٦) الكامل في التاريخ، ج ٢/ ص ٣٠٢.

(٦٩٧) الكامل في التاريخ، ج ٢/ ص ٣٣٥.



أثر الموروثات الفكرية في الحكم على الناس

ومما استقر في نفس كل فرد هو أن أهل العدل والإحسان مبجلون حتى عند أهل الظلم والبخس، وأن أهل الصدق تتواضع لهم كل القلوب. وأقوال علماء الإسلام قاطبة تشحذ همم الناس جميعاً لوضع أهل الفضل من أبناء الإسلام في مواضعهم التي وضعوا أنفسهم فيها عندما التزموا الإخلاص عند أدائهم لأمر الله تعالى.

وكثير هي الأعمال التي لا يقرها الشرع تجرأت على فعلها أيد انضمت إلى صفوف جنود الإسلام سواء كانت في عهد رسول الله ﷺ أو في عهود من جاء بعده من الخلفاء والأئمة والملوك عبر التاريخ، والعبرة كيف تعامل القادة مع تلك المخالفات؟ وما هي القرارات التصحيحية التي نفذوها لأجل تدارك الأمور وإعطاء كل ذي حق حقه؟

قال ابن الأثير عند حديثه عن الظاهر بأمر الله: «ولما ولي الخلافة أظهر من العدل والإحسان ما أعاد به سُنّة العُمَرين، فلو قيل إنّه لم يلِ الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقاً، فإنه أعاد من الأموال المغصوبة في أيام أبيه وقبله وشيئا كثيراً، وأطلق المكوس في البلاد جميعها، وأمر بإعادة الخراج القديم في جميع العراق، وأن يُسقط جميع ما جدّده

أبوه...»[٦٩٨]، وقال ابن الأثير أيضاً: «... وكان نعم الخليفة، جمع الخشوع مع الخضوع لربه، والعدل والإحسان إلى رعيته»[٦٩٩].

ومن الرجال الذين يفخر المسلم بذكر مآثرهم هو غياث الدين، أبو الفتح محمد بن سام الغوري، الذي نقل لنا ابن الأثير شيئاً من عدله وإحسانه، حيث قال: «وأما سيرة غياث الدين وأخلاقه، فإنه كان مُظفَّراً منصوراً في حروبه، لم تنهزم له رايةٌ قطّ، وكان قليل المباشرة للحروب، وإنما كان له دهاء ومكرٌ، وكان جواداً، حسن الاعتقاد، كثير الصدقات والوقوف بخراسان، بنى المساجد والمدارس بخراسان لأصحاب الشافعي، وبنى الخانكاهات في الطرق، وأسقط المكوس، ولم يتعرض إلى أحد من الناس... وكان إذا وصل إلى بلد عمّ إحسانه أهله... وكان فيه فضل غزير، وأدب مع حسن خطّ وبلاغة؛ وكان رَحِمَهُ اللَّهُ، ينسخ المصاحف بخطه ويقفها إلى المدارس التي بناها، ولم يظهر منه تعصّبٌ على مذهب، ويقول: التعصب في المذاهب من الملك قبيحٌ؛ إلا أنّه كان شافعي المذهب، فهو يميل إلى الشافعية من غير أن يطمعهم في غيرهم، ولا أعطاهم ما ليس لهم»[٧٠٠].

ومن الحوادث التي ذكرها ابن الأثير للتدليل على عدل غياث الدين في حكمه هي: «... ودخل الغوريّة البلد، وملكوه عنوةً، ونهبوه ساعة من نهار، فبلغ الخبر إلى غياث الدين فأمر بالنداء: مَن نهب مالاً أو آذى أحداً فدمه حلال؛ فأعاد الناس ما نهبوه عن آخره»[٧٠١].

---

(٦٩٨) الكامل في التاريخ، ج ١٢/ ص ٤٤١.

(٦٩٩) الكامل في التاريخ، ج ١٢/ ص ٤٥٦.

(٧٠٠) الكامل في التاريخ، ج ١٢/ ص ١٨١ ـ ١٨٢.

(٧٠١) وأتبع ابن الأثير قصة حكاها له أحد أصدقاءه ممن شهد هذه الحادثة: «ولقد حدثني بعض أصدقائنا من التجار، وكان بنَيسابور في هذه الحادثة: نُهب من متاعي شيء من جملته سكر، فلما سمع العسكر النداء ردّوا جميع ما أخذوا منّي، وبقي لي بساط =

ومما قاله ابن الأثير عند ذكره لسيرة نور الدين محمود زنكي ما نصه: «... ولنذكر ههنا نبذة مختصرة لعلّ يقف عليها مَن له حكم فيقتدي به؛ فمن ذلك زهده وعبادته وعلمه، فإنه كان لا يأكل ولا يلبس [ولا يتصرف] في الذي يخصه [إلا] من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الأموال المرصدة لمصالح المسلمين، ولقد شكت إليه زوجته من الضائقة، فأعطاها ثلاث دكاكين في حمص كانت له، منها يحصل له في السنة نحو عشرين ديناراً، فلما استقلتها قال: ليس لي إلا هذا، وجميع ما بيدي أنا فيه خازن للمسلمين لا أخونهم فيه، **ولا أخوض نار جهنم لأجلك**»[٧٠٢].

ومن الحوادث التي ذكر فيها ابن الأثير تميز الناس في أفعالهم وحسن سيرتهم في التاريخ، ما نقله من سيرة أتابك زنكي حيث قال: «لما قُتل [يقصد أتابك زنكي] تطاول صاحب ماردين وصاحب الحصن إلى ما كان قد فتحه من بلادهما فأخذاه، فلما ملك سيف الدين وتمكن سار إلى ماردين وحصرها، وفعل ببلدها الأفاعيل العظيمة، فلما رأى صاحبها، وهو حينئذ حسام الدين تِمِرتاش، ما يفعل في بلده قال: كنا نشكو من أتابك الشهيد، وأين أيامه؟ لقد كانت أعياداً. قد حصرنا غير مرة، فلم يأخذ هو ولا أحدٌ من عسكره مخلاة تبن بغير ثمن،

= وشيء من السكر، فرأيتُ السكر مع جماعة، فطلبتُه منهم، فقالوا: أمّا السكر فأكلناه، فنسألك ألا يسمع أحد، وإن أردتَ ثمنه أعطيناك؛ فقلتُ: أنتم في حلّ منه؛ ولم يكن البساط مع أولئك، قال: فمشيتُ إلى باب البلد مع النظارة، فرأيتُ البساط الذي لي قد أُلقي عند باب البلد لم يجسر أحد على أن يأخذه، فأخذته وقلتُ: هذا لي؛ فطلبوا منّي مَن يشهد به، فأحضرتُ مَن شهد لي وأخذته» (الكامل في التاريخ، ج١٢/ ص١٦٥ ـ ١٦٦).

(٧٠٢) الكامل في التاريخ، ج١١/ ص٤٠٣.

ولا تعدى هو وعسكره حاصل السلطان، وأرى هذا ينهب البلاد ويخربها»[٧٠٣].

ووصف ابن الأثير ملك الغور بقوله: «كان عادلاً حسن السيرة، فمن عدله وخوفه عاقبة الظلم أنه حاصر أهل هراة، فلما ملكها أراد عسكره أن ينهبوها، فنزل على درب المدينة، وأحضر الأموال والثياب، فأعطى جميع عسكره منها، وقال: هذا خير لكم من أن تنهبوا أموال المسلمين وتسخطوا الله تعالى، فإن المُلك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم»[٧٠٤].

وممن ذكرهم ابن الأثير بخير هم: المقتفي[٧٠٥] لأمر الله، والمستنجد[٧٠٦] بالله، وأتسز[٧٠٧]، والسلطان بركيارق[٧٠٨]، وألب أرسلان[٧٠٩]،

(٧٠٣) الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ١٢٣.

(٧٠٤) الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ٢٩٤.

(٧٠٥) مما قاله ابن الأثير في المقتفي لأمر الله «... وكان حليماً كريماً عادلًا حسن السيرة من الرجال ذوي الرأي والعقل الكثير...» (الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ٢٥٦).

(٧٠٦) ومما قاله ابن الأثير: «وكان المستنجد بالله من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية، عادلًا فيهم، كثير الرفق بهم، وأطلق كثيراً من المكوس، ولم يترك بالعراق منها شيئاً، وكان شديداً على أهل العيث والفساد والسعاية بالناس...» (الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ٣٦٢).

(٧٠٧) قال ابن الأثير: «وكان أتسز حسن السيرة، كافاً عن أموال رعيّته، منصفاً لهم محبوباً إليهم، مؤثراً للإحسان والخير إليهم؛ وكان الرعية معه بين أمْن غامر وعدل شامل» (الكامل في التاريخ، ج ١١/ ص ٢٠٩).

(٧٠٨) قال ابن الأثير في وصفه للسلطان بركيارق: «وكان حليماً، كريماً، صبوراً، عاقلًا، كثير المداراة، حسن القدرة، لا يبالغ في العقوبة، وكان عفوه أكثر من عقوبته» (الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ٣٨١).

(٧٠٩) ومما قاله ابن الأثير: «هو ألب أرسلان محمد بن داود... كان كريماً، عادلًا، عاقلًا، لا يسمع السعايات... وكان رحيم القلب رفيقا بالفقراء، كثير الدعاء بدوام ما أنعم الله به عليه... وكان يكثر الصدقة... وكان شديد العناية بكف الجند عن أموال الرعية؛ بلغه أن بعض خواص مماليكه سلب من بعض الرستاقيّة إزاراً، فأخذ المملوك وصلبه، فارتدع الناس عن التعرّض إلى مال غيرهم» (الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ٧٤ ـ ٧٥).

وشهاب الدين الغوري[٧١٠]، وعماد الدين زنكي[٧١١]، ونظام الملك[٧١٢].

فالمآثر التي سُجلت للخليفة العباسي، الظاهر بأمر الله، عندما أعاد الأموال المغصوبة في أيام أبيه إلى أهلها، هو عمل مبارك يثاب فاعله.

وما فعله غياث الدين، وأتابك زنكي، وملك الغور حينما نادوا في جنودهم وتوعدوهم أشد العذاب إذا أقدموا على نهب أموال الناس، هو عمل تدعو إليه عقيدة الإسلام، ولكن ـ يا للأسف ـ فقد قَلَّ في التاريخ من أدى هذه الأمانة. ولتبقى دائماً في ذاكرة التاريخ قولة نور الدين زنكي وهو يخاطب زوجه التي أرادت الزيادة في النفقة: «**... لا أخوض نار جهنم لأجلك**».

فهذه الأعمال، التي يدعو إليها الإسلام، والتي ذكرها ابن الأثير ونسبها إلى أولئك الرجال هي عقيدة ينبغي أن ترسخ في قلوب العاملين في هذه الدنيا، وقد سجل مسلمون، من جميع مذاهب الإسلام، وعلى جبين الدهر، وبأحرف من نور مآثرهم الصادقة التي يرتضيها الله ورسوله. فالذين أحسنوا

(٧١٠) قال عنه ابن الأثير: كان «عادلًا في رعيّته، حسن السيرة فيهم، حاكماً بينهم بما يوجبه الشرع المطهّر» (الكامل في التاريخ، ج ١٢/ ص ٢١٦).

(٧١١) قال عنه ابن الأثير: كان «... عادلًا، حسن السيرة في رعيّته، عفيفاً عن أموالهم وأملاكهم، متواضعاً، يحب أهل العلم والدين، ويحترمهم، ويجلس معهم، ويرجع إلى أقوالهم...»(الكامل في التاريخ، ج ١٢/ ص ١٣٢).

(٧١٢) وعند ذكره لأبي علي الحسن بن علي بن إسحاق، نظام الملك، قال ابن الأثير: «... فإنه كان عالماً، ديناً، جواداً، عادلاً، حليماً، كثير الصفح عن المذنبين، طويل الصمت، كان مجلسه عامراً بالقرّاء، والفقهاء، وأئمة المسلمين، وأهل الخير والصلاح، أمر ببناء المدارس في سائر الأمصار والبلاد، وأجرى لها الجرايات العظيمة، وأملى الحديث بالبلاد: ببغداد وخراسان وغيرهما...» (الكامل في التاريخ، ج ١٠/ ص ٢٠٨).

إلى الخلق، وأدوا واجبهم بنية خالصة، واتبعوا أمر الله في المنشط والمكره، والمغنم والمغرم، والمحبوب والمكروه، فمن حقهم أن يرفع شأنهم وأن يجعل لهم ذكر صادق في أجيال المسلمين المتلاحقة.

والإباضية لهم الحظ الوافر في تطبيق أمر الله تعالى حين سعيهم لأجل رد الأمور إلى نصابها، فهم لم تزايل أقدامهم خطى الرسول ﷺ في كل مناشط حياتهم، وقد سجل لهم التاريخ مآثراً كما سجل للذين ذُكرت أسماءهم أعلاه، ولكن حينما تغلب على النفوس الأفكار الخاطئة الموروثة فإنك ترى الموازين خالية من معايير الحق التي لا تحابي أحداً على حساب أحد.

وأما حروب الإباضية للطغاة والظلمة ممن انتسب إلى الإسلام «فإنها لم يكن من ورائها هدف إلا وقف الظلم؛ بكف أيدي الظالمين وإنصاف المظلومين، وإعطاء كل ذي حق حقه، وحسبك شاهداً على التزامهم فيها أرقى ما يتصور من الأخلاق، وأدق ما يدور على البال من معايير العدل وموازين الإنصاف، ما كان في ثورة طالب الحق وقائده أبي حمزة المختار رحمهما الله تعالى على الدولة الأموية، التي عتت واستكبرت استكباراً، وسلبت الأمة حقوقها، وطمست معالم الدين، وأطلقت أيدي المفسدين للبطش بالناس، وسلبهم ما منحهم الإسلام من حرية وأمان، فقد كانت تلك الثورة مثالاً للتمسك بمبادئ الحق والسير على نهجه، لم تخرج قيد شعرة عما جاء في القرآن، والتزمه الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، ودرج عليه الخلفاء الراشدون»[٧١٣].

فمواقف الإباضية المشرفة التي ذكرها التاريخ ما كان لها لتقنع ابن الأثير ومن سار على نهجه من عدم حشرهم ظلماً وزوراً في زمرة الخوارج.

(٧١٣) نداء الحق، ص ٣٢٠.

فقد كان ينبغي لابن الأثير أن يقدر موقف الإمام طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي الإباضي الذي رد الأموال المغصوبة في صنعاء إلى أهلها[٧١٤]، كما قدر موقف الخليفة العباسي، الظاهر بأمر الله، حين رد الأموال المغصوبة إلى أهلها، ولكنه يا للأسف لم يفعل.

وكان ينبغي لابن الأثير أن يقدر موقف أبي الخطاب المعافري الإباضي الذي طهر القيروان[٧١٥] من رجس قبيلة وَرْفجومة، ووقف وقفة صارمة أمام

(٧١٤) جاء في كتاب السير للشماخي: «... وقسم ما وجد من مال على فقراء صنعاء... فأتوا به من الخزانة إلى المسجد، فقسمه عبد الله على فقراء صنعاء ولم يأخذ منه شيئاً، ولم يستحل منه لأصحابه متاعاً» (كتاب السير، ج١/ ص٢١٣).

(٧١٥) ومما قاله ابن الأثير في نقله لإحدى مآثر الإباضية: «ولما قُتل حبيب بن عبد الرحمن عاد عبد الملك بن أبي الجعد إلى القيروان وفعل ما كان يفعله عاصم من الفساد والظلم وقلة الدين وغير ذلك، ففارق القيروانَ أهلُها. فاتفق أن رجلاً من الإباضية دخل القيروان لحاجةٍ له فرأى ناساً من الورفجوميين قد أخذوا امرأةً قهراً والناس ينظرون فأدخلوها الجامع، فترك الإباضي حاجته وقصد أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري فأعلمه ذلك، فخرج أبو الخطاب وهو **يقول: بيتك اللهم بيتك! فاجتمع إليه أصحابُه من كل مكان وقصدوا طرابلس الغرب**، واجتمع عليه الناس من الإباضية والخوارج وغيرهم، وسير إليهم عبدُ الملك، مقدم ورفجومة، جيشا فهزموه وساروا إلى القيروان، فخرجت إليهم ورفجومة واقتتلوا واشتد القتال، فانهزم أهل القيروان الذين مع ورفجومة وخذلوهم، فتبعهم ورفجومة في الهزيمة وكثر القتل فيهم وقُتل عبد الملك الورفجومي، وتبعهم أبو الخطاب يقتلهم حتى أسرف فيهم، وعاد إلى طرابلس واستخلف على القيروان عبدَ الرحمن بن رستم الفارسي». (الكامل في التاريخ، ج٥/ ٣١٦ ـ ٣١٧) **(لا مكان للخوارج في هذا السجل التاريخي النير الذي يفتخر به الإباضية عبر التاريخ، ولكن هذه عادة ابن الأثير وغيره لا ينفكون عن قرن الإباضية بالخوارج في كل موضع من كتبهم، والله المستعان)**. وللإنصاف فإن هناك من المؤرخين من لم يقرن الإباضية بالخوارج عند ذكرهم لهذه الحادثة التي تترجم مبادئ الإباضية في واقع الحياة، انظر ما كتبه شهاب الدين النويري في كتابه (نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٤/ ص٧١ ـ ٧٣).

جنوده حينما سلب أحدُهم أحدَ القتلى[٧١٦]، كما قدر موقف أتابك زنكي وملك الغور حينما ردا الأمور إلى نصابها، ولكن ابن الأثير لم يفعل، بل لم يهدأ باله حتى قرن الإباضية بالخوارج.

لقد آثر ابن الأثير كيل الأحداث بمكيالين، وعمد إلى بخس الناس أشياءهم. فمن كانت هذه وجهته فإن الإنصاف لا محالة قد جانبه.

❋ ❋ ❋

(٧١٦) جاء في كتاب السير للشماخي: «... انهزم أهل القيروان، وولوا مدبرين، فتبعهم حتى دخل القيروان. فخرج أهل المدينة إلى موضع القتلى، فإذا هم بثيابهم، لم يسلب أحد منهم... وخرجوا إلى زروعهم، فإذا هي كما كانت، لم يقع فيها فساد ولا مضرة، لا بالناس ولا بالمواشي. فتعجب الناس من عدل أبي الخطاب، وطاعة أصحابه له. فتفقد رَحِمَهُ اللَّهُ، القتلى فوجد واحداً منهم مسلوباً، فنادى مناديه: من أخذ من القتلى شيئاً، فليرده! فلما أيس، دعا ربه، ـ وكان مستجاب الدعاء ـ أن يفضحه على رؤوس الأشهاد. فركبوا خيلهم ليجرّوها، وانقطع حزام جميل السدراتي، فسقط وظهر السلب تحت سرجه. فأخذه الإمام وأدبه» (كتاب السير، ج ٢/ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣).



الطاعنون في أهل النهروان والإباضية وفلسفة (سيكولوجية الجماهير)

كثير من الناس يظنون أن الفيلسوف الفرنسي غستاف لوبون هو من اكتشف ظاهرة ما أطلق عليها (سيكولوجية الجماهير) عند دراسته لتوجهات الناس الذين دارت حولهم الثورة الفرنسية. ولكن الواقع يظهر أن غستاف لوبون قد استفاد كثيراً من مبادئ علم النفس وقواعده التي جاء بها الإسلام؛ سواء التي أشارت إليها آيات بينات في كتاب الله تعالى، أو جاءت في أحاديث من أقوال الرسول ﷺ، أو ما سجله التاريخ من مواقف لبعض الناس قبل الثورة الفرنسية.

وليس هذا البحث حول معرفة الجذور لكتاب (سيكولوجية الجماهير)، ولكن ينبغي لنا أن نعرف أن الكتاب يبين بالشواهد التاريخية هيمنة الموروثات الفكرية في جرف أصحابها عكس تيارات العلم والمعرفة والبديهي من المؤكدات.

والعارف لأهل النهروان والإباضية حق المعرفة، والعالم لعلوم الأمة الإسلامية التي تقاس بها أقوال العاملين وأفعالهم، والمطلع على ما سجلته أنامل الكُتَّاب من كتابات مخالفة لما يدعو إليه العلم والعقل، يدرك تمام الإدراك أن المتطاولين على الفكر الإباضي قد حازوا بكتاباتهم وأقوالهم الأوصاف التي يتحلى بها كل من خالف فعلُه قولَه،

واصطبغ بها كل من صار إمعة يسير مع أفكار الناس على حساب قناعاته وما يدعو إليه العلم الثابت والمبادئ الراسخة والقيم القائمة على تعاليم شرع الله تعالى.

وكل الذين ساهموا في شـيطنة أهل النهروان والإباضية، ووصفوهم بما لا يليق بهم، لم يكن لهـم حظ في اتباع الثوابت المنهجية التي أشـار إليها الدكتور محمد بن موسى الشـريف بقوله: «فلا بد لمن يريد أن يكون مؤرخاً أن يتعلم كيفية تقويم رأي المؤرخ ووجهة نظـره، وهذا يكون بمحاكمة رأيه هذا إلى الثوابت الشـرعية، وإلى الضوابط التي تحكـم حياة الناس من كل جوانبها، فإن صنع ذلك لم يفته غالباً الحكـم الجيد على المؤرخ وما يورده من آراء»[٧١٧].

ولقد أدرك الكُتَّاب المتطاولون على أهل النهروان والإباضية أن مآربهم لن تتحقق باتباع ما أرساه الإسلام من مبادئ في البحث العلمي، لهذا لجأوا إلى اعتماد ما يبطله المنهج الحق لكي يكون وسيلتهم في الكتابة، ورأوا أن قوتهم تكمن في تكثير سـوادهم بتكـرار أقاويلهم وتأكيدها، بكل وسـائل المؤكدات، لكيلا يرى القراء غيرها من الأقوال. وبهذا الأسـلوب تحقق لهم السـبق إلى عقول الأجيال، وأصبحت أقوالهم التي يبطلها المنهج الحق هي المنتشرة في أوساط الجماهير.

وهؤلاء الكتـاب، على كثرتهـم، حينما تناولـوا الحديث عن صلة الإباضية بأهـل النهروان لم يكـن منهم إلا اجتـرار ما حبطت به كتب التاريخ والفرق من أقوال كان مبدأها ما أنتجته أفواه الكذابين والضعفاء من الرواة والكتاب.

(٧١٧) إعداد المؤرخ الثقة، ص ٣٧.

وهؤلاء الكُتَّاب يمثلون الجماهير[٧١٨] الهادرة التي تنساق خلف من يجيد اختلاب العقول، وسحر النفوس ولو خالف كل المبادئ والضوابط العلمية التي ترتكز عليها المناهج التي بينها كبار علماء الإسلام في كتبهم العلمية.

ولقد عرف الكُتَّاب والخطباء أن «فن التأثير على مخيلة الجماهير تعني فن حكمها»[٧١٩]، لهذا تخيروا من الأحداث ما يلامس أحاسيس الجماهير، وما يثير في خلجات نفوسهم الحقد والبغضاء، وما يبعث من مكامنها حب الانتقام. وبما أن المسلم بفطرته السوية المستقيمة يكره كل أنواع الفساد، فقد جاء الكُتَّاب في حملة دعائية إلى مخيلة جماهيرهم وأثاروهم على أهل النهروان، وحاولوا شيطنتهم في أعين الناس حينما نسبوا إليهم كذباً وزوراً القتل وبقر بطون النساء وتكفير الصحابة[٧٢٠].

---

(٧١٨) عرف مترجم كتاب (سيكولوجية الجماهير) مصطلح «الجماهير» حسب رأي غستاف لوبون بقوله: «الميزة الأساسية للجمهور هي انصهار أفراده في روح واحدة وعاطفة مشتركة تقضي على التمايزات الشخصية وتخفض من مستوى الملكات العقلية. وهو يشبه ذلك بالمركب الكيماوي الناتج عن صهر عدة عناصر مختلفة. فهي تذوب وتفقد خصائصها الأولى نتيجة التفاعل ومن أجل تركيب المركب الجديد» (سيكولوجية الجماهير، ص٣٠).

(٧١٩) سيكولوجية الجماهير، ص٨٩.

(٧٢٠) قال الدكتور علي بن محمد الصلابي ـ ويا ليته لم يقل ـ عند حديثه في مقدمة كتابه (الخوارج نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم): «وأشرت إلى أهم صفات الخوارج في عهد أمير المؤمنين علي، كالغلو في الدين، والجهل به، وشق عصا الطاعة، والتكفير بالذنوب، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم، وسوء الظن، وتكفير المسلمين وطعنهم لبعض الصحابة وتكفيرهم لعثمان وعلي ﷺ» (الخوارج نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم، ص٦)، وكرر نفس العبارات في مقدمة كتابه الآخر (فكر الخوارج والشيعة من ميزان أهل السنة والجماعة، ص٦). لعل اعتذارنا للدكتور الكريم هو أن ثقته الزائدة بما سطره الذين نقل عنهم مادة بحثه هو الدافع له للتقول على أهل النهروان الكرام بهذه الأوصاف الباطلة التي لا تليق بهم. ونناشد الدكتور الصلابي ـ حفظه الله تعالى ـ لمراجعة هذه الأقوال ووزنها بميزان الحق الذي دعى إلى تطبيقه الشرع الشريف.

ولقد أدرك الكُتَّاب الذين تحاملوا على الإباضية الحقيقة النفسية القائلة: «... لا يمكن تحريك الجماهير والتأثير عليها إلا بواسطة العواطف المتطرفة، فإن الخطيب الذي يريد جذبها ينبغي أن يستخدم الشعارات العنيفة. ينبغي عليه أن يبالغ في كلامه ويؤكد بشكل جازم ويكرر دون أن يحاول إثبات أي شيء عن طريق المحاجة العقلانية. وهذه هي الطريقة التي يستخدمها الخطباء في الملتقيات الشعبية»[٧٢١].

وأيضاً أدركوا أن «... محركي الجماهير من الخطباء لا يتوجهون أبداً إلى عقلها وإنما إلى عاطفتها. فقوانين المنطق العقلاني ليس لها أي تأثير عليها...»[٧٢٢].

ولقد عرف الكُتَّاب، الذين تحاملوا على أهل النهروان والإباضية، أن دراسة الروايات التي تقول الحق ليست من صالح أغراضهم، وأنهم إذا طبقوا القواعد المنهجية في دراسة الأخبار لما كثرت جماهيرهم؛ لأن الجماهير قليلاً ما تستنهضها الأدلة العقلية[٧٢٣]، وقليلًا ما يستهويها التحقيق العلمي، لهذا فقد استسهلوا رص الروايات الباطلة وركمها لتظهر وكأنها شيء يؤثر، وأخذوا في تشكيلها لبناء فكر خاطئ عن أهل النهروان والإباضية.

ولقد أجاد الدكتور إبراهيم الريس عند وصفه لأمثال هؤلاء الكتاب، حينما قال: «... وكم شوه بعض المؤرخين من تواريخ الأمم، وكم لُطخت سير الصالحين من بعض المؤرخين بالتشويه والدس والتهجم والتهكم، وكم زُينت سير أشخاص ضالين ومفسدين، وأبرزت سيرهم نماذج للمثل التي

(٧٢١) سيكولوجية الجماهير، ص ٧٥.

(٧٢٢) سيكولوجية الجماهير، ص ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٧٢٣) من أقوال غستاف لوبون: «ليس بالحجج العقلية تستنهض الجماهير» (الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها، ص ٢٨١).

تُحتذى، والقدوات التي تُقتفى... ولهذا فليس كل كلام ورد في كتب التاريخ مما تتلقاه العقول بالقبول، ولكن لا بد أن يعرف الناظر فيها مناهج أصحابها وتوجهات مؤلفيها، وأهداف تصنيفها؛ فإن كثيراً من سير العلماء والدعاة والخلفاء قد شُوهت، ونسب لهم من المواقف ما هم منه براء...»[٧٢٤].

ولقد أتقن الكُتَّاب الذين تحاملوا على أهل النهروان والإباضية العمل والاستفادة من القاعدة النفسية القائلة: «لا داعي للقول بأن مبالغة الجماهير تخص العواطف وليس العقل بأي شكل من الأشكال. فبمجرد أن ينخرط الفرد في الجمهور، فإن مستواه الفكري ينخفض إلى حد بعيد...»[٧٢٥].

وهكذا هو حال الجماهير، فكما كانت في الماضي، فهي دائماً تهيجها وتجيشها كل الدعوات التي يجيد أصحابها استغلال مبادئ الدين وقيم المجتمع؛ فما على المستبدين من الكُتَّاب إلا تلقف الأباطيل ورميها في ساحة من يناوئهم، ثم يجيشون إعلامهم بعد أن ينصبوا أنفسهم حماة لمبادئ الدين وقيم المجتمع؛ تماماً كالذين وضعوا أنفسهم أبواقاً ضد ما زعموه إرهاباً في هذا العصر. وأصبح الناس أسارى لما قاله الكذابون أولاً، وما اجتره الكُتَّاب الذين نقلوا عنهم ثانياً، وصارت الحقيقة التي ينادي بها العلم وينشدها المنهج الإسلامي المستقيم جمرة تحت ركام رماد الأباطيل تنتظر وقت خروجها لحرق ترهات المبطلين.

فالكُتَّاب الذين أجلبوا بخيلهم ورجلهم على أهل النهروان والإباضية استقرت في نفوسهم حالات الخوف من أن تنكشف الحقيقة لكل لبيب، فحاولوا التضليل واستلاب عقول الناس بأفكارهم، وحرضوا الناس على

(٧٢٤) التراجم وأثرها في السلوك الإنساني، ص١٣٣ ـ ١٣٤، نقلًا عن (علم التراجم: أهميته وفائدته، ص٩٢ وما بعدها).

(٧٢٥) سيكولوجية الجماهير، ص٧٦.

الأبرياء بما استحدثوه من إيحاءات زائفة، وإبعاد أذهان الناس عن مناهج النقد التي يحتكم إليها المسلمون، وأكثروا من النقل للأقوال الباطلة، ولم يأتوا بالحق والصادق من الأخبار التي يقبلها منهج الإسلام الخالد العادل.

والأسئلة التي لا تنفك عن طرح نفسها أمام العارفين لمناهج الكتابة التاريخية هي: كيف تغلبت أقوال الكذابين والضعفاء على الحقيقة التي عليها أهل النهروان على مدى القرون الماضية على رغم فساد تلك الأقوال سنداً ومتناً؟

وكيف أمكن لأولئك الكذابين من السيطرة على أقلام رجال لهم الحظ الأوفى في تأصيل مبادئ التلقي عند المسلمين؟

وكيف سكنت واستقرت تلك الترهات والأباطيل المنسوبة إلى أهل النهروان في أدمغة الجم الغفير من الناس من غير مناعة ولا مقاومة؟

أسئلة قد نجد جوابها عند الدكتور عماد الدين خليل، الذي نقل عن محب الدين الخطيب قوله: «أما الذين يحتطبون الأخبار بأهوائهم، ولا يتعرفون إلى رواتها، ويكتفون بأن يشيروا في ذيل الخبر إلى الطبري: رواه في صفحة كذا من جزئه الفلاني، ويظنون أن مهمتهم انتهت بذلك، فهؤلاء من أبعد الناس عن الانتفاع بما حَفِلَتْ به كتب التاريخ الإسلامي من ألوف الأخبار. ولو أنهم تمكنوا من (علم مصطلح الحديث)، وأنِسوا بكتب الجرح والتعديل، واهتموا برواة كل خبر، كاهتمامهم بذلك الخبر، لاستطاعوا أن يعيشوا في جو التاريخ الإسلامي، ولتمكنوا من التمييز بين غث الأخبار وسمينها، ولعرفوا للأخبار أقدارها بوقوفهم على أقدار أصحابها...»[٧٢٦].

(٧٢٦) في التاريخ الإسلامي فصول في المنهج والتحليل، ص١٨٧ ـ ١٨٨، ونقل الكاتب هذه العبارة أيضاً في كتابه (حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ص٨٦)، نقلاً عن (المراجع الأولى في تاريخنا: مجلة الأزهر، مجلد ٢٤: ج٢/ ص٢١٠، صفر ١٣٧٢هـ).

قطعاً، والواقع يشهد بذلك، فإن الذين تستروا بما شَرِقَت به كتب التاريخ من أقوال ضعيفة، لم يكن لهم حظ في «الأخذ بأسلوب نقدي رصين في التعامل مع الروايات التي قدمتها مصادرنا (القديمة) وعدم التسليم المطلق بكل ما يطرحه مؤرخنا القديم، وإحالة الرواية التاريخية، قبل التسليم النهائي بها، على المجرى العام للمرحلة التاريخية لمعرفة: هل يمكن أن تتجانس في سداها ولحمتها مع نسيج تلك المرحلة لحمة وسدى؟. هذا فضلاً عن ضرورة اعتماد مقاييس ومعايير النقدين الخارجي والباطني وصولاً إلى قناعة كافية بصحة الرواية»[٧٢٧].

وكما رزئت هذه الأمة في الماضي بالكذابين والضعفاء والوضاعين للتاريخ، فقد عظمت الرزية في هذا العصر حينما «... جاء المؤرخون المحدثون فوسعوا الشقة وتلقوا روايات موضوعة في العصر العباسي[٧٢٨] دونما نقد أو تمحيص...»[٧٢٩].

فهذه الأقوال التي نقلها وقالها الدكتور عماد الدين خليل هي أبلغ عبارة وخير وصف لكل الذين تزاحموا على الروايات الضعيفة والأقوال الباطلة عندما تحدثوا عن أهل النهروان وعلاقة الإباضية بهم.

فهم «يحتطبون الأخبار بأهوائهم»، وما قاموا به إنما هو «عمل غير علمي ولا دقيق، بل عمل حاطب ليل وسائس خيل لا عمل أساتذة التاريخ

(٧٢٧) حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ص٨٥، ونفس العبارة جاءت في كتاب (في التأصيل الإسلامي للتاريخ، ص٢٠).

(٧٢٨) دائماً لأصحاب السلطات قوة توجه الرأي العام ضد من يناوئهم، وهذا غير مستبعد ويقع كثيراً عبر التاريخ، ولكن لا ينبغي رفض أي رواية أو قبولها لكونها سطرت في عهد الأمويين أو العباسيين أو في أي عصر آخر، فدراسة الأسانيد وما حوته المتون من معان كفيلة ببيان حال أي قول منسوب إلى أقوام من الناس.

(٧٢٩) في التأصيل الإسلامي للتاريخ، ص٧٠.

المحققين». وما سطرته أيديهم حين الحديث عن أهل النهروان الكرام يبرهن بأصدق لسان أنهم «كالخابط في ظلماء الليالي»، كما قال ابن الأثير في مقدمة تاريخه.

والكُتّاب الذين لم ينصفوا، ولم يعطوا الحقوق لأهلها، وقاسوا الأحداث بمقاييس الانتقائية، فقد جاءت نتائج أعمالهم مبرهنة لثقافتهم وخيالهم وأمزجتهم العقلية، وهذا الفعل «من أخطر ما يتعرض له العمل التاريخي»... فـ«الانتقاء الذي يقوم به المؤرخ يجعل البنيان التاريخي كله انتقائياً»[٧٣٠].

سواء الذين كتبوا الأخبار الضعيفة عن أهل النهروان، أو الذين نقلوا أخبارهم في صفحات كتبهم عبر القرون الماضية هم أدوات إشاعة مغرضة، وأبواق لأصوات جوفاء لا أصل لها، وهم عرفوا أن الإشاعة: «تعتمد تزييف الحقائق وتشويه الواقع... وتهدف إلى التأثير على الروح المعنوية والبلبلة والقلق وزرع بذور الشك في صفوف الخصوم والمناوئين عسكرياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً»[٧٣١]، لهذا فقد أكثروا من الإشاعات ونشروها عبر القرون الماضية، وتضاعفت جهودهم في عصر الناس هذا بكل الوسائل المعروفة، لأنهم على دراية بأن «هدف الإشاعة دائماً هو عقل الإنسان وقلبه ونفسه... وتستهدف الإشاعة الفكر والعقيدة والروح»[٧٣٢].

فكل غايات الذين كذبوا على أهل النهروان والإباضية هو زرع بذور الشقاق بين المسلمين، ووضع الفواصل بين الإباضية وغيرهم من

(٧٣٠) القراءة المثمرة (مفاهيم وآليات)، ص١٠١ ـ ١٠٢، بتصرف في بعض العبارات ليتلاءم تركيبها مع السياق.

(٧٣١) محددات الإشاعة في السلم والحرب، ص٢١، نقلًا (عن مبارك عبد الله المفلح، الإشاعة ومخاطرها التربوية من منظور إسلامي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك بالأردن، ١٤١٥هـ، ص١٤).

(٧٣٢) محددات الإشاعة في السلم والحرب، ص٩٧.

المسلمين، وزعزعة ثقة الإباضية بتاريخ أسلافهم الكرام. وهم دائماً وأبداً يعتمدون «على الكذب في نسج تلك الإشاعات والأراجيف التي يبثونها وينشرونها»[٧٣٣].

والكتب التي تطاول أصحابها على أهل النهروان والإباضية إنما بُنيت على النقل، وفقد أصحابها كل مقومات النقد لما نقلوه، فما تجده في كتاب منها تجده في باقي الكتب، وكأن القوم على موعد فيما بينهم ـ وإن فصلت بينهم السنون ـ لأجل تكثيف شائعاتهم وتكثير سواد أباطيلهم، وهم يتحركون ككتل جماهيرية غير واعية[٧٣٤] لما يتطلبه منهج البحث العلمي الرصين من مبادئ وأسس. وهذا الذي درج عليه الكتاب، سواء كان عملهم مدحاً أو ذماً، لا يعد شيئاً في ميزان الإسلام.

و«من الأسباب التي تدعو إلى انطماس الحقائق وذيوع الأكاذيب أن الناس يتقربون لأصحاب السلطان والمراتب بالثناء والمدح، فتستفيض الأخبار بثنائهم ومدائحهم، وهي بعيدة عن الحقيقة، ثم يأتي الرواة، فيتلقفون ذلك، ويذيعونه من غير بصيرة، ولا بحث، ويأتي مَنْ بعدهم ليأخذوا صورة عن أوضاع أصحاب النفوذ والسلطان من خلال ما تناقله المؤرخون الذين يحطبون كل ما يجدونه!!»[٧٣٥].

وهذه الأطوار التي تنتقل فيها أقوال المادحين، هي نفسها التي تحتضن أقوال الشامتين؛ فهي تبدأ من دواوين المستبدين لتصبح على ألسنة الرواة،

---

(٧٣٣) محددات الإشاعة في السلم والحرب، ص١٦٠.

(٧٣٤) جاء في تقديم المترجم لكتاب سيكولوجية الجماهير: «الفرد يتحرك بشكل واع ومقصود أما الجمهور فيتحرك بشكل لا واعٍ. ذلك أن الوعي فردي تحديداً، أما اللاوعي فهو جماعي» (سيكولوجية الجماهير، ص٣٢).

(٧٣٥) فصول في التفكير الموضوعي، ص١٦١.

ولتمسي فيما بعد صورة يتناقلها «المؤرخون الذين يحطبون كل ما يجدونه!!»

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن «النقد لما يورده المؤرخ أمر في غاية الأهمية؛ لأنه بالنقد يطمئن قارئ التاريخ لصحة المادة التي يقرأها وترتاح نفسه لمتابعة الاطلاع، وعكس هذا صحيح؛ إذ القارئ للكتاب الخالي من النقد والذي تكثر فيه الروايات الضعيفة أو الأساطير الموضوعة سيعزف عنه وتمله نفسه»[٧٣٦]. وأنى تكون الطمأنينة لأقوال الكذابين والضعفاء وهي بعيدة كل البعد عن الصحة والسلامة؟! فأي رشد وأي نجاح يرجوه الكُتَّاب من إعادة تدوير الأكاذيب في أوساط المسلمين؟

ونحن نرى نفور قلوب القراء العارفين من أي كاتب حينما تنعدم عنده موازين النقد على رغم معرفته بها، وعندما تغيب عنه مقاييس تقبل الأخبار وإن كانت حاضرة أمام عينيه، وحينما يصبح جرماً تجذبه جاذبية الجماهير النفسية، فيدور في فلكها من غير حول له ولا قوة.

وقد ذكر الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكّار أسباب التخلف في كتابة تاريخنا الإسلامي بقوله: «**ولست أبعد في النجعة، ولا أخطئ الرمية إذا ما قلت: إن فقدنا للموضوعية**[٧٣٧] **في التعامل مع الأفكار والمواقف**

(٧٣٦) كيفية قراءة التاريخ وفهمه، ص٩٢ ـ ٩٣.

(٧٣٧) لقد عرف الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكّار التفكير الموضوعي بقوله: «وبإمكاننا أن نعرف التفكير الموضوعي بأنه: (مجموعة الأساليب والخطوات والأدوات التي تمكننا من الوقوف على الحقيقة، والتعامل معها على ما هي عليه بعيداً عن الذاتية والمؤثرات الخارجية). ولا يغيب عن البال أن الذين يدعون التحلي بالتفكير الموضوعي كثيرون؛ بل قلما نجد من يعترف أنه غير موضوعي؛ وهذا على مستوى الأفراد والجماعات والدول والشعوب. ولا ريب أن الموضوعية ليست امتلاك منهج يجهد الإنسان نفسه للحصول عليه، ثم يسترخي مطمئناً لما أنجزه!! إن الموضوعية علم وإخلاص، قدرة وإرادة، فهم وتقوى» (فصول في التفكير الموضوعي، ص٤٥).

والأشـــخاص والأشـــياء كان من أكبر العوامـــل التي أدت بنا إلـــى التخلف والتفكك والتنازع في تاريخنا المديد»[٧٣٨].

ولقد أيقـــن الكُتَّاب الذين فقـــدوا الموضوعية أنهم لـــن ينالوا من أهل النهروان والإباضية إذا طبقوا مناهج المســـلمين في دراسة الآراء والأفكار والعقائد، فلهذا ألجأتهم نفوسهم إلى «أســـلوب التأكيد، وأسلوب التكرار، وأسلوب العدوى»[٧٣٩] في نشر كل مكذوب وضعيف من الأخبار والروايات في أوســـاط الناس[٧٤٠] الذين قَلَّتْ، أو انعدمت، لديهم أسس تلقي الأخبار من مظانها.

ولقد أدرك الكُتَّاب المتحاملون علـــى الإباضية أن «التأكيد والتكرار هما عنصران قويان جداً في خلق ونشـــر الآراء. وتقوم التربية جزئياً عليهما»[٧٤١]، وأدركوا أيضاً أن «التأكيد لا يحتاج للاتكاء على أي برهان عقلي، ينبغي فقط أن يكون قصيراً، حماسياً ومؤثراً»[٧٤٢].

فعدم وجود التحقيق العلمي المبني على البراهين العقلية والأدلة الثابتة من مظانها الصادقـــة، جعل مهمة الكُتَّـــاب المتحاملين على أهـــل النهروان والإباضية ســـهلة لأن كل ما قاموا به هو تكرار المكـــرر؛ فأتى ثانيهم وكرر

(٧٣٨) فصول في التفكير الموضوعي، ص ٤٥.

(٧٣٩) سيكولوجية الجماهير، ص ١٣٢.

(٧٤٠) قال الدكتور محمد موسى الشريف، حينما تكلم عن نتائج الإخلال بضوابط (النقد الجيد) الذي يقدم عليه الكتاب: «فإذا انضاف إلى ذلك قلة الحصيلة الشرعية للقارئ أو انعدامها في كثير من الأحيان فحدث ولا حرج حينئذ عن الضلال البعيد الذي تحدثه الترجمة...» (التراجم وأثرها في السلوك الإنساني، ص ٦٧).

(٧٤١) الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها، ص ٢٣١.

(٧٤٢) الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها، ص ٢٣١.

ما تفوه به أولهم، وهكذا انتقلت الأفكار إلى ثالثهم ورابعهم، ثم أصبحت بعد ذلك راسخة رسوخ الجبال الراسية في أدمغة الجماهير ما دام الذين كرروها لهم منازلهم في أوساط الجماهير.

والذين تحاملوا على أهل النهروان والإباضية عرفوا أن «التأكيد المجرد والعاري من كل محاجة عقلانية أو برهانية يشكل الوسيلة الموثوقة لإدخال فكرة ما في روح الجماهير. وكلما كان التأكيد قاطعاً وخالياً من كل برهان كلما فرض نفسه بهيبة أكبر»[٧٤٣]، لهذا فهم قد أكثروا من تكرار الأخبار الزائفة التي فقدت الموضوعية، ولم يعملوا على إظهار الصدق من بين ركام الروايات التي اختلط فيها الخير والشر.

فكل الأفكار الخاطئة التي نسبت إلى أهل النهروان والإباضية زوراً وكذباً ترفضها براهين الحق، ولكنها انتشرت في أوساط الناس حينما اعتمد الكُتَّاب مقومات انتشار الشائعات الزائفة في تأكيد باطلها، وتكرار أحداثها المكذوبة، ونشر عدواها في أوساط الأجيال المتلاحقة.

والذين أرادوا لأفكارهم الهزيلة ـ التي لا يسندها علم ولا عقل ـ أن تنتشر، وتسود، وتتحكم في عقول الناس أيقنوا أن «التأكيد إذا ما كُرر بما يكفي سيؤدي في النهاية إلى خلق الرأي بدايةً وفيما بعد الاعتقاد. والتكرار هو المكمل الضروري للتأكيد. فأن تكرر كلمة أو فكرة أو عبارة يعني غالباً أن تحولها حتماً إلى معتقد... إن التكرار يبلغ من القوة بحيث إنَّ المرء ذاته ينتهي إلى الإيمان بالكلمات المكررة وإلى القبول بالآراء التي يعبر عنها بشكل اعتيادي»[٧٤٤].

(٧٤٣) سيكولوجية الجماهير، ص١٣٢.

(٧٤٤) الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها، ص٢٣٢.

فخذ، على سبيل المثال، «شخصية عبد الله بن سبأ» التي جاء بفكرتها أناس ضعفاء ووضاعون للأخبار، ثم كان سبيل تلك الأخبار إلى كتب التاريخ التي انتشرت في أوساط الناس، وبتكرار ذكر تلك الأخبار في المجادلات والمناظرات بين الناس صار لتلك الروايات مكاناً في أذهان الأجيال، حتى جاء دورها لتتبوأ مكانها في عقول حملة الشهادات العليا في الأوساط العلمية. وبعد أن كانت (شخصية ابن سبأ) وهمية انتهى بها التطواف لتصبح حقيقة تستميت في نصرتها جماهير من الناس ممن صخت أسماعهم من تكرارها والتأكيد عليها عبر القرون الماضية.

وبإعادة تدوير الكُتَّاب لخرافة[٧٤٥] «ابن سبأ» في أوساط المجتمعات المسلمة وتأكيدهم عليها عبر القرون الماضية صارت تلك الخرافة، التي لا أساس لها في واقع التاريخ، وكأنها حقيقة لا تقبل الشك في وجودها، ولا تخالط أحداثها ريبة. لقد أدخلوها في أوساط المسلمين بتكرارهم «المجرد والعاري من كل محاجة عقلانية أو برهانية»، ولهذا صارت تلك الخرافة تخالط أفكار الجماهير وأصبحت لها هيبة على عقولهم حتى ولو جاء البرهان بأدلته الدامغة على فسادها وبطلان وجودها من على وجه الأرض. وهكذا انتشرت شخصية «ابن سبأ» الخيالية، التي أفرزتها أفكار الكذابين، تماماً كما تنتشر أحياناً «الآراء والعقائد بواسطة آلية العدوى وليس بواسطة المحاجة العقلانية إلا في القليل النادر»[٧٤٦].

(٧٤٥) انظر كتابنا (**الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**)، الفصل الثالث.

(٧٤٦) سيكولوجية الجماهير، ص١٣٥. ومن الأمثلة التي ساقها عالم النفس الفرنسي لتوضيح مدى تأثير تكرار الإشاعة في أوساط الناس هي قوله: «ومن كثرة ما يكررون في نفس الصحيفة أن (أ) هو وغد حقير وأن (ب) هو رجل نبيل وشريف فإن الأمر ينتهي بنا إلى تصديق ذلك ما دمنا لم نقرأ صحيفة أخرى ذات رأي مضاد تماماً للأول» (سيكولوجية الجماهير، ص١٣٣).

وظاهـــرة الكُتَّاب الذيـــن تقولوا على أهـــل النهـــروان والإباضية ظاهرة مدهشة، فهم حينما يتحركون كأفراد تظهر على ألسنتهم الدعوة إلى قول الحق والعمل به، ولكنهم حينما ينضوون في جمهرة من الناس تتشكل لديهم نفسية جماهيرية واحـــدة ويتحولون إلى أبـــواق تُكَبِّرُ صدى ما رددتـــه أفواه الذين سبقوهم من الكذابين والوضاعين والضعفاء.

فالكتلـــة الجماهيرية التـــي انضوى فيهـــا كل الذين تحاملـــوا على أهل النهـــروان والإباضية، هي بمنزلـــة القبيلة، «غزية»، التي لجـــأ إليها دريد بن الصمة وإن كان يرى رأياً مخالفاً لسواد جمهورها.

فدريد بن الصمة، كفرد، قال لقومه:

أَمَرْتُهُـــمُ أَمْـــرِي بِمُنْعَـــرَجِ اللِّـــوَى فلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إلا ضُحَى الغَدِ

ودريد بن الصمة، كجرم في فلك قبيلته، قال عن نفسه:

فلمَّا عَصَوْنـــي كنْتُ منهُمْ وقد أرَى غِوَايَتَهُـــمْ وأنَّنـــي غيـــرُ مُهتَـــدِ
ومَا أنَـــا إلا مـــن غَزِيَّـــةَ إنْ غوَتْ غوَيْـــتُ وإنْ تَرشُـــدْ غزَيَّةُ أَرْشُـــدِ

وهكذا هو حـــال الكُتَّاب الذيـــن توارثـــوا الطعن في أهـــل النهروان والإباضية، فهم كأفـــراد ينادون بالمنهجيـــة العلمية التـــي لا تظلم أحداً. ولكنهم حينما ينقلبون في فلك جماهير الكُتَّاب ينزعون عن أنفسهم لباس المنهج، ويصطبغون بما أفرزته أقلام الضعفـــاء والكذابين والوضاعين من أقوال باطلة.

وهذه الكتلة الجماهيريـــة التي حلت محل قبيلة ابـــن الصمة، تفانى في نصرتها كُتَّاب الفرق والتاريخ وإن كان الضحية هو العلم والأخلاق والآداب والأبرياء من الناس ووحدة الأمة الإسلامية.

وعالم النفس الفرنسي، الكاتب غستاف لوبون، قد استفاد من قراءاته في الفكر الإسلامي قبل أن يحذر العالم من الآثار السيئة التي تنتج عن تكرار آراء الجماهير التي تخالف قناعات الفرد المبنية على العلم وتأكيدها. حيث قال غستاف: «والظاهرة التي تدهشنا أكثر في الجمهور النفسي هي التالية: أياً تكن نوعية الأفراد الذين يشكلونه، وأياً يكن نمط حياتهم متشابهاً أو مختلفاً وكذلك اهتماماتهم ومزاجهم أو ذكاؤهم، فإن مجرد تحولهم إلى جمهور يزودهم بنوع من الروح الجماعية. وهذه الروح تجعلهم يحسون ويفكرون ويتحركون بطريقة مختلفة تماماً عن الطريقة التي كان سيحس بها ويفكر ويتحرك كل فرد منهم لو كان معزولاً. وبعض الأفكار والعواطف لا تنبثق أو لا تتحول إلى فعل إلا لدى الأفراد المنطوين في صفوف الجمهور. إن الجمهور النفسي هو عبارة عن كائن مؤقت مؤلف من عناصر متنافرة ولكنهم متراصو الصفوف للحظة من الزمن»[٧٤٧].

وقال أيضاً: «وهناك سبب ثالث أكثر أهمية وحسماً بكثير لأنه يوجد في الأفراد المنخرطين في الجمهور صفات خصوصية تكون أحياناً معاكسة لصفات الفرد مأخوذاً على حدة... فنحن نعلم اليوم أنه يمكن وضع الفرد في حالة معينة يفقد فيها شخصيته الواعية، وبالتالي فهو يخضع لكل اقتراحات الجراح الذي جعله يفقدها. وعندئذٍ يقترف أكبر الأعمال مخالفة لطبعه الحقيقي وعاداته»[٧٤٨].

وقال أيضاً: «إذن إليكم الآن مجموع الخصائص الأساسية للفرد المنخرط في الجمهور: تلاشي الشخصية الواعية، هيمنة الشخصية اللاواعية، توجه الجميع ضمن نفس الخط بواسطة التحريض والعدوى للعواطف والأفكار،

(٧٤٧) سيكولوجية الجماهير، ص٥٦.

(٧٤٨) سيكولوجية الجماهير، ص٥٨ ـ ٥٩.

الميل لتحويل الأفكار المحرَّض عليها إلى فعل وممارسة مباشرة. وهكذا لا يعود الفرد هو نفسه، وإنما يصبح عبارة عن إنسان آلي ما عادت إرادته بقادرة على أن تقوده. هذا يعني أنه بمجرد أن ينضوي الفرد داخل صفوف الجمهور فإنه ينزل درجات عديدة في سلم الحضارة. فهو عندما يكون فرداً معزولاً ربما يكون إنساناً مثقفاً متعقلاً... إن الفرد المنخرط في الجمهور هو عبارة عن حبة رمل وسط الحبات الرملية الأخرى التي تذروها الرياح على هواها. على هذا النحو يمكننا أن نفهم كيف أن هيئات التحكيم الجماعية تصدر أحكاماً كان يمكن أن يدينها كل عضو مأخوذاً على حدة»[٧٤٩].

وقال أيضاً: «إن الجماهير تشبه الأوراق التي يلعب بها الإعصار ويبعثرها في كل اتجاه قبل أن تتساقط على الأرض. إن دراسة بعض الجماهير الثورية تقدم لنا بعض الأمثلة عن تغير عواطفها وتنوعها وتقلبها»[٧٥٠].

ومن أقوال غستاف لوبون أيضاً: «إن العديد من خصائص الجماهير الخصوصية من مثل سرعة الانفعال والنزق والعجز عن المحاكمة العقلية وانعدام الرأي الشخصي والروح النقدية والمبالغة في العواطف والمشاعر، وغيرها»[٧٥١].

وقال في موضع آخر من كتابه: «وكنا قد برهنا في هذا الكتاب على أن نفسية الناس المنخرطين في الجمهور تختلف أساساً عن نفسيتهم الفردية، وإن الذكاء الفردي لا يلعب أي دور في هذا المجال. فدوره يتعطل عندما يصبح الإنسان منخرطاً في الجماعة. وحدها العواطف اللاواعية تلعب دوراً آنذاك»[٧٥٢].

---

(٧٤٩) سيكولوجية الجماهير، ص٦٠.

(٧٥٠) سيكولوجية الجماهير، ص٦٤ ـ ٦٥.

(٧٥١) سيكولوجية الجماهير، ص٦٣.

(٧٥٢) سيكولوجية الجماهير، ص١٥٨، ومن أقوال غستاف أيضاً «فالإنسان الذي يشكل جزءاً من =

وتساءل غستاف أيضاً في كتاب آخر من كتبه: «كيف جرى أن قبل العلماء الأكثر تنوراً في جميع العصـــور دون صعوبة بعض المعتقدات التي لا يمكن لأي عقل أن يبررها؟»[٧٥٣].

وقد أجاب هو بنفســه على هذا السؤال بقوله: «ببساطة لأن الأفراد وسط حشــد ما لا يتصرفون كما يتصرفون لو كانوا منفردين»[٧٥٤]. وأجاب الأستاذ الدكتور عبد الكريم بــكّار عن هذا الســؤال بقوله: «... هــذا التنوع يجعل الصفوة المالكين للقدرة على التفكير الســليم واقعين تحت تأثير الجماهير بصورة من الصور مهما حاولوا الفكاك من ذلك!»[٧٥٥].

ونحن نقول بأن خرافة «ابن ســبأ اليهودي» التــي أزعجت التاريخ، هي البعبع والعنقاء المُغْرِبُ، ما كان لها أن تبقى في ذاكرة التاريخ لو أن كل كاتب من الذين روجوا لها عمل بمفرده في دراستها، مستقوياً في ذلك بعلوم الأمة

= حشد، يختلف كثيراً عن هذا الإنســان ذاته عندما يكون بمفرده. إذ تتلاشى فرديته الواعية في الشخصية اللاواعية للجمهور» (الثورة الفرنسية وسيكولوجيا الثورات، ص ١٢٣). وقال أيضاً: «هذه الطباع المختلفة تبين أن الإنســان وســط الجماهير ينحدر كثيراً على السلم الحضاري» (الثورة الفرنسية وسيكولوجيا الثورات، ص ١٢٤).

(٧٥٣) الثورة الفرنسية وسيكولوجيا الثورات، ص ٢٥.

(٧٥٤) الثورة الفرنسية وسيكولوجيا الثورات، ص ١٤١.

(٧٥٥) فصول في التفكير الموضوعي، ص ٢٥٧، ومما قاله الأســتاذ الدكتــور عبد الكريم بكّار أيضاً: «ونحو من هــذا المجال الاجتماعي فــإن الظواهر الاجتماعية تتكون على ســبيل التدرج، وإذا ما استقرت كانت قاهرة لا يسع الأسوياء إلَّا التكيف معها بصورة من صور التكيف. والظواهر الاجتماعية تعتمد على الكم لا علــى الكيف، ومن ثم جاء الحديث: (من كثر سواد قوم...) لأن الناس حين يتأثرون بظاهرة ما لا يملكون في العادة النفاذ إلى معرفة أســبابها، والجهات التي تروج لها، وإنمــا يندفعون إلى تقليدهــا، والتظاهر بها؛ لمجرد أن السواد الأعظم من مواطنيهم يستحسنها، بل إنهم مضطرون للرضوخ لها، ولو لم يقتنعوا بها!» (فصول في التفكير الموضوعي، ص ٢٤٣).

الإسلامية العادلة في تحقيق الأخبار والروايات، ولكن آثر جميعهم البقاء في كتل جماهيرية استحال على أفرادها الانفلات من قوة جاذبيتها، فما وجد العقل في أوساطهم أرضاً تقله، ولم يجد البرهان في محيطهم سماء تظله. فلا غرو أن تجد الخرافات سبيلها في كتب الجماهير المتلاحقة حينما تأمن على نفسها من صولات البراهين العلمية والمحاجة العقلية القائمة على تعاليم الإسلام الحنيف.

لهذا وجب علينا ونحن ننظر في كتب هؤلاء الكُتَّاب أن نضع كتاباتهم في كفة موازين الحق التي لا تتأثر بأعاصير الهوى ورياح النزق، وأن نبعد إملاءات الجماهير عن كل ما صدقه العلم وأرشدت إليه المناهج الإسلامية.

فالفرد في الإسلام ـ خاصة إن كان من الذين أعطاهم الله المقدرة ـ مسؤول أمام الله تعالى بمفرده عن قناعاته فلا بد أن يبنيها بالثابت القوي من الأدلة، ومسؤول كذلك عن أعماله فلا بد أن يؤديها بعلم وبصيره. وعلى كل فرد منا التزحزح، بكل ما أوتي من قوة، عن مصائد التقاليد الباطلة ذات الطابع الجماهيري. وقد أرشد الله تعالى الناس إلى «البحث والنظر حين يطلب منهم القيام لله مثنى وفرادى بعيدين عن التأثر بصخب الجماهير، وانفعالاتهم حتى يسلم النظر من المؤثرات الخارجية»[٧٥٦].

بحق إنها ظاهرة مدهشة حينما نجد أناساً يتخيرون من طرائق الكتابة ما يخدم مآربهم وينشر ادعاءاتهم؛ فالرغائب النفسية المتقلبة هي التي تملي عليهم الأساليب التي بها يعرضون كتاباتهم، وهي التي تملي عليهم ما يستدلون به من مأثور الأقوال عند طرحهم لأفكارهم. فالدليل عندهم تابع لأفكارهم وهذه هي القضية الكبرى عند المتهوكين في التاريخ الإسلامي.

(٧٥٦) فصول في التفكير الموضوعي، ص ١٨.

وأولئك الكُتَّاب الذين يتحركون حسب أهواءهم قد ابتليت بوجودهم الأمة الإسلامية، فهم في تذبذب؛ فتجدهم يستغلون قوة المناهج العلمية في تحقيق مآربهم، ولكن عند كتاباتهم عن أهل النهروان والإباضية فإنهم لا يلتفتون إلى موازين الحق، بل يحتجون بأقوال الكذابين وترهات الوضاعين، ويطبقون الآفات المذمومة التي يتبناها الماكرون في كتابة التاريخ من المستشرقين.

فها هو الدكتور أحمد عوض أبو الشباب صاحب كتاب (الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم) يتقمص سيكولوجية الجماهير ـ التي تفضح كل من خالف عملُه علمَه ومعرفَته ـ ويتبنى «المنهج المعكوس أو المقلوب»[٧٥٧] عند كتابة كتابه هذا.

فالدكتور أحمد عوض لديه من العلم ما يؤهله ليقول الآتي، حينما تكون له منفعة في ذلك: «وقاصمة الظهر ما فعله أكثر المؤرخين من دأبهم على اختلاف الروايات المكذوبة حول هذه القضية، وسار على نهجهم كثير من المستشرقين وحطاب الليل من كُتَّاب المسلمين، بلا تدقيق أو تمحيص»[٧٥٨]. وبقوله أيضاً: «وعلى العموم فإن الروايات المكذوبة التي تتصل بخبر التحكيم قد جاءت عن طريق أبي مخنف، ونصر بن مزاحم، وفيها زيادات منكرة وجريئة، وفيها سب واتهام بالعنف والغدر والخيانة، وتحامل على الحكمين»[٧٥٩].

(٧٥٧) عرف الدكتور عبد العظيم الديب (المنهجَ المعكوس= المقلوب) بـ«الذي توضع فيه النتائج مقدماً، ثم يكون البحث عن الأدلة التي تؤدها» (المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، ص ١٠٣).

(٧٥٨) الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص ٩٨.

(٧٥٩) الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم، ص ١٠٢.

فها هو الدكتور يعيب على غيره من الكُتَّاب ما هو فيه غارق إلى شحمة أذنه، فكل أقوالـه عن أهل النهروان والإباضية مبنيـة على روايات الكذابين والضعفاء، وسار الدكتور مع حطاب الليل، ولم يكن له تدقيق ولا تمحيص عندما نقل في كتابه تلك الروايات الضعيفة والمكذوبة، ولم يخف الفضيحة حينما أقبل على روايات أبي مخنف وغيره من الضعفاء والكذابين واتخذها حجة له على أهل النهروان والإباضية.

وما تفوه به من أحكام ضد الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وأهل النهروان الكرام ما هو إلا سـير خلف خطى المستشرقين الذين همهم الطعن في رجال الإسـلام وأمجاده. فقد أخذ هـذا الدكتور، فـي الكتابة عن أهل النهروان والإباضية، بمنهج المستشرقين الذين عُرف عنهم البحث عن الأدلة لتقوية ما رسخ في أدمغتهم من أقوال ونتائج.

فبعد أن أتى الدكتور، في السطور الأولى من مقدمة كتابه، بوصفه لأهل النهروان ومن سـار على نهجهم المسـتقيم أن نشـأتهم كانـت «في رحم اليهوديـة»[٧٦٠]، أخذ يبحث بيـن ركام الأباطيل، ويسـطر كل متهافت من الأقوال في طول كتابه المشئوم وعرضه متبعاً في ذلك مسالك المستشرقين الذين جُل همهم الطعن في الإسلام والمسلمين. وما اتبعه الدكتور أحمد في كتاباتـه ليس له بالإسـلام أي صلـة بل هو نسـخ بكل أبعاده لمسـالك المستشـرقين الذين قال عنهم الدكتور عبد العظيم محمود الديب في كتابه (المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي): «شرط المنهج الأول، وأساسه، التجرد من الأهواء، وعدم الوقوع تحت سلطانها، فلا يميل الهوى بالباحث لإثبات ما يوافق هواه، ونفـي ما عداه فما بالنا بمن يحدد الغرض أولاً، والنتيجة مسبقاً، ثم يبدأ في البحث عما يؤيدها، والتنقيب عما يثبتها،

(٧٦٠) الخوارج تاريخهم، فرقهم، عقائدهم، ص ٤.

فهذا ليس علماً، وليس بحثاً، مهما كانت صورته، ومهما كان شكله، وهذا هو ما يعمله المستشرقون»[٧٦١].

والذي عمله الدكتور أحمد عوض هو نفسه الذي يعمله المستشرقون، فقد حدد الدكتور أحمد عوض في مقدمة كتابه غرضه، وبعد ذلك بدأ في التنقيب فلم يجد إلا الأباطيل والمتساقط من الأقاويل لتكون أدلته المزعومة. فهذا هو الدكتور أحمد عوض ساقته الأهواء ليجد نفسه في صفوف المفترين والمتهوكين على المسلمين، فهنيئاً له هذه المنزلة!!!.

والدكتور أحمد عوض وغيره ممن وصف أهل النهروان بالخوارج كل غاياتهم هي البحث عن شيء من الأقوال ولو من أفواه الكذابين لأجل تبرير وصفهم هذا، وهذا هو مسلك المستشرقين الذي أكد عليه الدكتور عبد العظيم الديب بقوله: «وما ذكرناه في هذا البحث آنفاً عن أهداف المستشرقين وغاياتهم، يشير إلى هذه الآفة، فالمستشرق يبدأ بحثه وأمامه غاية حددها، ونتيجة وصل إليها مقدماً، ثم يحاول أن يثبتها بعد ذلك، ومن هنا يكون دأبه، واستقصاؤه الذي يأخذ بأبصار بعضهم، وهو في الواقع يدأب، ويشقى ويكد لينحِّي ما يهدم فكرته ويكذب رأيه، ويخفي ويطمس ويتجاهل كل ما يسوقه إلى نتيجة غير التي حددها سلفاً، ومن هنا تأتي أبحاثهم عليها مسحة العناء والاستقصاء، ولكنه عناء الالتواء، واستقصاء من يجمع من لا شيء شيئاً، ويصنع من الهباء بناء ويبني من الغبار صرحاً»[٧٦٢].

وهذا الحال الذي عليه المستشرقون هو نفس حال الكُتَّاب الذين نعتوا الإباضية وأسلافهم أهل النهروان الكرام بمساوئ الأخلاق. فأولئك الكُتَّاب

(٧٦١) المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، ص٧٠.
(٧٦٢) المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، ص٧٠ ـ ٧١.

قد دأبوا وشَــقَوا وكدوا وكذبوا وأخفوا وطمسوا وتجاهلوا ولووا وشيدوا من الهباء والغبار أوهاماً لا تلبث إلا أن تنقشــع وتتلاشى أمام الحجج والبراهين الساطعة التي قامت على علوم الأمة الإسلامية.

ونقول للدكتور أحمد عوض: إنك واحد من أولئك الكثيرين الذين سار «على نهجهم كثير من المستشرقين» وســاروا على نهج المستشرقين، وأنك يا دكتور أحمد عوض مــن «حطاب الليل»، وأنك يا أبا الشــباب قد افتريت على الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري وأهــل النهروان لأنك اعتمدت على روايات باطلة «بلا تدقيق أو تمحيص»، فهل يتحمل كيانك يا دكتور «قاصمة الظهر» هذه؟.

❋ ❋ ❋

الخاتمة

ففي الخاتمة نضع النقاط الآتية لتختصر لنا المحاور التي بُني عليها هذا البحث:

• فالطَرْق في طُرُقات التاريخ هو سير بين الألغام والأشواك، والكاتب لا بد له أن يحدد أهداف مهمته قبل أن يخط بنانه حرفاً واحداً. نعم هي رحلة تحفها المخاطر؛ لأنها قد تجني على أصحابها إثماً عظيماً إذا ظلموا الأبرياء وناصروا الظالمين. وقد تكون مهمة تجر لهم أجراً مضاعفاً إذا أخلصوا في أعمالهم وكان عدتهم الصدق وكانت وجهتهم نصرة الدين وإنصاف المظلوم.

• ولقد أكد هذا البحث على أن علماء الإباضية على اطلاع بما كتب عنهم في كتب التاريخ المتداولة، فهم يأخذون من الأقوال ما أيده الدليل ويردون ما أبطلته مناهج التلقي عند المسلمين، وكتاب (الكامل في التاريخ) مثال واحد من بين الكتب الأخرى التي تناولها الإباضية بالدراسة، وهم ـ أقصد الإباضية ـ في تعاملهم مع كتب المسلمين كافة لم يستنكفوا عن تقبل الأقوال الصحيحة التي اعتمدت على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الصحيحة والثابت من الأخبار التي توافق ما هم عليه من مبادئ.

وما رأوه مخالفاً لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومخالفاً لما هم عليه من مبادئ وقيم فقد أوسعوه رداً وبينوا الحق والصواب بأدلته الثابتة، ونيتهم في ما قاموا به التناصح في الدين.

• ولقد ركز هذا البحث على العناصر الثلاثة التي تشكل في مجموعها كيان أي كتاب تخطه أنامل البشر:

١ ـ المنهج المتبع في الدراسة.

٢ ـ المادة المعرفية.

٣ ـ شخصية الكاتب الذي يحمل على عاتقه ربط المعارف والسير على المنهج، ومخاطبة القراء بالنتيجة التي يصل إليها.

• ولقد ناقش هذا البحث الحكاية القائلة: إن أهل النهروان هم أصل الخوارج وإن الإباضية هم من الخوارج، فكانت نتيجة الدراسة أن عنصر المنهج لا يجيز هذه الحكاية لكون بنيانها لا صلة له بأسس المنهج الإسلامي في دراسة الأخبار وتقبلها، وأن المادة المعرفية التي فَصَّلت هذه الحكاية إنما هي مما حكم عليها المنهج الإسلامي بالضعف والكذب. ولقد توصل هذا البحث إلى أن مصادر هذه الحكاية هم الكُتَّاب الذين تركوا تطبيق علم الجرح والتعديل، وتجنبوا البراهين العقلية، ولم يتبعوا المنهج المستقيم، ولم يلتفتوا إلى المبادئ والقيم التي عليها أهل النهروان والإباضية. وأثبت هذا البحث أن أصحاب هذه الحكاية قد تحقق لهم السبق إلى عقول الأجيال باعتمادهم على تكرار الإشاعات، والتأكيد عليها بكل وسائل المؤكدات، وإعادة تدويرها من خلال إصدار كتب كثيرة بعناوين مختلفة لذات المحتوى الضعيف والمادة المعرفية التي لا يقرها منهج، ولا يثبتها دليل، ولا يقبلها عقل سليم.

• ولقد أكد هذا البحث على الدعــوة القائلة: إن «**الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم**»[٧٦٣]، ولقد برهن هذا البحث على أن ما قيل عن أهل النهروان والإباضية لم يكن بعلم ولا بعدل ولكنه كان بجهل وظلم من قبل الكذابين والضعفاء ومن سار على نهجهم.

• ولقد أكد هذا البحث على الأسس التي تُبنى عليها الأحكام الشرعية، حيث نادى بتطبيق القاعدة المنهجية القائلة: «فــإذا كان الخبر متعلقاً بأحكام شرعية أو زمن الفتن بين الصدر الأول، أو مسائل عقدية، فلا بد أن يكون هذا الخبر التاريخي موثقــاً صحيحاً على موازين أهــل الحديث في تصحيحهم الأخبار، ولا يقبل فيه الخبر الضعيــف»[٧٦٤]. و«إنما يدرس التاريخ في ميزان العقل والمنطق، وذلك لا يكون إلا بالرجوع إلى المصادر، والسماع من كل الأطراف، حتى إذا صدر الحكم، يكون عادلاً أو قريباً من العدل»[٧٦٥].

• ولقد اســتفاد هذا البحث من وقفات ابن الأثير المنهجية عند دراسته لبعض الأحــداث التي ذكرها في موســوعته التاريخية، ففــي تلك الوقفات المنهجية دعوة لكل كاتب للتقيد بأسس القواعد العلمية؛ ودعوة للقراء لأداء «عبادة التبيــن» التي يدعو إليها القرآن الكريم قبــل التفاعل مع ما يصل إلى مسامعهم من أخبار.

• وفي هذا البحث ذكر أسماء رجال قادهم صواب رأيهم إلى معرفة الحق من مصادره فما كان منهم إلا أن أدركوا أن الإباضية بعيــدة عن فكر الخوارج. وفي هذا البحث أيضاً ذكر أســماء رجــال بقوا يرددون ما ســجلته أقــلام الكذابين والضعفاء فما كان منهم إلا ربط أهل النهروان والإباضية ظلماً وعدواناً بالخوارج.

---

(٧٦٣) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، ج ٣/ ص ٤٨.

(٧٦٤) إعداد المؤرخ الثقة، ص ٣٦.

(٧٦٥) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص ٢٨٣.

• ولقد أثبت هذا البحث أن الذين تحاملوا على أهل النهروان والإباضية قد اضطربت عندهم المقاييس، ولم يراعوا للكلمة الصادقة حقها، ولم يلتفتوا إلى الجرائم التي ارتكبتها أيد منسوبة إلى التيار الأموي والعباسي، في وقت يفترون فيه على أهل النهروان والإباضية، وينسبون إليهم أحداثاً باطلة وأقوالاً زائفة.

• ولقد أكد هذا البحث على أن المذاهب الإسلامية في تعاليمها، القائمة على كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم وإجماع الأمة في أي عصر من العصور، هي الميزان الذي توزن به مسالك الناس في هذه الحياة الدنيا، وما تقترفه أيدي الأتباع مما ينكره الشرع إنما هو عمل لا تربطه بأسس تلك المذاهب أي رابطة، إذ جميع المذاهب الإسلامية التي انتسب إليها أولئك الذين أفسدوا في ديار المسلمين بريئة منهم ولا تقر أعمالهم، فلا يصح شرعاً تحميل المذاهب الإسلامية أوزار أتباعها إذا خالفوا مبادئها وقيمها وما تدعو إليه من أخلاق.

• وظاهرة الكُتَّاب الذين تَقَوَّلوا على أهل النهروان والإباضية ظاهرة مدهشة، فهم حينما يتحركون كأفراد تظهر على ألسنتهم الدعوة إلى قول الحق والعمل به، ولكنهم حينما ينضوون في جمهرة من الناس تتشكل لديهم نفسية جماهيرية واحدة ويتحولون إلى أبواق تُكَبِّرُ صدى ما رددته أفواه الكذابين والوضاعين والضعفاء. وهذه النفسية التي أطلق عليها (سيكولوجية الجماهير) لم يكن ابن الأثير وحده من تأثر بها، فهناك من العلماء من سار في اتجاه معاكس لما تدعو إليه مناهج الأمة حينما تكلم عن أهل النهروان الكرام.

فالإمام الشيخ محمد عبده قد أجاب سائله[٧٦٦] عن الراوي محمد بن عمر الواقدي بقوله: «لم يرْزَأ الإسلام بأعظم مما ابتدعه المنتسبون إليه، وما أحدثه

(٧٦٦) الأعمال الكاملة للشيخ الإمام محمد عبده، ج ٢/ ص ٤١٣.

الغلاة من المفتريات عليه، فذلك مما جلب الفساد على عقول المسلمين، وأساء ظنون غيرهم فيما بني عليه الدين، وقد فشت للكذب فاشية على الدين المحمدي في قرونه الأولى... أما الشيخ الواقدي فكان من علماء الدولة العباسية... قال ابن خلكان: وضعفوه في الحديث، وتكلموا فيه. أهـ أي عدوه ضعيف الرواية، ليس من أهل الثقة. ولذا نص الإمام الرملي، من علماء الشافعية. على أنه لا يؤخذ بروايته في المغازي... فهذا الكتاب لا تصح الثقة به، إما لأنه مكذوب النسبة على الواقدي، وهو الأظهر، وإما لضعف الواقدي نفسه في رواية المغازي، كما صرح العلماء. فلا تقوم به حجة للمتحذلقين، ولا يصلح ذخراً للسياسيين... وعلى أي حال فلا يستغني مطالع التاريخ عن قوة حاكمة يميز بها بين ما ينطبق على الواقع وما ينبو عنه»[٧٦٧].

فوقفة الشيخ الإمام محمد عبده هنا هي المنهج الذي ينبغي لكل باحث اتباعه في تقييم الرواة والأحداث التاريخية، ولكن يا للأسف لم يكن لهذا الكلام أي أثر على كتاباته حينما تكلم على أهل النهروان الكرام، حين قال: «وكان الذين خرجوا على أمير المؤمنين وخطأوه في التحكيم قد نقضوا بيعته، وجهروا بعداوته وصاروا له حرباً، واجتمع معظمهم عند ذلك الموضع [النهروان]، وهؤلاء يلقبون بالحرورية نسبة إلى حروراء وكان رئيس هذه الفئة الضالة حرقوص بن زهير السعدي، ويلقب بذي الثدية (تصغير ثدي).

وخرج إليهم أمير المؤمنين يعظهم في الرجوع عن مقالتهم، والعودة إلى بيعتهم، فأجابوا النصيحة برمي السهام وقتال أصحابه كرم الله وجهه، فأمر بقتالهم»[٧٦٨].

(٧٦٧) الأعمال الكاملة للشيخ الإمام محمد عبده، ج ٢/ ص ٤١٣ ـ ٤١٧.
(٧٦٨) الأعمال الكاملة للشيخ الإمام محمد عبده، ج ٢/ ص ٤٧٣.

لقد سار الإمام الشيخ مع المتأثرين بـ(سيكولوجية الجماهير) وأقبل على الروايات الضعيفة التي جاء بها محمد بن عمر الواقدي وغيره من الضعفاء والكذابين كأمثال سيف بن عمر التميمي وأبي مخنف، ولم يُحَكِّم القوة الحاكمة التي «يميز بها بين ما ينطبق على الواقع وما ينبو عنه».

لقد غلبت (سيكولوجية الجماهير) على نفسية الإمام محمد عبده وغيره من الكُتَّاب فكانت النتيجة أن رددوا أحكام الضعفاء والكذابين وأكدوها، ونشروا عدواها بين أجيال المسلمين، وتركوا قناعاتهم العلمية الداعية إلى رد روايات الضعفاء والمتروكين، ولم يحتكموا إلى البراهين العقلية التي تميز بنورها سلامة فكر أهل النهروان والإباضية من كل شائبة ألصقت به ظلماً وجوراً وتعسفاً.

فعلى المسلمين ترجمة ما أمرهم الله به في كل مناشط حياتهم، حيث قال ﷻ في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

فندعو الله تعالى أن يعيننا على قول الحق، وأن يصلح أعمالنا، ويغفر لنا ذنوبنا، وأن يرزقنا الفوز في الآخرة والدنيا، إنه سبحانه على ذلك قدير فهو نعم المولى ونعم النصير، وأن آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

هذا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❋ ❋ ❋



المصادر والمراجع

١ ـ **الإباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج**: د. علي محمد محمد الصلابي، مكتبة مسقط، مسقط، سلطنة عمان، ط١، ١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م.

٢ ـ **الإباضية مذهب لا دين**: الدكتور هاني سليمان الطعيمات، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٣م.

٣ ـ **الإباضية نشأتها وعقائدها**: الدكتور محمد حسن مهدي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١١م.

٤ ـ **الإباضية ومدى صلتها بالخوارج**: الدكتور عامر النجار، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٣هـ.

٥ ـ **الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات**: علي بن محمد بن عامر الحجري، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، سلطنة عمان، ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٦ ـ **أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ**: الدكتور إبراهيم شعوط، دار الشروق، جدة، ط٧، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٧ ـ **الآحاد والمثاني**: أبو بكر أحمد بن عمرو الضحاك ابن أبي عاصم الشيباني، مراجعة: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م. ضمن اصدارات الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف وعلومه.

٨ ـ **أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية الشريفة**: د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، دار العالم العربي، القاهرة، ط٢، ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.

٩ ـ **أخلاقيات وسلوكيات الحرب عند رسول الله ﷺ**: الدكتور وليد نور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

١٠ ـ **الآراء والمعتقدات نشوؤها وتطورها**: غستاف لوبون، ترجمة: نبيل أو صعب، دار الفرقد للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٤م.

١١ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب فايد، دار الشعب، القاهرة.

١٢ ـ **الإسلام الخوارجي قراءة في الفكر والفن ونصوص مختارة**: د. أحمد معيطة، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط١، ٢٠٠٠م.

١٣ ـ **الإسلام على مفترق الطرق**: محمد أسد، ترجمة الدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

١٤ ـ **أشرار التاريخ**: مجدي كامل، دار الكتاب العربي، ط٢، ٢٠١٣م.

١٥ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٦ ـ **إعداد المؤرخ الثقة**: الدكتور محمد بن موسى الشريف، دار التوزيع والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

١٧ ـ **الأعمال الكاملة للشيخ الإمام محمد عبده**، محمد عبده، دار الشروق، تحقيق وتقديم محمد عمارة، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٦م

١٨ ـ **أمة الإسلام إلى أين**: سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، الكلمة الطيبة، مسقط، سلطنة عمان، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

١٩ ـ **أنساب الأشراف**: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، حققه الأستاذ الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي، دار الفكر، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٠ ـ **إيثار الحق على الخلق**: محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى اليماني (ابن الوزير)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

٢١ ـ **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٨هـ.

٢٢ ـ **البداية والنهاية**: أبو الفداء الحافظ ابن كثير، تحقيق: الدكتور أحمد

أبو ملحم والدكتور علي نجيب عطوي والأستاذ فؤاد السيد والأستاذ مهدي ناصر الدين والأستاذ علي عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٣ ـ **تاريخ ابن خلدون، المقدمة**: عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق الأستاذ خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م

٢٤ ـ **التاريخ الصغير (الأوسط)**: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ترجمان السنة، لاهور، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٥ ـ **تاريخ الطبري ـ تاريخ الأمم والملوك ـ**: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م

٢٦ ـ **التاريخ الكبير**: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٢٧ ـ **تاريخ المدينة المنورة**: أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري، تحقيق: فهيم محمد شلتوت.

٢٨ ـ **تاريخ بغداد**: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م. ضمن الموسوعة الشاملة.

٢٩ ـ **تاريخ خليفة خياط**: خليفة بن خياط العصفري البصري، تحقيق الأستاذ الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٠ ـ **تحفة الأعيان**: العلامة المحقق الشيخ نور الدين أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان.

٣١ ـ **تذكرة الحفاظ**: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٣٢ ـ **التراجم وأثرها في السلوك الإنساني**: د. محمد بن موسى الشريف، دار التوزيع والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

٣٣ ـ **التضليل الإعلامي وسبل مواجهته**: أ.د. هاشم نغيمش الزوبعي وأ. موسى مقدادي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٨م.

٣٤ ـ **تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس**: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق د. عاصم بن عبد الله القريوتي، مكتبة المنار ـ عمان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م. ضمن الموسوعة الشاملة.

٣٥ ـ **تعريف موجز بأشهر كتب التاريخ**: د. محمد بن موسى الشريف، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

٣٦ ـ **تفسير ابن أبي حاتم المسمى (التفسير بالمأثور)**: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، راجعه أحمد فتحي عبد الرحمن حجازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣٧ ـ **تقريب التهذيب**: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٨ ـ **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح**: الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر العربي.

٣٩ ـ **تهذيب التهذيب**: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٤٠ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٤١ ـ **التيه العربي (تأملات في الواقع الصعب)**: الدكتور عبد الله زيد صلاح، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٨ ـ ٢٠١٩م.

٤٢ ـ **الثقات**: محمد بن حبان أبو حاتم، الدارمي، البُستي، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م. ضمن الموسوعة الشاملة.

٤٣ ـ **الثورة الفرنسية وسيكولوجيا الثورات**: غستاف لوبون، ترجمة نبيل

أبو صعب، دار الفرقد للطباعة والنشـــر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٦م.

٤٤ ـ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)**: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

٤٥ ـ **جواب العزابة رداً على البهلولي علي بن أبي الحسن**: الشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل، منشورات مكتبة المســجد العتيق بقصر غرداية، الجزائر، ط١، ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م.

٤٦ ـ **الحدود بيــن حرية التعبير والإســاءة إلى الآخر**: محمد بن ســالم بن عبد الله الحارثي، مركز السلطان قابوس العالي للثقافة والعلوم، مسقط، سلطنة عمان، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٤م.

٤٧ ـ **الحرب المقدسة الاستشــهاد والإرهاب أشــكال العنف المسيحية في الغرب**: فيليب بوك، ترجمة بدر الدين عرودكي، جسور الترجمة للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٢٠م.

٤٨ ـ **حوار بين الســنة والإباضية والشــيعة**: عبد الرزاق طوطــاوي، مكتبة مسقط، مسقط، سلطنة عمان، ط٢، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٤٩ ـ **حول إعادة كتابة التاريخ الإســلامي**: أ.د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.

٥٠ ـ **الخلافة الراشــدة والدولة الأموية من فتح الباري**: د. يحيى بن إبراهيم

اليحيى، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٥١ ـ **الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام**: الدكتور ناصر عبد الكريم العقل، دار الوطن ـ الرياض ـ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٥٢ ـ **الخوارج تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم**: الدكتور أحمد عوض أبو الشباب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

٥٣ ـ **الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم**: ناصر بن عبد الله السعوي، دار المعراج الدولية للنشر، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٤ ـ **الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة**: الدكتور عامر النجار، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٥٥ ـ **الخوارج نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم**: د. علي محمد محمد الصلابي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م.

٥٦ ـ **الخوارج والحقيقة الغائبة**: الدكتور الشيخ ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

٥٧ ـ **دراسات تاريخية**: أ.د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.

٥٨ ـ **دراسة في الفكر الإباضي**: عمر بن الحاج محمد صالح با، مؤسسة الشيخ الناصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط٢، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

٥٩ ـ **دعوة القرآن الكريم إلى توحيد الصف واجتماع الكلمة**: أ.د. عبد الظاهر عبد الباري علي عبيد، دار العالم العربي، القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

٦٠ ـ **الدين والدم إبادة شعب الأندلس**: ماثيو كار، ترجمة د. مصطفى قاسم، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة مشروع «كلمة»، ٢٠١٣م.

٦١ ـ **ديوان عمر بن أبي ربيعة**: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٦٢ ـ **السلطة في الإسلام**: عبد الجواد ياسين، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م.

٦٣ ـ **السنة لابن أبي عاصم**: أبو بكر أحمد بن عمرو ابن أبي حاتم، تحقيق أ.د. باسم بن فيصل الجوابرة، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٦٤ ـ **سنن ابن ماجة**: الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ضبط النصوص أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٦٥ ـ **سنن الدارقطني**: علي بن عمر الدارقطني، تحقيق شعيب الارنؤوط وحسن عبد المنعم شلبي وهيثم عبد الغفور، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٦٦ ـ **سنن الكبرى البيهقي**: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م. ضمن المكتبة الشاملة.

٦٧ ـ **السنن الكبرى للنسائي**: الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٦٨ ـ **سيكولوجية الجماهير**: غستاف لوبون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط٧، ٢٠١٦م.

٦٩ ـ **شبهة نسبة الإباضية إلى الخوارج**: البشير مسعي محمد، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان، ط١، ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م.

٧٠ ـ **شرح السنة للبغوي**: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م. ضمن الموسوعة الشاملة.

٧١ ـ **شرح قصيدة أبي المؤثر الصلت بن خميس الخروصي البهلوي**: مؤلف مجهول، جمع وترتيب شمسة بنت عبد الله بن هلال الحوسنية، ذاكرة عمان، مسقط، سلطنة عمان، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

٧٢ ـ **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٧٣ ـ **صحيح البخاري**: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٧٤ ـ **صحيح مسلم**: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٧٥ ـ **صحيح وضعيف تاريخ الطبري**: تحقيق محمد بن طاهر البرزنجي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م. ضمن الموسوعة الشاملة.

٧٦ ـ **الضعفاء والمتروكين للنسائي**: الإمام أحمد بن شعيب النسائي، دراسة وتحقيق الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، ضمن المجموع في الضعفاء والمتروكين، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٧٧ ـ **الطبقات الكبرى**: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، تحقيق محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٧٨ ـ **عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام** رضي الله عنهم: ناصر بن علي عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٧٩ ـ **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**: أبو الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م. ضمن الموسوعة الشاملة.

٨٠ ـ **علم الحديث لابن تيمية**: ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٨١ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٨٢ ـ **الفَرق بين الفِرق**: الشيخ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفرائيني التميمي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٨٣ ـ **الفِصَل في الملل والأهواء والنحل**: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. مكتبة السلام العلمية.

٨٤ ـ **فصول في التفكير الموضوعي**: أ.د. عبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق، ط٧، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

٨٥ ـ **فكر الخوارج والشيعة من ميزان أهل السنة والجماعة**: علي بن محمد الصلابي، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٨٦ ـ **في التاريخ الإسلامي فصول في المنهج والتحليل**: أ.د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.

٨٧ ـ **في التأصيل الإسلامي للتاريخ**: د. عماد الدين خليل، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٨م.

٨٨ ـ **في موكب الإصلاح**: سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، ذاكرة عمان، من مطبوعات موقع بصيرة الالكتروني، مسقط، سلطنة عمان، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

٨٩ ـ **القراءة المثمرة (مفاهيم وآليات)**: أ.د. عبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

٩٠ ـ **الكامل في التاريخ**: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٩١ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال**: الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض والأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٩٢ ـ **كتاب الجرح والتعديل**: الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، ط١، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.

٩٣ ـ **كتاب السير**: أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي، تحقيق الدكتور محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

٩٤ ـ **كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**: الإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م

٩٥ ـ **الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث**: برهان الدين الحلبي، تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٩٦ ـ **كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد**: هشام علي حافظ، وجودت سعيد، وخالص جلبي، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٢م.

٩٧ ـ **كيفية قراءة التاريخ وفهمه**: الدكتور محمد بن موسى الشريف، دار التوزيع والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

٩٨ ـ **لسان الميزان**: الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٩٩ ـ **لماذا يكذب القادة (حقيقة الكذب في السياسة الدولية)**: جون جي. ميرشايمر، ترجمة د. عبد الفتاح عمورة، مراجعة أ.د. منذر محمود محمد، دار الفرقد، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٦م.

١٠٠ ـ **المثالية والواقعية في تاريخ الفكر السياسي عند المسلمين**: الدكتور فاروق عمر فوزي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦ ـ ٢٠١٧م.

١٠١ ـ **مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**: جمع وترتيب عبد الله بن محمد بن قاسم العاصمي وابنه محمد، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

١٠٢ ـ **محددات الإشاعة في السلم والحرب شرعاً ونظاماً**: الدكتور عبد الله بن معتب بن ربيق، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

١٠٣ ـ **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٣هـ. ضمن الموسوعة الشاملة.

١٠٤ ـ **المستدرك على الصحيحين**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

١٠٥ ـ **مسند أبي داود الطيالسي**: الحافظ أبو داود سليمان بن داود الطيالسي، تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م. ضمن الموسوعة الشاملة.

١٠٦ ـ **مسند أبي يعلى**: الإمام الحافظ أحمد بن على بن المثنى التميمي، تخريج وتعليق: سعيد بن محمد السناري، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م. ضمن الموسوعة الشاملة.

١٠٧ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: الإمام أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٠٨ ـ **مسند الحميدي**: الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١٠٩ ـ **مسند الفاروق لابن كثير**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق إمام بن علي بن إمام، دار الفلاح، الفيوم، مصر، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م. ضمن الموسوعة الشاملة.

١١٠ ـ **المسئولية الجنائية للقادة العسكريين في الحروب شرعاً ونظاماً**: الدكتور عبد الله بن متعب بن ربيق، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية.

١١١ ـ **مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه**: الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

١١٢ ـ **مصنف ابن أبي شيبة**: أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ. ضمن الموسوعة الشاملة.

١١٣ ـ **مصنف عبد الرزاق**: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١١٤ ـ **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار العاصمة للنشر والتوزيع، دار الغيث للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م. ضمن الموسوعة الشاملة.

١١٥ ـ **المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري**: أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، الدار الأثرية، الأردن ـ دار ابن عفان، القاهرة. ضمن الموسوعة الشاملة.

١١٦ ـ **المعجم الكبير**: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢. ضمن الموسوعة الشاملة.

١١٧ ـ **المغني في الضعفاء**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق الدكتور نور الدين عتر. ضمن الموسوعة الشاملة.

١١٨ ـ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**: الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تصحيح هلموت ريتر، ط٣، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م

١١٩ ـ **المقترب في بيان المضطرب**: أحمد بن عمر بن سالم بن أحمد بن عبود أبو عمر بازمول السلفي المكي الرحابي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م. ضمن الموسوعة الشاملة.

١٢٠ ـ **ملاحظات حول تاريخنا القديم ـ كيف ندرسه وكيف نحققه ـ**: محمد بن قاسم ناصر بوحجام، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٢١ ـ **الملل والنحل**: أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم الشهرستاني، مطبوع بهامش الفِصَل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم، مكتبة السلام العالمية.

١٢٢ ـ **من مآسي الافتراق**: د. محمد بن موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء ودار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

١٢٣ ـ **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**: ابن تيمية، تحقيق

الدكتور محمد رشاد سالم، دار الفضيلة للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٢٤ ـ **المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي**: الدكتور عبد العظيم محمود الديب، المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، ضمن إصدارات كتاب الأمة، ط١، ١٤١١هـ.

١٢٥ ـ **موجز تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي وشرقي حوض المتوسط**: رنيه غروسيه، ترجمة د. أحمد إيبش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، ط١، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

١٢٦ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق علي محمد البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٢٧ ـ **نداء الحق**: سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي، الكلمة الطيبة، مسقط، سلطنة عمان، ط١، ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م.

١٢٨ ـ **نصب الراية تخريج أحاديث الهداية**: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي، مع الهداية شرح بداية المبتدي للإمام برهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي. تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٢٩ ـ **نهايــة الأرب في فنــون الأدب**: أحمد بــن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ. ضمن الموسوعة الشاملة.

١٣٠ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أبو العباس شــمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلــكان البرمكي الإربلي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان. ضمن الموسوعة الشاملة.



الفهـــرس

• المقدمة ٥

قراءة منهجية في كتاب (الكامل في التاريخ) ٢٣

١ ـ مصادر كتاب (الكامل في التاريخ) بين القبول والرفض ٢٥

٢ ـ ابن الأثير يزكي كتابه (الكامل في التاريخ) ٣٦

٣ ـ ابن الأثير ينقل أخباراً بصيغ التمريض ٣٨

٤ ـ ابن الأثير ينقل أخباراً ويعرضها على مصادر أخرى لها صلة بفحواها ٤١

٥ ـ ابن الأثير يستعين بالمنهج في رد كثير من الأخبار ٤٤

٦ ـ «أهل كل بلد أعلم بأحوالهم» ٤٧

٧ ـ كتب التاريخ بين المنهج والواقع ٥٤

٨ ـ ضبط ما يروى وما يطوى من الأخبار ٦١

٩ ـ دعوة إلى تحري الصدق قبل اعتماد الروايات ٧٠

كُتَّاب التاريخ بين المنهج والتطبيق ٧٣

١ ـ العوامل التي تؤثر على توجهات الكُتَّاب ٧٤

٢ ـ مصادر كتب المقالات ٧٦

٣ ـ بداية الحكاية ٨٤
٤ ـ حكايات على مسرح الضعفاء والكذابين ٨٨
٥ ـ وقفة مع الدكتور أحمد عوض أبي الشباب..... ١٠٣
٦ ـ حكاية ذي الخويصرة..... ١١١
٧ ـ الدكتور هاني سليمان الطعيمات وخرافة ابن سبأ اليهودي ١٢٧
٨ ـ الروايات التي ذكر فيها استعراض الناس ومقتل عبد الله بن خباب ١٤٤
٩ ـ وقفات مع كُتَّاب التاريخ حول تهمة «الاستعراض» ١٥٥
أ ـ الروايات تدعي مطالبة الإمام علي أهل النهروان بتسليم قتلة ابن خباب..... ١٤٧
ب ـ استجواب الناس حسب الانتماءات ١٥٨
ج ـ كُتَّاب التاريخ ينسبون مجاهيل من الناس إلى أهل النهروان ١٧٤
د ـ كُتَّاب التاريخ والجرائم التي ارتكبها الذين حاربهم الفكر الإباضي ١٨٢
١ ـ جرائم الجيش الأموي في مدينة رسول الله ﷺ ١٨٣
٢ ـ جرائم الجيش الأموي في اليمن..... ١٨٨
٣ ـ جرائم الجيش الأموي في العراق ١٨٩
٤ ـ جنود بني أمية ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنه وكرم وجه أبيه الكريم. ١٩٠
٥ ـ جرائم الحجاج بن يوسف في التاريخ ١٩١
٦ ـ جرائم أموية في اليمن..... ١٩٣
٧ ـ جرائم جنود سعد الدولة في اليمن ٢٠١
٨ ـ جرائم «زيد النار» العلوي، و«الجزار» العباسي في ديار الإسلام ٢٠١

٩ ـ جرائم ترتكب في حرم الله الآمن ٢٠٣
١٠ ـ قطاع طرق حجاج بيت الله الحرام ٢٠٥
١١ ـ إجرام على يد معز الدولة وناصر الدولة ٢٠٦
١٢ ـ جرائم جيش المنصور في الأهواز ٢٠٩
١٣ ـ مشهد إجرامي فيه دليل على اضطراب مقاييس كُتَّاب التاريخ ٢٠٩
١٤ ـ ابن الأثير واضطراب الموازين ٢١٠
١٥ ـ مروان الأموي واستباحته لأرواح المسلمين وأموالهم ٢١٠
١٦ ـ جرائم جنود بني العباس صورة لأفعال الكفار في ديار الإسلام ٢١٤
١٧ ـ اضطراب الموازين لدى كُتَّاب التاريخ. ٢١٧
١٨ ـ كُتاب التاريخ في عمى عن جرائم قادة بني العباس ٢١٨
١٩ ـ ابن الأثير، ومن سار على دربه، أصحاب ميول وأهواء ٢١٨
٢٠ ـ الهوى يلجم الألسن عن قول الحق ٢١٩
٢١ ـ نهب وقتل في بلاد الرافدين ٢١٩
٢٢ ـ نهب وقتل وإحراق وهتك أعراض في ديار المسلمين ٢٢٠
٢٣ ـ ابن الأثير ووزن الأحداث بموازين الهوى. ٢٢١
٢٤ ـ شقاق بين الأقارب يفضي إلى جرائم حرب ٢٢١
٢٥ ـ أين العدالة يا كُتَّاب التاريخ؟ ٢٢٢
٢٦ ـ جرائم حرب في ديار المسلمين، فأين المنصفون؟ ٢٢٤
٢٧ ـ جرائم في بلاد الأندلس على يد من ادعى الإسلام ٢٢٤

٢٨ ـ من جرائم إبراهيم بن أحمد الأغلبي في ديار الإسلام..... ٢٢٧
٢٩ ـ فأين العدالة يا كُتَّاب التاريخ؟..... ٢٢٧
٣٠ ـ ذبح أطفال المسلمين على يد من ادعى الإسلام..... ٢٢٨
٣١ ـ أوصاف في غير محلها..... ٢٢٩
٣٢ ـ «وفعلوا ما لم يفعله الكفار مع المسلمين»..... ٢٣١
٣٣ ـ مبادئ الإسلام وسلوك الأتباع..... ٢٣٣
٣٤ ـ عَوْدٌ على بَدْء..... ٢٤٠
١٠ ـ مبادئ الإباضية تاريخ يتكلم..... ٢٤٩
١١ ـ مباينة الإباضية لأفكار الخوارج..... ٢٥٩
١٢ ـ أثر الموروثات الفكرية في الحكم على الناس..... ٢٩١
الطاعنون في أهل النهروان والإباضية وفلسفة (سيكولوجية الجماهير)..... ٢٩٩
• **الخاتمة**..... ٣٢١
• **المصادر والمراجع**..... ٣٢٧
• **الفهرس**..... ٣٤٧

❋ ❋ ❋